الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

المدرسة الإماراتية

2022-2023

العمق التّاريخي للفكر الاتّحادي في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة

د. سالم حميد

الصف 10

العمق التّاريخي للفكر الاتّحادي في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة

العمق التاريخي للفكر الاتحادي في دولة الإمارات العربية المتحدة
فكرة سعادة ضرار بالهول الفلاسي
تأليف الدكتور سالم حميد

جميع الحقوق محفوظة لوزارة التربية والتعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة
ومؤسسة وطني الإمارات
ومركز المزماة للدراسات والبحوث

الآراء الواردة في هذا الكتاب تخص المؤلف وحده
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مؤسسة وطني الإمارات
أو أي هيئة أو وزارة أو مؤسسة حكومية رسمية في دولة الإمارات العربية المتحدة

يمنع نشر هذا الكتاب أو أجزاء منه في أي شكل من الأشكال دون الحصول على موافقة خطية من الناشر
ويستثنى من ذلك الاقتباسات المقتضبة الواردة في المرجعات النقدية

“أَهَمِّيَّةُ تَوافُرِ ثَلاثَةِ أَشياءَ أَساسِيَّةٍ لِتَنافُسِيَّةِ الدُّوَلِ وَأَسْبَقِيَّتِها، وَهي: أَوّلًا: الحَجْمُ، وَثانيًا: سِلاحُ العِلْمِ، والاستِثمارُ فيهِ بِكُلِّ الإمكاناتِ، وَثالِثًا: القيادَةُ الواعِيَةُ الّتي لَدَيْها رُؤْيَةٌ واضِحَةٌ، وَخَريطَةُ طَريقٍ مُحَدَّدَةٌ.”

صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان

مدخل 6

مقدمة المؤلف 10

القسم الأول: الفكر الاتحادي في الإمارات قبل قيام الاتحاد 16

نظرة عامة على الفكر الاتحادي في الإمارات 19

مفهوم الفكر الاتحادي 23

الخلفية العامة للفكر الاتحادي والأطوار التي مر بها 26

لمحة من تاريخ الإمارات.. الآثار تتحدث 30

سنوات العدوان: من البرتغاليين إلى الفرس إلى البريطانيين 32

أساطيل فرسان البحر 35

تحالف إيراني بريطاني هولندي 37

مرحلة إضعاف القواسم 40

الحملة العسكرية البريطانية الأخطر ضد الإمارات 42

من تداعيات الحملة البريطانية 47

انطلاق الروح الوطنية الإماراتية والحلم المبكر بالاتحاد 49

الفكر الاتحادي في عهد الشيخ زايد الأول 51

الفكر الاتحادي عند الشيخ سعيد بن مكتوم 58

من مظاهر الفكر الاتحادي في مرحلة إمارات الساحل 62

المد القومي العربي وتوازن الفكر الاتحادي	73
مقومات اتحاد الإمارات	77
دور الاكتشافات النفطية	91
ملخص القسم الأول	94
القسم الثاني: الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد مؤسس الاتحاد	98
الشيخ زايد -رحمه الله- بطل تحويل الفكر الاتحادي إلى واقع	101
حقائق أساسية عن الإنجاز الاتحادي للشيخ زايد -رحمه الله-	104
الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- والعوامل التي شكلت شخصيته	109
الشيخ زايد -رحمه الله- ومرحلة التمهيد للاتحاد.. (مواقف وخطوات عملية)	119
الشيخ زايد -رحمه الله- وتفعيل الفكر الاتحادي بعد قيام الدولة	125
فلسفة الشيخ زايد -رحمه الله- للحكم كما وردت في بعض أقواله	129
الأفق الاقليمي والعربي للفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله-	142
من ثمار الفكر الاتحادي في الإمارات (103)	145
ملخص القسم الثاني	155
اتفاقيات الاتحاد بين الحكام	158
خاتمة الكتاب	188
الهوامش	194
المراجع	202

تحظى التجربة الاتحادية لدولة الإمارات العربية المتحدة باهتمام كبير منذ قيام دولة الاتحاد في 2 ديسمبر 1971م، وأية دراسة تُنشر أو ندوة تُعقد حول التجارب الوحدوية والنظام الاتحادي الفيدرالي، لا يمكن أن تتجاهل التطرق لتجربة الإمارات، التي ترسخت وصارت واحدة من أعظم النماذج الناجحة والملهمة والجديرة بالتأمل على مستوى العالم. وستظل تجربة الإمارات إعجازية بحق، عندما ننظر إلى المكتسبات التي تحققت للمواطن الإماراتي، وبالنظر كذلك إلى النهضة التي شملت كافة ربوع الإمارات، بما في ذلك تحقيق أرقام قياسية عالمية في مجالات إنجازات عديدة تبعث على الفخر والاعتزاز. وهذا يستدعي الحفاظ على هذا المستوى المتقدم، والسعي لتحقيق المزيد عبر الإخلاص والولاء الوطني والشعور بالمسؤولية، ومشاركة القيادة والشعب قطف ثمار النجاحات المتواصلة.

ويأتي الاحتفال كل عام باليوم الوطني لقيام اتحاد الإمارات للتذكير بهذا الإنجاز وعظمته من جهة، وفي الوقت ذاته استرجاع الماضي قليلاً لنعرف حجم الجهد الذي بذله الأجداد والآباء الذين أرسوا دعائم اتحاد الإمارات الحديثة، انطلاقاً من وحدة أرضها وشعبها وتاريخها الممتد لآلاف السنين. فكان الفكر الاتحادي هو باعث المحفز الذي استمر في التراكم والنضج في العقول ومواجهة الصعاب، إلى أن تحقق حلم الاتحاد وقيام الدولة بمضمونها الوطني الحديث.

إن التركيز على العوامل التي أدت إلى قيام الدولة الاتحادية الحديثة في الإمارات، وامتلاكها معالم هوية وطنية واحدة وشخصية اعتبارية مكتملة الحضور، يكشف لنا أن تحقيق هذا الإنجاز الطموح، تطلب إلى جانب وحدة وترابط الشعب الإماراتي أرضاً وإنساناً، وجود فكر اتحادي أصيل، عميق ومصاحب لتاريخ الإمارات في كافة المراحل.

وارتبط تجسيد هذا الفكر في الواقع بشكل عملي بتوفر الإرادة السياسية لدى

الحكام، وتماهيها مع محيطها الاجتماعي. وهو الأمر الذي تحقق بالفعل على يد مؤسس الاتحاد وقائد مسيرة الإمارات، المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه -، وإلى جانبه إخوانه حكام الإمارات، الذين تحلوا بفضل عزيمة وإقدام الشيخ زايد -رحمه الله- بحكمة واستشراف عميقين للمستقبل.

وظلت الإرادة السياسية حتى اليوم تدعم وتعزز تلبية التطلعات العامة للشعب الإماراتي، وتسهم في استثمار خيرات هذه الأرض الطيبة، لتحقيق المزيد من الرفاهية والاستقرار لأبناء الإمارات، وتقوية الأسس المشتركة والعميقة لوحدة بلدهم.

لذلك أصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة بعد مضي أكثر من أربعة عقود على قيامها، تمتلك رصيداً كبيراً من رسوخ كيان الدولة، ومن الممارسة العملية للتوافق والاندماج الوطني، على قاعدة بناء الدولة الاتحادية المعنية بمصلحة شعبها، اتساقاً مع التحولات الاقتصادية الكبيرة التي شهدتها الإمارات، وخاصة بعد الاكتشافات النفطية.

ما سبق يقودنا إلى القول: إن الوصول إلى هذا المستوى من رسوخ بنيان الاتحاد على كافة المستويات وأطره المؤسسية الحديثة، يرتبط بجذور تاريخية للتوجه الاتحادي ولوحدة المجتمع الإماراتي، التي كانت قائمة تاريخياً على أرض الواقع، عبر مستويات اجتماعية وتحالفات قبلية أصيلة، كانت تلبي في وقتها قيم ومظاهر الوحدة واستحقاقاتها طبقاً لظروف الماضي. ثم فرضت الحاجة للدولة المعاصرة في الواقع الراهن قيام الدولة الاتحادية، مدعومة بالفكر الاتحادي العميق وبوحدة المجتمع الإماراتي ذات التاريخ العريق. وهذا هو موضوع الكتاب الذي بين أيدينا: (العمق التاريخي للفكر الاتحادي في دولة الإمارات العربية المتحدة).

إذن فالقارئ مدعو للتطواف معنا في رحلة نأمل أن تكون شيقة، وأن نقدم من خلالها الشواهد التي تؤكد على العمق التاريخي للفكر الاتحادي في الإمارات وتوثقه. ونهدي هذا الجهد المتواضع إلى شعب الإمارات وقيادته الحكيمة، ممثلة بصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله.

سعـادة ضـرار بالهـول الفــلاسـي

مدير عام مؤسسة وطني الإمارات

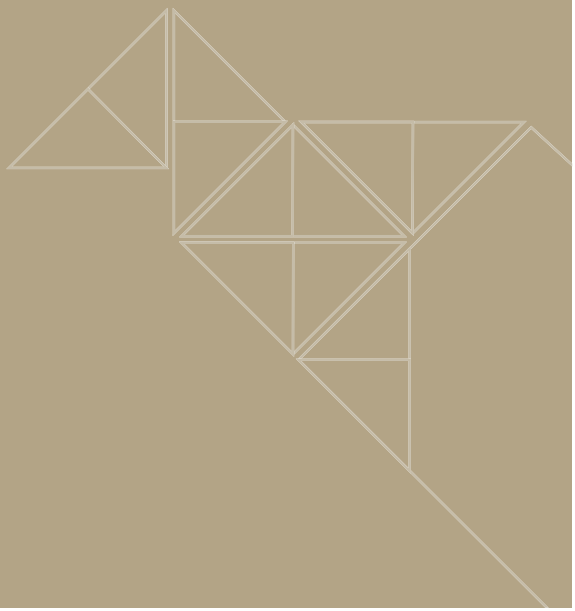

صور جماعية لحكام الإمارات بعد الإعلان عن قيام الاتحاد- قصرالجميرة
دبي 2/ديسمبر /1971.

تحفل مراكز الأبحاث المتخصصة وأقسام العلوم السياسية في معظم الجامعات بالكثير من الدراسات التي تناولت التجربة الإماراتية وخصوصياتها واستقرار نظامها الاتحادي، الذي يندرج ضمن الشكل الفيدرالي. ونأمل بدورنا أن نوفق في تقديم إطلالة جديدة ومختصرة، تركز بتكثيف على عمق ومظاهر الفكر الاتحادي في الإمارات.

نعرف أن المكتبة الإماراتية وأرشيف الذاكرة الثقافية والتاريخية للإمارات يختزنان الكثير من الكتب والمؤلفات العربية والأجنبية التي تناولت الشق التاريخي للإمارات، وعلى وجه التحديد تلك الأبحاث والمراجع التي تناولت فترة ما قبل قيام الاتحاد، والتي عرفت بفترة «إمارات الساحل»، وأوضاعها الاقتصادية في زمن التواجد البريطاني في منطقة الخليج.

لكن موضوعنا في هذا العمل يتعلق بالفكر الاتحادي، وكيف تأصل وتعمق في مراحل سابقة من تاريخ الإمارات. وكيف كان هذا الفكر والشعور الوطني دافعاً حيوياً ومساهماً بشكل دائم وفطري في الحفاظ على وحدة الإمارات، وتقوية روح الوحدة في الذاكرة الجمعية والمشاعر الوطنية التي قادت في النهاية إلى قيام الدولة الاتحادية، على أساس الوحدة التاريخية الأصيلة للإمارات وشعبها.

ولكي نضبط المصطلح الذي سيتكرر استخدامه في هذا العمل وفقراته القادمة، نشير إلى أننا نعني بـ «الفكر الاتحادي» ذلك التوجه الفكري المبكر الذي نما وترسخ في الإمارات بأشكال ومواقف متعددة، منذ ما قبل قيام الدولة الاتحادية بشكلها الراهن، وعكس وعياً سياسياً متقدماً بأهمية الانتقال بالمجتمع في هذا البلد من مرحلة التشتت والفرقة داخل الوطن الواحد والبيئة الواحدة المتجانسة ثقافياً وجغرافياً، إلى مرحلة الاتحاد ونهوض الدولة الحديثة.

كما نعني بالفكر الاتحادي أيضاً، المسلك السياسي للقيادة والشعب بعد قيام الدولة الاتحادية، ومدى فاعلية هذا الفكر في حماية منجز الاتحاد وتحقيق النهضة الشاملة للمجتمع الإماراتي.

ويهمنا في الموضع المناسب من هذا العمل إبراز الخصوصيات التي رافقت مراحل تبلور الفكر الاتحادي في الإمارات، وكذلك المظاهر والأشكال والممارسات التي كان الفكر الاتحادي يتجلى من خلالها، وعلاقته بالمسارات العربية الأخرى وما يميزه عنها من خصوصيات نابعة من البيئة الإماراتية.

وأثناء تصفحنا للمراجع بهدف التنقيب عن جذور الفكر الاتحادي، وجدنا أن الطبقة السياسية الحاكمة في الإمارات تمكنت بجدارة من المواءمة بين تصوراتها الفكرية/النظرية للوحدة - عندما كانت تمر بطور التبلور في النقاشات واللقاءات الثنائية والجماعية - وبين مرحلة الإقدام على تأسيس الدولة الاتحادية وإعلان قيامها. وفي هذه المرحلة عملت النخبة الحاكمة بقيادة الشيخ زايد -رحمه الله- مؤسس الاتحاد على مراعاة إحداث توازن حصيف وعملي وذكي للغاية، بين الواقع، وبين الانتقال إلى تحقيق جوهر الفكر الاتحادي، الذي يتصف حتى هذه اللحظة في نظر الكثيرين بالطموح والتحدي والإعجاز، بالقياس إلى زمن التشظي العربي المستمر، منذ انتهاء حقبة الاحتلال الغربي ورحيله عن العالم العربي.

ونرى أن أهمية هذه الدراسة البانورامية تتحدد بكونها تهدف إلى المساهمة في الجانب التوثيقي من جهة، وتقديم نبذة تاريخية مكثفة عن الفكر الاتحادي وخصوصياته في الإمارات من جهة أخرى، ليستفيد القارئ والمهتم، وكذلك الأجيال الجديدة التي ولدت في ظل الدولة الاتحادية، ولم تعاصر المراحل السابقة والشخصيات التي مهدت لقيام الاتحاد وحملت فكرته منذ سنين طويلة، إلى أن تحقق بفضل إخلاص الرعيل الأول من الآباء المؤسسين لحلم الاتحاد، وأبرزهم المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه.

كما تكتسب هذه المحاولة التوثيقية لعمق الفكر الاتحادي أهميتها أيضاً، بالنظر إلى أن التجربة الاتحادية في الإمارات، تتميز بكونها التجربة العربية الوحيدة التي يشار إليها باعتبارها تمثل أنموذجاً استثنائياً ناجحاً للتجارب الوحدوية وللإندماج الوطني، الذي استلهم ممكنات الاتحاد وعمل على تفعيلها في الواقع والممارسة، من خلال إعلان قيام الدولة الاتحادية، وحمايتها وتجذير هويتها، إلى أن صارت عنواناً للانتماء والفخر لدى مواطنيها.

والشكل الاتحادي الفيدرالي الذي انتهجته الإمارات، يُعد كما هو معروف من النظم السياسية الحديثة، ويُعمل به في

عدد من دول العالم، مثل الولايات المتحدة الأميركية والمكسيك وسويسرا وألمانيا واستراليا وكندا وبلجيكا والنمسا والبرازيل، ودول أخرى يقترب عددها من 24 دولة.

لكن موضوعنا هنا ليس الفيدرالية ولا النظم السياسية من حيث الشكل، بل تتبع مظاهر انبعاث الفكر والتوجه الاتحادي الذي قاد في النهاية إلى ولادة الإمارات بشكلها الحديث، عبر استثمار عوامل ومقومات الوحدة في زمن غلبت عليه الفرقة والنزعات الانقسامية والتشظيات المستمرة حتى الآن للأسف في عالمنا العربي.

وثمة فرضية رئيسة انطلقنا منها أثناء تتبع مسار الفكر الاتحادي في الإمارات، وهي أن وحدة الجغرافيا والإنسان في ما كانت تعرف بإمارات الساحل، اقتضت إشهار قيام دولة الإمارات العربية المتحدة وانضمامها إلى المجتمع الدولي ككيان اعتباري ودولة ذات سيادة، تتماهى عملياً ومؤسسياً مع ما تمثله تاريخياً وفعلياً في الواقع المعاش من ترابط وطني وقومي أصيل، الأمر الذي جعل من قيام الدولة الاتحادية مسألة حتمية وقضية وقت لا أكثر، وعزز انبثاقها إلى الوجود فكرٌ اتحادي طموح، فكان قيام الاتحاد خطوة حتمية ومرتكزة على عمق تاريخي، ظلت فقط تنتظر أن يحين الظرف المناسب محلياً ودولياً لانطلاقتها، بما في ذلك تجسيدها (ضمنياً) للفكر الاتحادي الذي كان هاجساً لدى حكام الإمارات وحكمائها، وله أرضية سابقة من الاتفاقيات واللقاءات التي كانت تستدعيها الظروف، اتساقاً مع طبيعة التركيبة السياسية والاجتماعية للإمارات، واتساقاً كذلك مع بواكير نهضة وطنية وثقافية تدرجت على مراحل، ويرصد بعض المؤرخين انطلاقتها الحديثة الواعية في الإمارات منذ العام 1907م، عندما بدأت تتأسس المدارس النظامية والمجالس الثقافية والمكتبات والاتصال الحضاري بين الإمارات وما حولها من مراكز إشعاع ثقافي.

ثم تلى بواكير النهضة الفكرية الأولى في الإمارات الدور الذي لعبته الاكتشافات النفطية، مصحوبة بروح وطنية لدى الحكام والشعب، وترسخ قناعات بأن خير الإمارات لكل الإماراتيين، وانعكس الانتعاش الاقتصادي بشكل إيجابي على بلورة نظام اتحادي، وهو النظام الذي تعيش في ظله الإمارات ويحظى منذ قيامه بقبول شعبي وحالة رضا عامة، ونجاحات متوالية في تحقيق استقرار شامل ومكتسبات تتصل بالتحديث والاندماج في بوتقة الاقتصاد العالمي، مع الاحتفاظ بالهوية الإماراتية المحلية الأصيلة.

ولا بد أن نشير إلى أن الصعوبة التي واجهتنا أثناء إنجاز هذا العمل، تمثلت في ندرة المراجع التي تتحدث عن الفكر الاتحادي

في الإمارات كمسألة نظرية، ووجدنا أن السبب في ذلك يعود إلى أن الفكر الاتحادي كان يختمر في الواقع وفي العقول، ثم تحول إلى ممارسة تم تطبيقها على مراحل، بينما لم يتفرغ هذا التوجه كثيراً للتنظير، بقدر ما كان يترجم ذاته في خطوات عملية أفضت إلى إعلان قيام الدولة الاتحادية.

بمعنى أن النزوع نحو الاتحاد وتبني الحكّام للفكر الاتحادي والنظام الاتحادي كشكل للنظام السياسي للدولة، كان يتجه أكثر نحو الممارسة العملية المباشرة للفكر، بتحويله إلى تفاهمات وتنسيقات، متجاوزة للتنظير ورص الكلام في الكتب، وعابرة أيضاً للمخاوف والتقسيمات التي خلفها الاحتلال في المنطقة، وما رافقها من تشكُّل بنى سياسية تقليدية، كانت معبرة في نمطها القديم عن التحالفات القبلية، ثم انتقلت بفضل التوجه الاتحادي إلى مرحلة الاندماج لتُشكِّل مجتمع الدولة الاتحادية الحديثة، بما في ذلك من تغيير البنية التقليدية للمجتمع من أهمية، تحتاج في الظروف المشابهة لدى المجتمعات الأخرى لتحولات عميقة وبطيئة تتطلب زمناً طويلاً، لكن الإمارات تجاوزت كل التحولات واختصرت الزمن وأنجزت تحولها الخاص في وقت قياسي وبجرأة وتوازن وحكمة تستحق التأمل والدراسة.

تلك هي القيمة الجوهرية التي تمثل خلاصة وثمرة التحول الأهم الذي حدث في المجتمع الإماراتي في ظل الدولة الاتحادية، والذي بدوره يلفت اهتمام الباحثين، ولا يزال بحاجة لدراسات وأبحاث سوسيولوجية وثقافية، تتأمل النقلة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الهائلة التي نتجت عن ترسخ كيان اتحاد الإمارات وانطلاق مسيرة نهضتها الشاملة.

ولا نقول هذا الكلام من باب الشعارات والمزايدات، لأن شهادات الآخرين من خارج الإمارات تعبر باستمرار عن الانبهار والدهشة بالتحولات التي أنجزتها دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو ما يُبقي الباب مفتوحاً على الدوام للقيام بدراسات جديدة لتأمل هذه التحولات، وعلى وجه التحديد من منظور الدراسات الثقافية المهتمة بالعولمة وكيفية المواءمة بين الانفتاح على العالم مع الحفاظ على الخصوصيات الثقافية المحلية.

بالعودة إلى موضوع هذا العمل، من المعروف أن بروز القوى الوطنية في الإمارات ونمو الشعور الوطني، كان قد بدأ يتشكل، كرد فعل جماعي موحد إبان الغزو البرتغالي لسواحل الخليج العربي والبحر الأحمر منذ أوائل القرن السادس عشر للميلاد.

ولأن جذور الفكر الاتحادي عميقة وشواهدها كثيرة في جغرافيا الإمارات وفي تاريخ شعبها وحكامها، وكذلك في الترابط

الوثيق الذي يجمع بينهم حتى على مستوى علاقات القرابة والمصاهرة.. وحتى لا نبتعد كثيراً ونتشعب في البحث وفي تتبع ظهور بواكير الفكر الاتحادي، آثرنا أن نجعل النطاق الزمني لهذه الدراسة ينحصر بتأمل محطات تاريخية بارزة في مرحلة إمارات الساحل، وصولاً إلى مرحلة قيام دولة الاتحاد رسمياً في 1971، وما رافقها وتلاها من تعميق للفكر الاتحادي وتسارع وتيرة خطوات بناء الدولة الاتحادية الجديدة وترسيخ مداميكها.

يتكون هذا الكتاب من قسمين، مسبوقين بالمدخل والمقدمة، ولكل قسم ملخص في نهايته، ثم خاتمة الكتاب، أما القسم الأول فهو بمثابة إطار نظري وإطلالة عامة على الفكر الاتحادي في الإمارات قبل قيام الدولة الاتحادية التي نعيش في ظلها اليوم. ونتناول في هذا القسم مفهوم الفكر الاتحادي والخلفية العامة لظهوره والأطوار التي مر بها، ثم نشرع في استشراف العمق التاريخي للفكر الاتحادي في الإمارات قبل قيام الدولة الاتحادية، عبر تناول مراحل ومحطات سابقة من تاريخ الإمارات وما واجهته من أطماع أجنبية تحطمت كلها بفضل صمود الشعب الإماراتي ودفاعه عن أرضه وهويته، مع التركيز على المحطة المهمة التي بدأت في عهد الشيخ زايد الكبير، أحد أشهر حكام إمارة أبوظبي منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، والذي كان يحظى بتقدير كافة الإماراتيين حكاماً ومحكومين، ثم نقدم لمحة عن الفكر الاتحادي عند الشيخ سعيد بن مكتوم (1878 – 1958م)، الذي كان أيضاً من أبرز حكام إمارة دبي، مروراً بتقديم لمحة عامة عن بواكير وملامح الفكر الاتحادي وتبلوره في مرحلة إمارات الساحل بشكل عام قبل انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي.

ونختتم هذا القسم بالإشارة إلى المد القومي العربي في الستينيات، وتوازن الفكر الاتحادي في الإمارات وخصوصياته وارتباطه بالهوية الإماراتية وبالواقع المحلي لشعب الإمارات بعيداً عن التهويمات الأيديولوجية، ثم نتناول المقومات التي ارتكز عليها الاتحاد، والخصائص التي تجمع الشعب الإماراتي وتمثل عوامل وحدته وتؤكدها، كما نتطرق في سياق تناول مقومات الاتحاد إلى العامل الاقتصادي ودور اكتشاف النفط في تسارع الخطا التي قادت إلى ولادة الدولة الاتحادية، وتوفر مناخ وإمكانيات التنمية والنهوض الشامل على مستوى خريطة الدولة.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد خصصناه لقراءة ملامح ومؤشرات الفكر الاتحادي عند أهم وأبرز شخصية نقلت هذا الفكر من التجريد والطموح النظري ومن التفاهمات الثنائية المحدودة إلى أفق أكثر اتساعاً في الواقع، عبر الخطوات التمهيدية والتحقيق الفعلي للاتحاد وإعلان قياد دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو الدور التاريخي الاستثنائي الذي خطط له وقام به الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، مؤسس الاتحاد والأب الروحي لدولة

الإمارات الحديثة، وإلى جانبه آنذاك الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي الأسبق رحمه الله، الذي لعب دوراً مهماً في الخطوات الأولى لتفعيل الفكر الاتحادي، ثم تكللت الجهود بعد ذلك بتفاعل بقية حكام الإمارات، وكانوا حينها عند مستوى الحدث الذي ترتب عليه بزوغ دولة جديدة في المنطقة من حيث الشكل والصبغة السياسية الاتحادية الفريدة، لكنها في الوقت نفسه ذات جغرافيا عريقة ومتصلة الجذور ومستوفية لشروط الاتحاد على كافة المستويات والمقومات.

في هذا الجزء نقدم أولاً حقائق أساسية عن الإنجاز الاتحادي للشيخ زايد، ثم نتناول ملامح الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- والعوامل التي شكلت شخصيته ودوافع بروز التوجه الاتحادي لديه، والمواقف والخطوات العملية التي قام بها أثناء مرحلة التمهيد للاتحاد، مروراً بتسليط الضوء على الدور الأساسي المهم للشيخ راشد آل مكتوم -رحمه الله- حاكم دبي السابق، الذي شكّل مع الشيخ زايد -رحمه الله- ثنائياً سياسياً وطنياً شجع بقية حكام الإمارات على الإقدام بثقة في التهيئة لقيام الاتحاد.

وسوف نلقي الضوء كذلك في هذا القسم على مرحلة إعلان الاتحاد، ودور الشيخ زايد -رحمه الله- في تفعيل الفكر الاتحادي بعد قيام الدولة، إضافة إلى لمحة عن انعكاس الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- على الصعيدين الإقليمي الخليجي والعربي.

وقبل خاتمة الكتاب، نقدم لمحة سريعة عن بعض ثمار الفكر الاتحادي بعد قيام الدولة الاتحادية، وفي هذا المحور نعترف أننا حاولنا الاختصار قدر الإمكان، لأن إحصاء ما تحقق في الإمارات متجدد كل يوم، ومن الصعب الإحاطة به، لذلك اكتفينا بخطوط عامة لرصد ثمار الفكر الاتحادي وما تحصده الإمارات في الوقت الراهن من نجاحات باهرة في ظل مرحلة الاتحاد.

د. ســالم حـمـيد

رئيس مركز المزماة للدراسات والبحوث

الفكر الاتحادي في الإمارات
قبل قيام الاتحاد

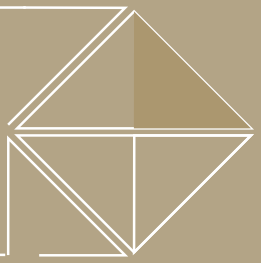

القسم الأول

المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة.

نظرة عامة على الفكر الاتحادي في الإمارات

هناك محطات تاريخية مفصلية في حياة الأمم والشعوب، تمر بها وتتعرض خلالها لامتحان صلابتها وأصالة هويتها، وبقدر أصالة الهوية وتجذرها، بقدر ما تتحدد قابلية البقاء وحتمية الصمود والحفاظ على ملامح الروح الجماعية وطبيعة الخصوصيات المتصلة بمعالم ومكونات كل مجتمع.

وتظل هناك دائماً بعض الشخصيات المؤثرة في محيطها ووسطها الشعبي، تلعب دوراً محورياً وبطولياً في استنهاض الهوية الوطنية للشعوب وتحفيزها وقيادتها، ويحفل التاريخ الإنساني بالعديد من هذه الشخصيات، مثل غاندي في الهند، ومانديلا في جنوب أفريقيا، وعبد الناصر في مصر، والراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الإمارات ومنطقة الخليج العربي؛ زايد القائد الإماراتي الذي بعث الإمارات من تاريخها وعمل بدأب على الوصول بها إلى لحظة إعلان الاتحاد وبداية النهضة المستمرة في الزمن الحاضر.

وبالنظر إلى التدخلات الخارجية والغزوات الاستعمارية التي تعرض لها العالم العربي على امتداد خريطته في مراحل متفرقة، يمكن القول: إن الهوية العربية بقيت عصية على التفتت والانسلاخ عن بيئتها وجوهر تكوينها الشخصي على المستوى الفردي والجماعي، الأمر الذي أسهم في إذكاء واستعادة الروح ونشوء الدولة الوطنية والأنظمة المعاصرة عقب رحيل الاحتلال من منطقة الخليج العربي على مراحل منذ منتصف القرن الماضي، بعد أن أوغل في محاولات التقسيم وتسميم الهويات وزراعة بذور الفُرقة والتشتت، بل وعمل على ترسيم الحدود على الخريطة لجعلها أشبه ما تكون بقنبلة موقوتة، لكن الاستعمار فشل، وظلت الهوية العربية والخصوصيات المحلية الجماعية لكل بلد هي الطود الراسخ الذي تأسست على أكتافه الكيانات العربية على التوالي في النصف الثاني من القرن الماضي.

تلك إشارة أولية، استدعاها السياق ونحن بصدد التقديم لهذا القسم الذي نقدم من خلاله نظرة عامة على الفكر الاتحادي في الإمارات قبل قيام الاتحاد.

ومما لا شك فيه أن هناك العديد من الشواهد والدلائل التاريخية، التي تبين أن إعلان ميلاد دولة الإمارات العربية المتحدة، جاء منسجماً مع واقع الجغرافيا والهوية الواحدة، لأن طبيعة المكان والتضاريس في الإمارات تشير بوضوح إلى

أن مبدأ الاتحاد يمتلك جذوراً تاريخية في الواقع، حيث تكتسب إمارات الساحل – بحسب تسميتها القديمة – قدراً كبيراً ومتوارثاً من الخصوصية التي لم تتغير ولم تتبدل، كشاهد أصيل على وحدة الإمارات تاريخياً وجغرافياً وثقافياً.

وهو ما يعني أن إعلان قيام الاتحاد وتشكُّل الدولة الإماراتية الحديثة، جاء ليلبي ويعزز بشكل عملي مقومات وعوامل الوحدة الإماراتية المتجذرة، ويترجمها كحقيقة تستند إلى عمق طبيعي وإنساني متراكم، يجعل من التلاحم بين الإنسان والجغرافيا في هذا البلد عاملاً أساسياً من عوامل الوحدة التلقائية.

وقد لعب الفكر الاتحادي لدى نخبة الحكام والمجتمع في الإمارات دوراً مشهوداً في تعبيد الطريق باتجاه صياغة لُحمة الإمارات واتحادها، ولعل الواقع القديم والراهن المعاش يمثلان أهم مرجع لا يمكن الاستغناء عنه في سياق تأمل تجذر وحدة الإمارات وامتلاكها قوة دفع ذاتية وموضوعية، تتصل بجوهر الخريطة الاجتماعية في علاقتها بالمكان المتجانس واللصيق بنواة المجتمع الواحد، كما تتوزع هذه القوة الذاتية ما بين قوة تاريخية وأخرى سكانية مترابطة، تؤطرها المصلحة المشتركة التي تمثل الجذوة الأساسية لانبثاق الأمم والدول ونهوضها من أجل تنظيم شؤونها والدفاع عن وجودها.

وإذا ما تأملنا واقع الإمارات اليوم من أرضية اللحظة الراهنة، سنجد أن أكثر من أربعة عقود قد مضت على ذكرى إعلان قيام الاتحاد، وستمضي السنون المتبقية من هذا العقد سريعاً، ليبلغ حينها عمر الدولة الاتحادية للإمارات المعاصرة نصف قرن من الزمن، ترسخت فيه بشكل أعمق على مستوى الوجدان الشعبي والبناء المؤسسي أسس ومداميك الدولة الحديثة، بكل ما لكلمة حداثة من معنى، بالنظر إلى الانتقالة الكبيرة للمجتمع الإماراتي، حيث أدى اكتشاف النفط إلى تحولات اقتصادية كبيرة، ومن ثم انتقال المجتمع الإماراتي من نمط الحياة القبلية إلى المجتمع المدني، ومن نمط اقتصادي متواضع إلى نمط عصري مختلف ومندمج في الاقتصاد العالمي، ومساهم بفاعلية وحيوية في إنتاج وصناعة واستهلاك المعرفة واستلهام كل جديد.

نتحدث إذن عن خمسة عقود تكاد أن تنقضي منذ ولادة دولة الإمارات المعاصرة على خلفية وجودها التاريخي القديم، بما لها من دلالة وتأثير عميق على تجذير الاتحاد على مستوى الهوية الرسمية والمؤسسية، بينما يرى بعض الباحثين في الشؤون السياسية بأن مضي ثلاثة عقود فقط تعتبر فترة كافية لأية دولة لتعزيز مؤسساتها وتحقيق نضج مجتمعها بما يكفي لانتهاج خيارات مدروسة(1).

وهناك نقطة أخرى مهمة جداً في هذا السياق تتعلق بالهوية الرسمية المعاصرة للإمارات التاريخية، وهي أن اسم دولة «الإمارات» قد اكتسب أيضاً دلالة كلية، بحيث صار يحيل في الوعي الجمعي المحلي والعالمي إلى كيان «إماراتي» واحد وهوية واحدة، لدولة تتميز في المقاييس والمؤشرات العالمية بكونها من ضمن الدول التي تنتمي لمؤشرات الصعود والنمو والمنافسة بجدارة، في مختلف المجالات التي يهتم عالمنا المعاصر بقياس مؤشراتها وتحولاتها.

وفي نظرة عامة على الفكر الاتحادي في الإمارات، نرى أن هذا الفكر والتوجه الوطني لم يكن جديداً، بل له جذور عميقة كانت تعبر عن استشراف وقدر أصيل من التشوق والنزوع الوطني في مراحل تاريخية سابقة لبناء اتحاد إماراتي، وكانت كل الظروف الخارجية والاستعمارية المحيطة تحاربه وتعيقه وتقف ضده، إلى جانب ظروف محلية أخرى متفرقة.

والفكر الاتحادي في الإمارات هو فكر سياسي وطني نابع من البيئة الواحدة، ومع مرور الوقت كان هذا الفكر يتطور باستمرار، إلى أن وجد مناخاً محلياً وعربياً يغذيه بشكل أعمق، وبالتحديد مع تزايد نمو الشعور بالوحدة العربية وظهور حركة التحرر العربي.

وبالنسبة للفكر الاتحادي في الإمارات، سوف نكشف عن جذوره العميقة التي سبقت ظهور النزوع والفكر الوحدوي العربي، لكن الأخير كان له بالفعل في مرحلة متقدمة اسهامه أيضاً وتأثيره على التعجيل ببلورة فكر اتحادي إماراتي حديث. إذ يرى أحد الباحثين العرب بهذا الصدد أنه مع مرور السنين أصبحت المدن الكبيرة في الإمارات تمثل صورة لوحدة السكان، عندما صارت تقطنها مجموعات من كل الإمارات، وتصاهرت العائلات، وانتشر التعليم الحديث، وصار من الطبيعي أن تجد فكرة الوحدة مكانة لدى أبناء الإمارات(2).

لكن الباحث ذاته يؤرخ لتبلور هذا النزوع والفكر الوحدوي ببداية عقد الخمسينيات من القرن الماضي وظهور فكرة الوحدة العربية وجامعة الدول العربية في الأربعينيات، ونحن نختلف معه، لأن الفكر والتوجه الاتحادي في الإمارات سابق على هذا التاريخ بمراحل طويلة، وإن كنا نتفق معه بشأن أهمية تداخل السكان وأهمية نشوء المدن الإماراتية ودور تطور الأنشطة الاقتصادية والتجارية والمصاهرات في خلق نواة مجتمع الاتحاد الحديث، مع التأكيد على أن الفكر الاتحادي لدى الحكام ونخبة الشعب عميق وله شواهد عديدة كان الاستعمار يشعر بالقلق تجاهها ويقمعها منذ القرن الثامن عشر.

وسوف نلقي في هذا القسم نظرة عامة على الفكر الاتحادي في الإمارات، باعتباره الأساس الذي نما في مخيلة القادة الإماراتيين على مراحل، مدعوماً بجاهزية عامة وحالة شعبية منحت التوجه الاتحادي زخماً وتأييداً كبيراً، إلى أن أضفى عليه المرحوم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان توجهاً عملياً نتج عنه قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر عام 1971م، وسنتناول دور الشيخ زايد -رحمه الله- كذلك في تفعيل الفكر الاتحادي بعد إعلان قيام الدولة في القسم الثاني.

مفهوم الفكر الاتحادي

بداية يجب التأكيد على أن لكل بيئة محلية خصوصياتها، ولكل شعب حكمته المتوارثة وطاقاته الحضارية الكامنة بداخله، والتي تتكون عبر الزمن على مدى أجيال متعاقبة، وعلى أساس هذه المرجعية يمكن إدراك الخصوصيات التي تميز مفهوم كل شعب وتطبيقه للأفكار والسياسات التي تنبع من بيئته وتجاربه المتراكمة.

لقد ظلت المركزية الأوروبية تفرض سطوتها وتفسيراتها للتحولات وتعريفاتها للمفاهيم وفقاً لنظرة سوسيولوجية أحادية نرجسية، لا تلقي بالاً لخصوصيات الشعوب ومقدرتها على إنتاج أفكارها وأنظمتها السياسية وتعريفاتها الخاصة للمفاهيم، التي تبدو من حيث صياغتها اللفظية ذات أبعاد تشترك في المعنى، لكن الجوهر العميق يظل يحمل اختلافات تبعاً لمقدرة كل بيئة على إضفاء روح خاصة على الأفكار، تتأسس على الخبرات التاريخية والممارسات الحية لتلك الأفكار والمفاهيم في الواقع.

وتالياً تأثر الدارسون العرب وعلى وجه التحديد المختصون بالعلوم الاجتماعية بالمفاهيم الغربية ونظرتها للأنساق والجماعات من زاوية العلوم الإنسانية الغربية، فتم إسقاط المنظور الغربي في علم الاجتماع والعلوم السياسية على تفسير وتأويل الأنساق في المجتمعات العربية، وجرى تجاهل الخصوصيات الحضارية والطاقة الداخلية لكل مجتمع على إنتاج تحوله الخاص، باستثمار حكمته وتراثه وتجاربه وواقعه.

وإذا نظرنا لـ «الفكر الاتحادي» في الإمارات فإنه يحيل من حيث اللفظ وبشكل مباشر إلى المسار الفكري والتجارب التي أنتجت في ما بعد النظام الاتحادي الفيدرالي، كشكل من أشكال النظم السياسية العديدة المعمول بها على مستوى العالم.

غير أن هذا الفكر وممارسته العملية في الإمارات، إنما يعبران بصدق عن مسار تجربة إماراتية ذات خصوصية واضحة، ويتطلب فهمها قراءة تاريخ التحالفات القبلية الكبرى في الإمارات، والتعرف إلى نمط من الذكاء السياسي المبهر الذي كان يحتفظ بأعلى قدر من التلاحم والوحدة السياسية، ويحمي المجتمع من التشظي، ويجيد صناعة توازن القوى وتوزيع النفوذ بين الفئات المؤثرة في المجتمع منذ القدم، بالإضافة إلى استناد هذا الأداء على شكل محلي أصيل من أشكال الديمقراطية وصناعة الإجماع عبر الشورى والتضامن الجماعي.

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان كان بطل الفكر الاتحادي، خلال فترة رحيل بريطانيا من منطقة الخليج العربي. الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يوقع على الوثيقة المتعلقة بإنهاء اتفاقية العلاقات الخاصة المبرمة ما بين أبو ظبي وبريطانيا، بحضور الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان ومعالي أحمد بن خليفة السويدي ومعالي محمد الحبروش 1/ديسمبر/1971.

ويمكن اختصار مفهوم الفكر الاتحادي في الإمارات في كونه توجهاً وطنياً وحدوياً، يرى في الوحدة ضرورة سياسية حتمية، ويبني تصوره لها على أساس متوازن وعقلاني، ينحاز للشكل الاتحادي الذي يتلاءم مع طبيعة تنوع وثراء البنية السياسية والاجتماعية التي تتكون منها الإمارات.

أما الإطار العام الذي تبلور من خلاله الفكر الاتحادي فيتعلق بما يميز المجتمع الإماراتي من حيث خصوصياته وطاقاته الكامنة وحكمته المتوارثة، التي تمكنه من ابتكار الرؤى والتصورات للحفاظ على بقائه، وتمنحه مقدرة على مواجهة التحديات التي يفرضها الزمن.

وتتحمل النخبة في أي مجتمع مسؤولية استشراف التحديات والتفكير بمعالجتها، والوصول إلى مرحلة المناعة والقوة التي تكفل حماية المجتمع وتطوير شؤون حياته، وهذا ما قامت به نخبة الحكام في الإمارات.

وإذا كان الشكل الاتحادي/الفيدرالي من أشكال النظم السياسية الحديثة والمعاصرة، فإن حكام الإمارات قد استلهموا هذا الشكل من واقع بيئتهم، وأضفوا عليه من المرونة ما يجعله مستوعباً لكل ما يميز الدولة الاتحادية الحديثة في عالمنا المعاصر، وبذلك يتميز الفكر الاتحادي في الإمارات من حيث المفهوم والممارسة، بكونه يمثل نزعة وطنية إماراتية محلية وقومية من حيث الجوهر والمضمون، وفي الوقت ذاته يتماهى مع المشاعر القومية العربية التي سادت منذ ما قبل منتصف القرن الماضي، أثناء مرحلة التحرر من الاحتلال الأجنبي، إلا أن الفكر الاتحادي في الإمارات زاوج منذ البداية بين الشعور الوطني والقومي الوحدوي من حيث الجوهر، وبين الانحياز بحكمة ورؤية استشرافية مستقبلية للنظام الاتحادي من حيث الشكل، بمعنى أن العاطفة وحدها لم تكن المحرك الوحيد والدافع لتبلور الفكر الاتحادي، بل تزامن النزوع إلى الوحدة وبناء الوطن الإماراتي ودولته مع رؤية عميقة، كان كل همها الحفاظ الدائم على المنجز المتمثل بكيان الدولة الواحدة. لذلك جاء الشكل الاتحادي ليمثل الضمانة والأداة العملية الأكثر حداثة وملاءمة لواقع الإمارات من بين الأشكال الأخرى، بدليل تعثر الكثير من المشاريع الوحدوية العربية التي اتخذت من العاطفة وحدها مقياساً للطموحات الوحدوية الاندماجية، ولا مجال هنا للاسترسال في عرض الأمثلة العربية التي تعرضت للانتكاس لأسباب عديدة، مقارنة بنجاح التجربة الإماراتية.

إذن، في المحصلة النهائية يمكن اعتبار الفكر الاتحادي في الإمارات بأنه نتاج فلسفة سياسية، على صلة عميقة بالبيئة الإماراتية وخصائصها الاجتماعية والسياسية، وبطبيعة السلطة داخل الأسر الحاكمة، التي تحظى بالقبول الشعبي في المجتمع الإماراتي، كما أن الفكر الاتحادي ممارسة عملية معبرة عن توجه وحدوي، وهذا التوجه قائم على إدراك ضرورة وحتمية التوحد، واستلهام عوامله التاريخية والواقعية والمستقبلية، واتخاذ شكل النظام الاتحادي الفيدرالي وسيلة لتحقيق الهدف وضمان ديمومته، وصولاً إلى تكريس وترسيخ بناء الدولة الاتحادية ذات السيادة والشخصية الاعتبارية الدولية الواحدة، والممثلة بهوية واحدة وسياسة خارجية ودفاعية واحدة، وهو ما تحقق بالفعل.

الخلفية العامة للفكر الاتحادي والأطوار التي مر بها

من الطبيعي أن كل فكر أو توجه سياسي عام، ينشأ عن حاجة وإدراك يتبلور لدى النخبة الحاكمة أو الفاعلين الأساسيين في المجتمع. والفكر الاتحادي في الإمارات في أطواره ومراحله المختلفة كان انعكاساً لاحتياجات تطلبها الواقع، لكنه تأسس أيضاً على نضج سياسي وحنكة لدى الحكام والقادة البارزين والمؤثرين في تاريخ الإمارات.

والحديث عن الخلفية العامة للفكر الاتحادي في الإمارات متصل كذلك بالأطوار التي مر بها هذا الفكر أو التوجه الذي ظل ينمو في الوجدان الإماراتي، فكانت المشاعر الوطنية الموحدة قبل قيام الدولة تحمي هوية الإمارات في الذاكرة الشعبية العامة. أما الطور الأحدث من الفكر الاتحادي والذي نتج عنه إعلان قيام الدولة الإماراتية على كامل جغرافيتها التاريخية؛ فقد بلغ من النضج والإرادة القوية ما مكنه من تحقيق الهدف. بالإضافة إلى توفر الزعامة الشجاعة والمخلصة ممثلة بمؤسس الاتحاد الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه.

في الوقت ذاته كان الفكر الاتحادي يواجه أيضاً ظروفاً وتحديات مختلفة وأكثر صعوبة من الظروف السابقة، وتطلبت التحرك والتقاط الفرصة، وبخاصة بعد انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج، ومواجهة حكام الإمارات آنذاك لخيارات مفتوحة، حُسمت بعد ذلك نتيجة لجهود الشيخ زايد -رحمه الله- لصالح إقامة دولة الإمارات العربية المتحدة، لتتشكل من الإمارات السبع المكونة لخريطة الإمارات وهي: (أبوظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين، رأس الخيمة، الفجيرة)، بعد أن كان الطموح الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- ممتداً ليشمل إلى جانب الإمارات السبع قطر والبحرين أو ما عرف بمشروع الاتحاد (التساعي).

وبصفة عامة فإن الخلفية التي كانت ولا تزال تستلزم بروز الروح الوطنية الإماراتية والحاجة للتوحد وتنسيق المواقف، هي خلفية الهوية الواحدة والمجتمع الواحد الذي يتقاسم التحديات ذاتها والجغرافيا ذاتها التي يعيش عليها المواطن الإماراتي اليوم.

ونستطيع القول: إن الفكر الاتحادي في الإمارات مر بثلاثة أطوار، ولكل طور منها ظروفه وخلفياته السياسية والأهداف التي كانت مرجوة منه بحسب الاحتياجات التي كان يفرضها الواقع في المراحل المختلفة:

الطور الأول: سنتطرق إليه بإسهاب في هذا القسم، ونطاقه الزمني يمتد طويلاً، وقد واجه خلاله الشعب الإماراتي محاولات عدوان خارجي مستمرة ومتعددة القوى والأشكال، وأبرز من ظهر في تلك المرحلة من حكام الإمارات وحرص على توحيد رأي الإماراتيين وجمع صفوفهم الشيخ زايد بن خليفة -رحمه الله-، حاكم إمارة أبوظبي القوي المعروف بزايد الكبير أو زايد الأول، الذي حكم أبوظبي بين 1855 و1909م. وفي تلك الفترة كانت حدود وتطلعات الفكر الاتحادي تقنع بالتنسيق بين الوحدات القبلية القائمة آنذاك بشكلها البسيط وتركيبتها الاجتماعية والسياسية المرتكزة على التحالفات القبلية.

وأبرز مثال على التوجه الاتحادي في تلك المرحلة الاجتماع الذي دعا إليه حاكم أبوظبي آنذاك الشيخ زايد بن خليفة -رحمه الله-، والتأم بحضور حكام الإمارات في منطقة الخوانيج في أوائل شهر أبريل من عام 1906م(3).

وسبقت هذه الفترة حالة يقظة يسجلها التاريخ ويحكي عن بروز المشاعر الوطنية الإماراتية الموحدة أثناء الغزو البرتغالي لسواحل الخليج العربي وبحر العرب أوائل القرن السادس عشر للميلاد.

أما الطور الثاني للفكر الاتحادي والذي صارت احتياجاته أكثر تعقيداً وطموحاً، فيتمثل في مرحلة إمارات الساحل بشكل عام أثناء التواجد البريطاني في المنطقة. وفي هذه الفترة كانت الوحدات القبلية في الإمارات قد تطورت إلى حد ما اقتصادياً، واكتسبت ملامح سياسية يدل عليها تعامل البريطانيين أثناء تواجدهم في المنطقة بندية مع الإمارات السبع، وما رافق تلك الفترة من توقيع اتفاقيات وإقامة علاقات مع كل إمارة على حدة، رغم اجحاف وظلم تلك الاتفاقيات.

وفي أواخر تلك الفترة ظهرت أيضاً بشائر الاكتشافات النفطية في الإمارات. ومر الفكر الاتحادي خلالها بطور مختلف سنأتي على ذكر ملامحه وتجلياته في المكان المناسب من هذا القسم.

وأخيراً الطور الثالث للفكر الاتحادي، ممثلاً بمرحلة رحيل بريطانيا وانتهاء نفوذها الاستعماري في العالم العربي عامة ومنطقة الخليج على وجه الخصوص. وبطل الفكر الاتحادي في هذه الفترة هو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه.

وقد أخذ الشيخ زايد -رحمه الله- على عاتقه مهمة جمع كلمة حكام الإمارات كما فعل جده الشيخ زايد بن خليفة، وعمل

الشيخ زايد -رحمه الله- بجهد وصبر على تأسيس الدولة الإماراتية الاتحادية الحديثة، والارتقاء بالمواطن الإماراتي وأنماط حياته الاقتصادية والسياسية من الشكل الفسيفسائي ومن الوحدات أو الإمارات المنفصلة عن بعضها سياسياً – رغم وحدتها الجغرافية والسكانية والثقافية – إلى الإمارات الواحدة المتحدة وإلى الإمارات/الدولة ذات الهوية السياسية الواحدة والقوة القادرة على حماية أراضيها وسيادتها. وسوف نتطرق لهذه المرحلة في القسم الثاني من الكتاب بالتفصيل، ونفرد لها مساحة كبيرة نظراً لأهميتها.

ويقتضي الحديث عن الخلفية العامة للفكر الاتحادي على مستوى الإمارات التنبه لحقيقة مهمة، وهي أن تركيبة المجتمع الإماراتي القائمة تاريخياً في الأصل على البناء القبلي والتحالفات القبلية، تعتبر من المؤثرات الاجتماعية الأساسية التي تستدعي حضور الفكر الاتحادي بخلفية اجتماعية أصيلة وراسخة.

والبناء القبلي في الإمارات لا يختلف عن بنية وخصوصيات القبيلة العربية، التي تتعامل مع الفرد بوصفه ابناً لعائلته الكبيرة، أي القبيلة، لذلك فإن النزعة الاتحادية في هذه الحالة تبدو أيضاً نزعة فطرية، ونابعة من الحرص على لم الشتات ورعاية الجميع.

وهناك بعض التنظيرات السوسيولوجية الفوقية التي تتعالى على بنية القبيلة كنسق اجتماعي عربي أصيل، وتتصف به معظم البيئات العربية إجمالاً، لكنه في بعض البيئات العربية كان عامل انقسام وفوضى بعكس الإمارات.

نقصد أن تلك التنظيرات الفوقية التي لا تتفهم دور القبيلة، تقوم باسقاط مفاهيم غربية للتحول الاجتماعي على النمط الأوروبي وما حدث بعد الثورة الصناعية في مسألة بناء الدولة وتشكل مجتمعها الحديث. في حين يظهر خطأ مثل هذا التصور الاستشراقي الغربي الذي يستعيره بعض الباحثين العرب باعتساف للقفز على ممكنات الشعوب وحكمتها المتوارثة وخصوصياتها الحضارية النابعة من بيئتها، بدليل أن البناء القبلي في الإمارات أوجد دولة حديثة البنيان والملامح. وكل عقد يمضي منذ قيام دولة الإمارات العربية المتحدة يشهد تحولات كبرى في الإمارات، التي صارت كما يعرف الجميع وجهة مفضلة للعمل والاستثمار والإقامة، بل وتنافس في مؤشرات سيادة القانون كما في الدول الاسكندنافية. أما على المستوى العربي ودول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فالإمارات تأتي في المقدمة بلا منافس في حقول ومؤشرات عديدة.

ما نهدف للوصول إليه في سياق تأمل أطوار الفكر الاتحادي في الإمارات، هو أن القبيلة كنواة متينة للمجتمع الإماراتي لم تكن عائقاً أمام تحقيق نهضة المجتمع وإسعاد المواطن، وبناء دولة عصرية يسود فيها القانون ويتم توجيه الثروة فيها لخدمة المجتمع. وذلك لأن مؤسس الدولة الاتحادية كان يعي منذ البداية الهدف الذي يسعى إليه، وهذا ما يجعل من شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- المؤسس حاضرة بقوة وملهمة للأجيال الإماراتية الجديدة.

وإذا كان الفكر الاتحادي قد أدى في السبعينيات من القرن الماضي إلى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، فإن الفكر ذاته كان في ما سبق يقود الإماراتيين في مراحل تاريخية عديدة نحو تشكيل تحالفات قبلية اتحادية كبرى ومؤثرة في الماضي، كما هو الحال في حلف قبائل بني ياس التي وحدت إمارة أبوظبي المترامية الأطراف، وأيضاً حلف القواسم الذين بلغ نفوذهم وامتداد حكمهم إلى «لنجة» على الساحل الفارسي. بمعنى أن الفكر الاتحادي وفقاً لطبيعة وتركيبة المجتمع الإماراتي يمتلك نزوعاً فطرياً واجتماعياً نحو التكاتف والتآزر منذ القدم، إلى جانب المسحة السياسية التي تطورت بعد ذلك وأثمرت ولادة الدولة الإماراتية في العصر الحاضر.

لمحة من تاريخ الإمارات

تلك آثارنا تدل علينا..

تاريخ الإمارات موغل في القدم وعريق، وإن كانت الاكتشافات الأثرية تأخرت، إلا أن نتائجها جاءت مذهلة في مختلف مناطق الإمارات. وعندما نتحدث عن الجانب التاريخي فنحن نعني تاريخ منطقة الإمارات بسكانها وجغرافيتها، حيث ارتبطت التحولات الحضارية في جغرافيا الإمارات على مر العصور بتاريخ الجزيرة العربية وهجرات السكان وانتقالهم بين ربوعها والحضارات التي نشأت وتداخلت في المنطقة.

وقد اهتم عدد من الخبراء والمؤرخين وعلماء الآثار من أنحاء العالم بتاريخ الإمارات، وفي مؤتمر دولي كبير عقد في عام 2008 بعنوان «مفاهيم جديدة في تاريخ الإمارات العربية المتحدة(4)» أتيحت فرصة نادرة واستثنائية للإطلال والوقوف على محطات تاريخية بارزة رصدت الإمارات في مراحل تاريخية مختلفة من زوايا عديدة.

وتتبعت دراسات الخبراء والباحثين جذور منطقة الإمارات العربية المتحدة في فترة العصور السحيقة، من العصر الحجري حتى عصر ما قبل ظهور الإسلام وما بعده من مراحل. ومن خلال الدلائل والاكتشافات يجزم علماء الآثار أن سجل الإمارات الأثري غني جداً ويحكي عن ثمانية آلاف عام من الحضارة، وأن أدوات أثرية عُثر عليها في جبل براكة بإمارة أبوظبي يعود تاريخها للعصر الحجري، مما يؤكد على حضور قديم للإنسان على أرض الإمارات. ومن العصر الحجري إلى العصر البرونزي وحضارة «أم النار» نسبة إلى جزيرة أم النار التي تقع ضمن إمارة أبو ظبي، وما أظهرته الاكتشافات الأثرية فيها من أدلة أثرية ساهمت في تسليط الضوء على ثقافة السكان الأوائل للإمارات العربية المتحدة ونمط حياتهم قبل الميلاد، حيث عمل سكان الجزيرة في الصيد وصهر النحاس، ومارسوا التجارة خارج حدود الجزيرة ليصلوا إلى بلاد الرافدين ووادي السند، وتمّكنوا من إقامة المستوطنات. وهناك دلائل أخرى على حدوث تفاعل حضاري بين مجتمعات الساحل والواحات الصحراوية الداخلية.

ومجال الحديث عن التاريخ القديم للإمارات يطول ويتشعب، لأن كافة المراحل التاريخية سجلت تحولات حضارية في جغرافيا الإمارات وتجذراً سكانياً ظل على صلة بالأرض والتمسك بها والتأقلم مع ظروفها وسماتها المناخية والاقتصادية.

وهناك من المؤرخين من ركزوا على فترة ما قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام، مع الوضع في الاعتبار تداخل الحضارات التي نشأت في منطقة الإمارات وعمان والجزيرة العربية والخليج بوجه عام، وكلها محطات كان لجغرافيا الإمارات فيها حضور مركزي طبقاً للاكتشافات الأثرية الحديثة التي بدأت نتائج حفرياتها بالظهور في الخمسينيات من القرن الماضي. ولا يتسع المجال لسرد المواقع الأثرية التي تغطي كافة مناطق الإمارات وجزرها وما تم اكتشافه حتى الآن من معلومات مذهلة وجديدة بالنسبة لعلم الآثار عن تاريخ الإمارات.

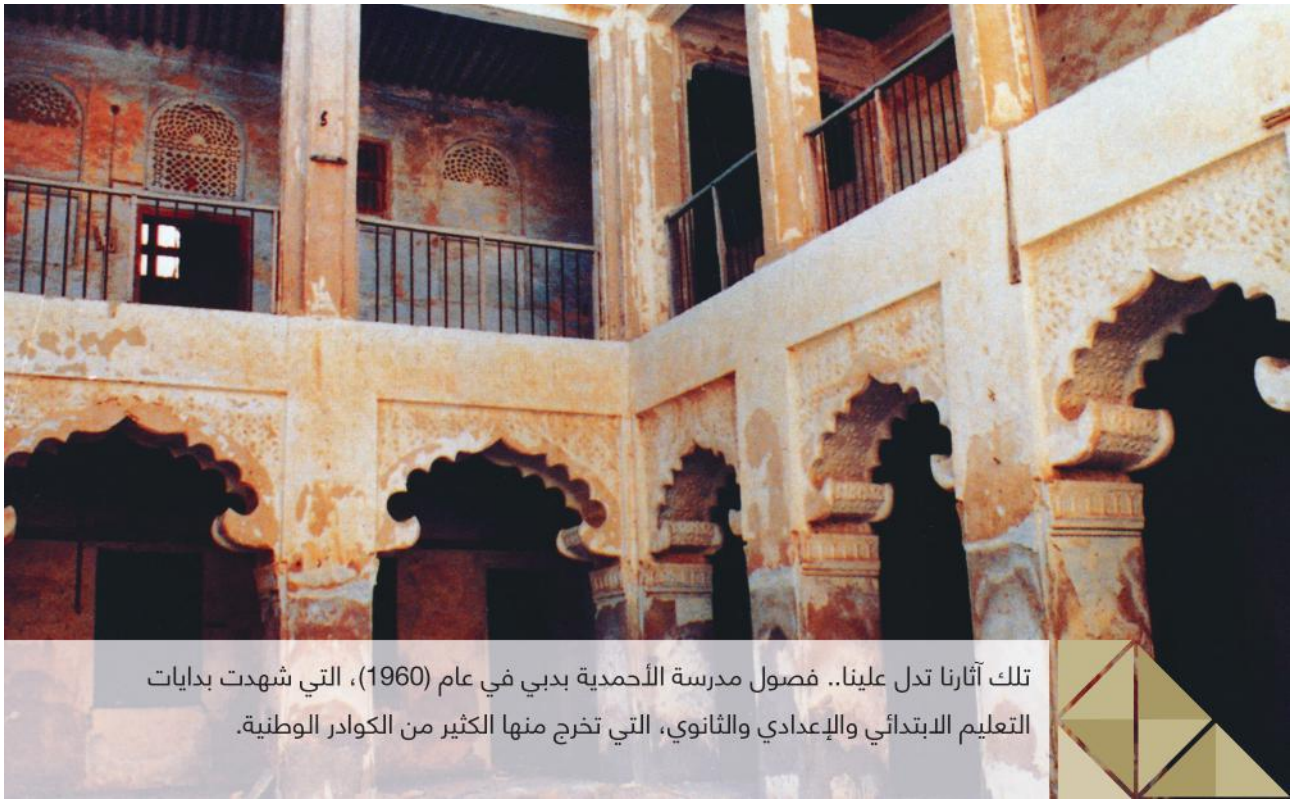

تلك آثارنا تدل علينا.. فصول مدرسة الأحمدية بدبي في عام (1960)، التي شهدت بدايات التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي، التي تخرج منها الكثير من الكوادر الوطنية.

سنوات العدوان: من البرتغاليين إلى الفرس إلى البريطانيين

واجهت الإمارات على مدى تاريخها أطماعاً استعمارية متعددة، نظراً لموقعها الاستراتيجي وما تمتلكه من شواطئ وموانئ مهمة للتجارة والصيد على الخليج العربي، ناهيك عن امتلاكها في فترات تاريخية متلاحقة أساطيل بحرية ضاربة وقفت في وجه الطامعين وأغرقت سفنهم الغازية. وكانت كل محاولات الغزو والتدخل الخارجي تستدعي منذ وقت طويل وفي كافة المراحل انبعاث الروح الوطنية الإماراتية الموحدة لمجابهة مختلف أشكال العدوان ومحاولات الاحتلال منذ القرن الخامس عشر.

وظلت أرض الإمارات متحدة في مواجهة العدوان ومحتفظة بهويتها الثقافية والاجتماعية التي تتميز بخصوصيات وعلامات اجتماعية فارقة تجعلها أحد أعمدة الخليج والجزيرة العربية، كما هي اليوم مكوناً أصيلاً ومستقلاً ضمن مكونات العالم العربي استناداً إلى تاريخها العريق وهويتها المتجذرة. إذ أن للإمارات هوية مميزة على مر العصور تتمثل في علاقة الإنسان الإماراتي بمجتمعه وجغرافيا وطنه، رغم الأطماع التي قادت القوى الاستعمارية القديمة للتطفل على الإمارات ومحاولة إخضاعها وإنهاك مصادر اقتصادها وأنشطة سكانها الذين عملوا في التجارة والصيد واستخراج اللؤلؤ، وقاوموا أعتى الحملات التي قادتها القوى الأجنبية المتعددة.

ومن الأمثلة على العدوان الخارجي ومحاولاته الشرسة للهيمنة على سواحل الإمارات العدوان البرتغالي على منطقة الخليج العربي الذي بدأ في العام 1507م، حيث استطاعت القوات البرتغالية اكتساح السواحل الشرقية (ساحل الشميلية) التابع لإمارات الساحل (دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً) وارتكب الغزاة البرتغاليون باسم الصليب مجازر فظيعة ضد أهل إمارات الساحل وأحرقوا ودمروا وشوهوا الجثث المتناثرة.

عندما ذهل أهل إمارات الساحل من تلك السفن البرتغالية الضخمة ومن أصحاب البشرة البيضاء وأسلحتهم المتطورة، أعلن حاكم سواحل الإمارات الشرقية آنذاك الشيخ سيف الدين الجبوري الحرب على الغزاة الجدد، وأمر بقرع طبول الحرب عليهم، فيما كان أهالي الإمارات ينشدون أهازيجهم الشعبية استعداداً للحرب غير المتكافئة بين الطرفين. لكن البرتغاليين كانوا هم الأقوى وتمكنوا من دحر قوات ساحل الإمارات الشرقي، وانهزم الشيخ سيف الدين واضطر للهرب إلى الضفة

واجهت الإمارات أطماع من البرتغاليين والفرس والبريطانيين على مدى التاريخ.
(صورة القائد البرتغالي ألفونسو دي ألبوكيرك - Afonso de Albuquerque).

الشمالية من الخليج العربي، أي إلى بر فارس وذلك عام 1515م، وكانت الهزيمة من قبل البرتغاليين سبباً لبداية الهجرة الإماراتية إلى البر الآخر من الخليج.(5)

وبقيت الحرب مستمرة مع قيام الدولة اليعربية في عُمان، وقيام الدولة النهيانية في إمارة بني ياس على يد الشيخ فلاح بن ياس، وكذلك قيام الدولة القاسمية على يد الشيخ كايد بن عدوان، وتمكنوا بالتعاون مع الدولة اليعربية من تلقين البرتغاليين دروساً عسكرية على مدى السنوات اللاحقة، فيما كانت دولة القواسم تمد نفوذها لتشمل جميع الإمارات الشمالية وسواحل إيران الجنوبية، مع تحديد مدينة لنجة آنذاك عاصمة لدولة القواسم في الجنوب الإيراني.

أساطيل فرسان البحر

كانت الدولة الصفوية الإيرانية تبحث عن حلفاء يساعدونها على دحر البرتغاليين منذ العام 1600، ودخلت في معاهدات مع الدولة القاسمية، وكان حاكم إيران يُدعى عباس شاه إسماعيل الصفوي الذي اعترف بملكية الشيخ كايد بن عدوان القاسمي لمساحات شاسعة من الأراضي الواقعة جنوب غرب إيران حالياً، هذا بالإضافة إلى كامل الجزر الإماراتية الجنوبية التي تتضمن جزر طنب الكبرى والصغرى وأبو موسى.

لكن الدولة الصفوية خانت العهود والمواثيق وهاجمت العاصمة التاريخية لدولة الإمارات رأس الخيمة، وانشأت قاعدة عسكرية فارسية، فقامت قوات القواسم بالتعاون مع القوات اليعربية في العام 1631 بسحق الإيرانيين ودحرهم وردهم خائبين، واستسلم القائد الفارسي ناصر الدين العجمي، وعلى إثر تلك الهزيمة الإيرانية حرص الشيخ كايد بن عدوان على ضرورة إلحاق عدد كبير من أهالي إمارته بالهجرة إلى الضفة الأخرى من الخليج كي يحافظ على ممتلكاته، وبذلك الزعيم كايد يشكل النواة الأولى للإمارات القاسمية.(6)

ثم شكلّت الوفاة المفاجئة لحاكم الدولة اليعربية ناصر بن مرشد آل عرب (أو اليعربي) في العام 1649 عن عمر يناهز 46 عاماً فرصة أخرى للإيرانيين للدخول في حروب جديدة مع عمان وإمارات الساحل. لكن الفرس لم يضعوا في حسبانهم أن سكان إمارات الساحل وكذلك الدولة اليعربية في سلطنة عُمان قد تمكنوا من طرد البرتغاليين بصورة نهائية من البلاد ما بين عامي 1649 و1650، وأنهم كانوا على استعداد للدخول في حروب جديدة مع الإيرانيين من جهة، ومن جهة أخرى مع بقية القواعد البرتغالية في الهند والساحل الشرقي للقارة الأفريقية.(7)

وكان اليعاربة يحققون الانتصارات المتتالية على البرتغاليين كلما ظفروا بهم في مختلف بلدان الرياح الموسمية، وكانت القوات البرتغالية تتساقط وقواعدهم تتحطم وتنهار، هذا ما جعل الفرس يعيدون حساباتهم أمام القوة العسكرية البحرية الهائلة لقوات القواسم في إمارات الساحل والقوات العمانية، حيث كانت السفن الحربية القاسمية والعمانية حينها من مختلف الأحجام والأوزان والقادرة على حمل عشرات المدافع. هذا بالإضافة إلى دخول الفرس في حروب ضد الدولة الأفغانية.

وازدادت الهجرات العربية من إمارات الساحل إلى البر الفارسي لإقامة المزيد من القرى والمدن العربية التابعة للإمارات، وقامت عدة قبائل من إمارات الساحل بتأسيس المناطق العربية وعلى رأسها مدينة لنجة الساحلية في الجنوب الإيراني ومنطقة الدوار ومنطقة بيخة وبنج وبندر مسلم ومهركان وبركة صالح وقرى كريز وقرى سني وهرمند وأميران وجبنه وجشه وبستانه وبلدة تاونة والمقام والعرمكي، بالإضافة إلى ملكية إمارات الساحل التاريخية والأصيلة لجميع الجزر في الخليج. ومن القبائل العربية الشهيرة التي هاجرت إلى البر الفارسي قبيلة القواسم وآل حماد والنصور وآل علي والمرازيق والعبادلة والمعين وغيرهم الكثير، هذا بالإضافة إلى إقامة القواعد العسكرية العديدة تحسباً واستعداداً لصد أي هجوم إيراني على مناطق النفوذ التي أوجدها القواسم على ساحل الخليج العربي في البر الفارسي.(8)

وفي عام 1715 قامت قوات الفرس بهجوم مباغت على بعض السفن التابعة للقواسم وسلطنة عُمان ونهبها بقيادة شخص يُدعى شجاع الدين العجمي، فقام قائد القواسم حينها الشيخ قضيب بن كايد بالكتابة إلى إمام عُمان سلطان بن سيف الثاني للقيام بعمل انتقامي، وهذا ما حصل، وكانت السفن العسكرية العربية تمطر القلاع والحصون الفارسية في بلدة لنجة بوابل من نيران المدفعية وتدكها دكاً، بينما أصبح الفرس عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، بل أن قائد الفرس شجاع الدين هرب خلسة نحو شيراز.(9)

وفي فترة لاحقة قام أمير القواسم حينها الشيخ رحمة بن مطر القاسمي في العام 1716 بإرسال قوات قاسمية من رأس الخيمة للسيطرة على جزيرة «القسم» الواقعة على مدخل الخليج العربي، ثم قامت القوات القاسمية العمانية المشتركة بعملية إنزال في الجزيرة وتم احتلالها، واسس عليها القواسم محطة تجارية، ثم توجهة القوات نحو هرمز، لكن المدفعية الفارسية كانت شديدة القوة، ما أدى إلى فرض حصار على مضيق هرمز.(10)

ولم تكتفِ قوات القواسم والقوات العمانية بذلك الانتصار، بل قررت طرد الفرس من جزيرة البحرين عام 1717، وبالفعل باغتت الفرس بهجوم خاطف على الرغم من الاستعدادات الإيرانية في البحرين، وتمكنت القوات العربية من سحق القوة الفارسية في جزيرة البحرين، مع وقوع خسائر فادحة في الأرواح والأملاك بين مختلف الأطراف، فيما هرب قائدهم إلى موطنه في الضفة المقابلة من الخليج العربي، وعلى إثر ذلك الانتصار أيضاً ازدادت رقعة السيطرة القاسمية والعمانية على سواحل الخليج.(11)

تحالف إيراني بريطاني هولندي

في عام 1731 شعرت إمارات الساحل المتمثلة حينها بالقوتين الكبيرتين: إمارة بني ياس وإمارة القواسم بتزايد الخطر الفارسي المتربص بإمارات الساحل وملحقاتها في البر الفارسي. وشهد ذلك العام أيضاً بروز حاكم جديد للدولة الفارسية وهو نادر شاه، الذي بمجرد ما أن استلم زمام السلطة في فارس حتى عمل على تطوير القوات البحرية الإيرانية وقام بشراء أحدث الأسلحة وأحدث السفن الحربية البريطانية والهولندية، وقام كذلك بتخصيص ميناء بوشهر الإيراني كقاعدة لسلاح البحر الإيراني ومن خلاله يتم تسيير الأساطيل الفارسية ضد إمارات الساحل.(12)

واستمر الصراع بين إمارات الساحل والدولة الفارسية لعقود، وكانت الأحداث الكبرى والتدخلات الخارجية المعادية توحد صفوف أهالي إمارات الساحل وتشد من عزيمتهم لصد العدوان الفارسي الذي استمر في تعزيز قدراته العسكرية، مع الاستعانة بخبرات عسكرية بريطانية وهولندية، مشكلين أسطولاً كبيراً بلغ تعداده نحو خمسة آلاف مقاتل فارسي، ثم تقدم ذلك الأسطول نحو مدينة خورفكان على الساحل الشرقي من إمارات الساحل، وذلك في يوم 4 أبريل من العام 1736 وتم احتلال المدينة، ثم توجه الفرس نحو مدينة رأس الخيمة ليعسكروا هناك.(13)

واستمرت الحروب المتقطعة التي كانت الدولة الإيرانية تستعين خلالها بقوى أجنبية، وفي العام 1740 كانت إمارات الساحل، وتحديداً إمارة القواسم بقيادة الشيخ مطر بن ارحمه القاسمي، تعد العدة للانتقام من الدولة الإيرانية على ما ارتكبته في السنوات السابقة من جرائم في حق الإنسانية، وكان حاكم بلاد الفرس نادر شاه قد اصيب بالذعر أمام انتقام القواسم وخسارته لجزء كبير من الاسطول الفارسي على يد القوات العربية، فطلب من جديد النجدة من بريطانيا وهولندا، فقامت الأخيرة بتزويد الأسطول الفارسي بالمزيد من السفن الأوروبية والمعدات العسكرية المقاتلة والمتطورة.(14)

وعلى الرغم من كافة الاستعدادات الفارسية والأوروبية لمواجهة الاسطول القاسمي في مياه الخليج، إلا أنهم انهزموا أمام القواسم في 12 نوفمبر عام 1740، وشعر قائد الأسطول الإيراني تقي خان بالانهزام، فأصدر أوامره لبقية السفن بالانسحاب نحو جزيرة «القسم» (أو الجسم حسب التسمية الفارسية)، لكن قائد الأسطول القاسمي استمر بملاحقة الأسطول الإيراني والهولندي إلى جزيرة القسم، فانسحب الأسطول الإيراني مجدداً من جزيرة القسم نحو ميناء كنك

الفارسي، فيما عاد الأسطول القاسمي بعد هذا الانتصار المؤزر إلى رأس الخيمة بعد أن تمكن من الاستيلاء على عدد لا بأس به من السفن الحربية الفارسية، وأول ردة فعل من قبل أمير فارس نادر شاه قيامه بعزل قائد القوات البحرية الفارسية وتعيين قائد جديد اسمه سردار فردي خان، واستمر حاكم فارس نادر شاه في إرسال الخطابات إلى الدولة البريطانية والهولندية يرجوهم مساعدته في استرجاع السفن الفارسية من القواسم.(15)

وتعتبر إمارة القواسم من أقدم الكيانات في المنطقة العربية التي انشأت ما يعرف اليوم بمفهوم «خفر السواحل»، واعترضت تلك القوة العديد من السفن البريطانية التجارية واحتجزتها لانتهاكها المياه الإقليمية لإمارة القواسم، فثار المقيم السياسي البريطاني جون بيموت في مدينة بوشهر، مطالباً الشيخ صقر بن راشد بن مطر القاسمي(16) بإعادة السفن البريطانية لكن أمير القواسم رفض ما لم تقم الحكومة البريطانية بدفع غرامة لانتهاك تلك السفن مياهه الإقليمية.(17)

كان موقف الشيخ صقر بن راشد القاسمي حاكم إمارة القواسم وتسيير دوريات لخفر السواحل، يُعد حقاً مشروعاً له طبقاً للقوانين والأعراف الدولية، فمن غير المعقول أن تقوم سفن الدول الأخرى بانتهاك حرمة شواطئ الآخرين بلا استئذان أو دفع رسم عبور. ونجح الشيخ صقر فعلاً في تعزيز خزانته بمورد مالي مشروع، لكن بريطانيا لم تعترف بالحقوق المشروعة لدول المنطقة في فرض رسوم العبور والحفاظ على السيادة، فأطلقت آنذاك لقباً ظالماً هو «ساحل القراصنة» على إمارات الساحل.

ولمن يود معرفة خلفية هذا الافتراء البريطاني ننصح القراء ممن يرغبون في الاطلاع على المزيد عن أسطورة «ساحل القراصنة» بقراءة كتاب باللغة الانكليزية لصاحب السمو الشيخ د. سلطان بن محمد القاسمي بعنوان «The Myth of Arab Piracy in the Gulf» ردّ فيه على جميع الافتراءات والتأويلات التي قام بعض الساسة البريطانيين بإلصاقها زوراً وبهتاناً بـ«إمارات الساحل».

أما من يرغب في قراءة المزيد حول الافتراء البريطاني في حق سواحل الإمارات فننصحه بقراءة كتاب بعنوان «The Pirates Coast» لمؤلفه المقيم السياسي البريطاني في البحرين في بدايات القرن الماضي تشارلز بلجريف.

ومن ضمن المؤرخين الأجانب الذين أنصفوا القواسم ونفوا تهمة القرصنة التي كانت تختلقها بريطانيا يحضر اسم المستشرق الروسي «ميخين فيكتور ليونوفيتش» مؤلف كتاب «حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر(18).

وفي مقدمة كتابه، يقول ليونوفيتش: إن المؤرخين الإنكليز كثيراً ما كانوا بعيدين عن التجرد في كتاباتهم. فقد كانوا يكتبون التاريخ بنزعة معينة، وبالشكل الذي يتناسب مع الساسة البريطانيين لهذه المنطقة، ويزيفون الوقائع صراحة بغية تبرير استعمارهم لها. فتارة يتهمون العرب بالقرصنة، وترة أخرى بتجارة الرقيق. وكانوا يزيفون الوقائع، ويختلقون الأحداث بحيث يحملون المرء على الاعتقاد بأن الأمن في المنطقة لم يكن ليستتب لولا وجود الإنكيز فيها(19).

وفي موضع آخر من كتابه يقول الكاتب الروسي أيضاً نافياً تهمة القرصنة: إنها تؤكد جهل الباحثين الإنكليز لواقع الخليج العربي، ولمختلف العوامل المؤثرة فيه. فسكان المنطقة الأصليون أناس لا يختلفون عن سواهم بشيء. فلهم دوافعهم الإنسانية الطبيعية، ويمارسون أنشطة بشرية عادية كالتجارة، التي كانت مهنتهم على مر القرون. والعامل الوحيد غير الطبيعي هنا هو غزو الدول الغربية للمنطقة، ولا سيما شركة الهند الشرقية التي كان هدفها الأساسي استعباد القبائل المقيمة في الخليج واستغلالها(20).

من جهة أخرى، استمرت القوات البريطانية في استفزاز إمارة القواسم، الأمر الذي دفع بسفن القواسم إلى استخدام القوة وضرب بعض البحارة الهنود وسفنهم، كونهم من رعايا المملكة المتحدة.

مرحلة إضعاف القواسم

بدأت إمارة القواسم القوية تضعف ويدب الوهن في قوتها المنيعة. ويكمن أساس المشكلة في دخول أطراف أخرى في الصراع، إلى جانب الحرب التي كانت تدور بين إمارات الساحل والدولة الإيرانية، كما أسهمت بعض الحروب والتدخلات الجانبية في المنطقة بدور كبير في خسارة إمارات الساحل لأراضيها في بر فارس وكذلك الجزر القريبة من السواحل الفارسية. ففي عام 1798 تعرضت إمارات الساحل وإمامة عُمان لدخول طرف جديد نجح في زعزعة الأمن الداخلي متمثلاً في الدولة الوهابية الأولى، التي كانت تسعى لاحتلال أكبر قدر من أراضي الجزيرة العربية لنشر الوهابية، وخدمت تلك الأحداث وما رافقها من صراعات تقوية الجانب الإيراني وإضعاف إمارات الساحل، وعلى وجه التحديد إمارة القواسم.

ففي عام 1799 تعرضت عاصمة إمارة القواسم رأس الخيمة لنكسة حقيقية عندما رفض حاكمها الشيخ صقر بن راشد القاسمي مساعدة الوهابيين في الحرب التي أعلنوها ضد إمامة عُمان، وكانت قوات الوهابيين قد تمكنت من الوصول إلى واحة البريمي بقيادة عبد نوبي اسمه سالم بن بلال الحارق، وقام ببناء قلعة في البريمي.

كما قام الوهابيون بإرسال قوة أخرى بقيادة راشد بن سنان المطيري، وإثر الرفض القاسمي التعاون معهم ضد عُمان، أعلن الوهابيون الحرب على إمارة القواسم، لكن حاكمها الشيخ صقر بن راشد القاسمي نجح في ضربهم وتشتيت قواتهم. وبعد تلك الهزيمة التي لحقت بالوهابيين قام القائد الوهابي مطلق المطيري بإعداد جيش كبير قوامه 4 آلاف جندي، وحاصر مدينة رأس الخيمة لمدة 17 يوماً، عانى خلالها أهل رأس الخيمة الجوع والعطش الشديد، بسبب سيطرة الوهابيين على آبار الماء، ولم يكن أمام الزعيم القاسمي إلا الموافقة على الصلح، لكن المطيري اشترط اعتناق القواسم للفكر الوهابي، ولم يكتفِ المطيري بذلك بل اشترط أيضاً هدم جميع الأضرحة.(21)

بعد قيام الوهابيين بتدمير قبور وأضرحة الأولياء في رأس الخيمة، انتفض أهل رأس الخيمة غاضبين من ذلك التصرف، وحلّ هياج عام بين السكان، وقاموا بقتل 10 جنود وهابيين، فأصدر مطلق المطيري أوامره بالقضاء على المقاومة، ثم غدر بالزعيم القاسمي وألقى القبض على عدد كبير من شيوخ وأعيان رأس الخيمة، وتم نفيهم إلى مدينة لنجة القاسمية في بر فارس.(22)

كانت تلك الحادثة أيضاً أحد أسباب تفكك الدولة القاسمية. واستمرت الأوضاع الداخلية في إمارات الساحل عموماً في تخبط مستمر خلال السنوات اللاحقة، ولم تتوقف الصراعات والانقسامات، بينما كان الجانب الإيراني المتمثل في الدولة القاجارية يعد العدة.

ويشير أحد الباحثين إلى فترة الانقسام تلك، التي نجمت عن الحملة البريطانية التي استهدفت إمارة رأس الخيمة. لكن الباحث ذاته يلاحظ في كتابه الذي صدر عن الأرشيف الوطني في أبوظبي إلى أنه ورغم حدوث الانقسامات بفعل التدخل الاستعماري، إلا أن عوامل أخرى كانت تعمل باستمرار على صهر سكان الإمارات معاً، إذ ظلّت النشأة التاريخية توحد الإماراتيين في القرن الثامن عشر، كما وحدهم الدين واللغة، والتاريخ الإماراتي الوطني والعربي والاسلامي. وكان موسم الغوص كمثال يجمع بين الإماراتيين في المغاصات ومواسمها في كل عام. كما حدثت هجرات وتنقلات طبيعية تعكس وحدة الشعب من عائلات أو أقسام من القبائل من إمارة إلى أخرى(23). وهذا كان ولا يزال حال الإماراتيين في أرضهم الواحدة، يتنقلون بين ربوعها ويستقرون حيثما طاب لهم المقام في أي منطقة من الإمارات.

وأمام استمرار البحرية البريطانية في انتهاك المياه الإقليمية القاسمية بدون استئذان اندلعت المواجهات البحرية ما بين القوات البحرية للقواسم والبريطانية في الخليج العربي، وكانت أغلب تلك المعارك تنتهي بانتصار الأسطول القاسمي.

وبسبب تفوق سفن القواسم وحمايتها للمياه الإقليمية من تسلل السفن البريطانية، أعلنت بريطانيا الحرب على إمارة القواسم عام 1809، وقامت بتشكيل حملة بحرية تحتوي على أحدث السفن والمدافع البريطانية المتطورة، وفي 14 سبتمبر 1809 انطلق الأسطول البريطاني المتطور العتاد والعدة من ميناء مدينة بومباي (مومباي) الهندية نحو عاصمة إمارة القواسم رأس الخيمة، واستغرقت الرحلة أسابيع عدة ولم تصل إلى رأس الخيمة إلا بتاريخ 10 نوفمبر 1809، ولم تكن رأس الخيمة على استعداد لمواجهة تلك الحملة البريطانية المخيفة.(24)

الحملة العسكرية البريطانية الأخطر ضد الإمارات

يوم 4 نوفمبر 1819 خرجت أكبر حملة عسكرية بريطانية مسعورة عرفتها «إمارات الساحل»، إذ شهد ميناء بومبي الهندي في ذلك التاريخ المشؤوم استعدادات وحركة عسكرية ضخمة على غير العادة، لارتكاب جريمة بحق الإنسانية ومجزرة مروعة ضد أهالي رأس الخيمة، حيث جمعت بريطانيا أساطيلها المحمّلة بأحدث المدافع الضخمة، وأكثر من 3000 عسكري بريطاني، وفوج الملك الـ47 والـ65 وفرقة مشاة الكتيبة الأولى، وغيرها من الفرق والكتائب البريطانية. وبخلاف آلاف الجنود البريطانيين تمت الاستعانة أيضاً بمئات المرتزقة من أوروبيين وهنود، لكن على الرغم من ضخامة تلك الحملة البريطانية، التي كانت تحت قيادة الجنرال ويليام جرانت كير، لم تكن حكومة الهند البريطانية واثقة بقدرتها على الوقوف بندية أمام أساطيل رأس الخيمة، حيث سبق للأسطول البريطاني وغيره من الأساطيل الأخرى في المنطقة التعرض للهزائم المتكررة أمام رأس الخيمة، وخشية أن تنهزم بريطانيا مجدداً، قامت بإجراء اتصالات مع دول أخرى في منطقة الشرق الأوسط، كانت على عداء مع رأس الخيمة، وتم تكوين تحالف عسكري لم تشهد له «إمارات الساحل» مثيلاً، ومن ضمن تلك الاتصالات إرسال بريطانيا مبعوثاً إلى إبراهيم باشا، نجل محمد علي باشا حاكم مصر آنذاك، وطلبوا منه الاشتراك في الحملة، مقابل حصوله على حامية عسكرية في رأس الخيمة، في حال انتصارهم، واعتذر بسبب الوضع غير المستقر للقوات المصرية في شبه جزيرة العرب، لكن الاعتذار المصري لم يؤثر على الحملة، وعملت بريطانيا على مدى الأيام والأشهر التالية على تشكيل تحالف عسكري لتحقيق غرضها، وجمعت نحو 8000 محارب مدججين بالسلاح، وكانت نقطة التجمع جزيرة القسم (قشم حالياً)، ومن هناك انطلقوا نحو رأس الخيمة لارتكاب مجزرتهم المروعة، التي استمرت ثلاثة أسابيع، قاتل فيها أهالي رأس الخيمة قتال الأبطال، وانتهت يوم 9 ديسمبر1819 وأمام هول الجريمة البريطانية وافقت بقية إمارات الساحل على إبرام اتفاقية السلام (1820) الشهيرة في تاريخ الإمارات، خشية أن تتعرض بقية مناطق الإمارات لما تعرضت له رأس الخيمة، ثم تلت تلك الاتفاقية اتفاقيات أخرى عديدة، ولم يتخلص منها الشعب الإماراتي إلا عام 1971 بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، أي بعد مرور 151 عاماً من العنجهية البريطانية. فكان الفكر الاتحادي أساساً لقيام دولة الإمارات وحفاظها على هويتها الراسخة.(25)

وهنا لا نتفق مع العبارة القائلة: «التاريخ يكتبه المنتصر»، وكأن المنهزم لا يمتلك الحق في كتابة تاريخه، وتبرير أسباب

هزيمته أمام السلاح البريطاني المتطور! وبالاطلاع على أغلب محتوى الأرشيفات الدولية التي جاء فيها ذكر الإمارات، لم نجد أرشيفاً مثل الأرشيف البريطاني ينفرد بصوغ ما يريد حسب وجهة نظره فقط، وحسب ما يخدم مصالحه، ودليل آخر على ذلك، استعانته بالفرس والهنود لتدوين الأحداث المحلية في مشيخات الإمارات، والذين احتوت تدويناتهم على الكثير من التلفيقات، أشهرها الترويج لخرافة القرصنة والحديث بخبث بهدف التبرير للتواجد البريطاني عن «ساحل القراصنة»، وهو أيضاً عنوان كتاب استعلائي، مملوء بالمبالغات والمغالطات، كتبه المستشار البريطاني تشارلز بالغريف، ونُشر عام 1966 لكن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي أحسن الرد على البريطانيين بكتاب له باللغة الإنجليزية تحت عنوان «أسطورة القرصنة العربية في الخليج»، وبالاطلاع أيضاً على موسوعة «دليل الخليج» للمؤرخ والجغرافي جوردن لوريمر، نجد اللغة الاستعلائية واضحة تماماً.

وبالعودة إلى جانب من تفاصيل تلك الحملة، فإننا نجد أن مجموع السفن الحربية البريطانية المتوجهة نحو رأس الخيمة كانت 33 سفينة وفرقاطة حربية وسفينة نقل، وتراوح عدد مدافع كل سفينة من 10 إلى 50 مدفعاً ضخماً، هذا بخلاف المدافع الأرضية، و75 قارباً لنقل الجنود، وحرصت بريطانيا على استخدام أحدث التكنولوجيا في ذلك الوقت وأحدث الآلات الحربية المتطورة، بالإضافة إلى طاقم عسكري محترف، لأن بريطانيا كانت راغبة في حسم أمر «ساحل القراصنة»، حسب كذبهم، وكان الإنكليز غير راغبين في خوض حرب طويلة، فتذرعت بريطانيا بالقرصنة! لكن الحقيقة هي خشيتهم من تنامي القوة البحرية لـ «إمارات الساحل». وبعد نجاح حملتهم في تدمير نحو 200 سفينة حربية لإمارات الساحل واصل الأسطول البريطاني غزوته المبرمجة في التدمير، وتوجه نحو أم القيوين ودمر حصونها وميناءها وسفنها، والأمر ذاته تم تطبيقه في عجمان والشارقة ودبي، ونالت كل مدينة في الإمارات نصيبها من القتل والتدمير، وقبل أن تعود الحملة إلى بومبي توجهت إلى البر الفارسي للبحث عن أية سفينة تابعة لأية إمارة من «إمارات الساحل» وقامت بقصفها وإغراقها في البحر بمن فيها، رغم أن أغلبية تلك السفن كانت تجارية ومخصصة لنقل البضائع، لكن الشرر كان يتطاير من عيون البريطانيين، واللغة الوحيدة التي كانوا يجيدونها هي لغة المدافع.(26)

لم ترغب بريطانيا في دخول مواجهة بحرية مع أسطول رأس الخيمة في الخليج، وفضلت مفاجأة المدينة وتطويق مينائها وقصف سفنها، ولم تتمكن رأس الخيمة سوى من تحريك 10 سفن من أسطولها، وانهزم أمام الأسطول البريطاني، وبتاريخ 30 نوفمبر 1819 تمكن مقاتلو رأس الخيمة من نقل عدد كبير من النساء والأطفال وممتلكاتهم بعيداً عن

الساحل، وبلغ عدد المقاتلين نحو 4000 فيما بلغ عدد جنود الأعداء نحو الضعف.(27)

بتاريخ الثالث من ديسمبر 1819 بدأ التراشق المدفعي بين الطرفين، وكانت الدفاعات الأرضية في المدينة تقصف السفن البريطانية بكثافة عالية دفعتها للتراجع والابتعاد عن مرمى مدفعية رأس الخيمة، وتمكن المقاتلون الأبطال من تعزيز مواضعهم وخنادقهم الدفاعية، الأمر الذي دفع بالبريطانيين الى إنزال أول دفعة من الجنود، عددهم 500 في موقع يبعد عن المدينة مسافة ميلين، وفي اليوم التالي كان التراشق المدفعي أشد كثافة، والمدينة تحترق والبيوت تُهدم والحصون تخترقها القذائف، وتمكنت كتيبة بريطانية أخرى من النزول، وأثناء قيامهم بتجهيز بطاريات مدافع أرضية تعرضوا للقصف من قبل مقاتلي رأس الخيمة، وتم تدمير الدفاعات البريطانية، وبعد مرور يومين نفد مخزون رأس الخيمة من القذائف، ما ساعد البريطانيين على تكثيف عمليات الإنزال والاشتباك المسلح، ولكن فرقة من فدائيي رأس الخيمة جازفت بالتقاط القذائف البريطانية التي لم تنفجر بعد لإعادة استخدامها، لكنها كانت قليلة ولم تحل مشكلة نفاد مخزون القذائف، فقام الشجعان باستخدام الصخور عوضاً عن القذائف لإطلاقها على رؤوس البريطانيين، بينما المدفعية البريطانية مستمرة دون توقف في قصف المدينة بوحشية، تدكها دكاً والجثث تتناثر هنا وهناك في معارك مثيرة، وقد فاحت رائحة الموت التي صاحبها عويل النساء والأطفال الذي ملأ الأسماع. كما لعبت المرأة دوراً بطولياً، وتسللت مع الرجال في إحدى ليالي المعارك للانقضاض على الجنود البريطانيين، وقتلوا نحو 200 بريطاني في ليلة واحدة، وسقطت النساء أيضاً شهيدات بجانب الرجال ذوداً عن حياض الوطن وهن يروين ترابه الغالي بدمائهن الطاهرة، وبلغ عدد شهداء رأس الخيمة أكثر من 1000 شهيد.(28)

بعد نجاح الإنجليز في تدمير مدينة رأس الخيمة، قاموا بأسر مئات الأهالي من رجال ونساء وأطفال، وتم سجنهم في الحصون، ثم اندفعوا فوراً للقيام بأعمال سلب ونهب المنازل، وقاموا بالاستيلاء على نحو 80 سفينة راوحت حمولتها ما بين 40 و250 طناً، ونحو 70 مدفعاً أرضياً، ووفقاً لشركة الهند الشرقية قُدرت قيمة المسروقات التي نفذها البريطانيون بنحو 277 ألف روبية هندية.(29)

في يوم 18 ديسمبر 1819 توجهت الحملة البريطانية المسعورة إلى بلدة الرمس، وكان في انتظارها نحو 400 مقاتل من أهاليها، وفي اليوم التالي بدأ التراشق المدفعي بين الطرفين واستمر لمدة خمسة أيام، تم فيها تدمير البلدة ثم وقع الاشتباك المسلح، وبلغ عدد الجنود البريطانيين الذين تم إنزالهم أكثر من 1500 مقاتل، فكانت معركة غير متكافئة

انتصر فيها الإنجليز. ومن تبقى على قيد الحياة من مقاتلي الرمس بلغ عددهم نحو 177 تم أسرهم وإرسالهم إلى مدينة رأس الخيمة لسجنهم هناك، ثم توجهت الحملة إلى أم القيوين وعجمان والشارقة ودبي، وتم قصف تلك المدن وتدمير السفن والحصون، لكن من دون إنزال بري، ويعود السبب على ما يبدو للإنهاك الذي تعرض له الإنجليز ومرتزقتهم، واختتمت الحملة أعمالها الوحشية بتدمير السفن المدنية لإمارات الساحل في البر الفارسي.(30)

ونستنتج من هذا الاستهداف الذي طال كامل جغرافيا الإمارات وشعبها في ذلك الوقت المبكر وحدة مصير الإماراتيين ومواجهتهم الجماعية لأخطار كانت تؤكد وحدة الإمارات وتعزز في ضمير كل إماراتي المشاعر الوطنية والالتحام بتربة الوطن.

وقد اشترطت بريطانيا على جميع إمارات الساحل مقابل إطلاق سراح سجناء رأس الخيمة الموافقة المبدئية على توقيع معاهدة سلام تتم صياغتها لاحقاً في يناير 1820 ووافقت كل الإمارات وتم إطلاق سراح السجناء قبل التوقيع. وهذا يدل على مدى حجم التآخي التاريخي والحزن والمصير المشترك بين الإماراتيين حكاماً ومحكومين قبل اشهار وتأسيس الدولة الاتحادية التي جمعت شعب الإمارات في كيان واحد بـ151 عاماً، رغم أن السجناء كانوا من منطقة وإمارة واحدة فقط وليسوا من كل الإمارات.(31)

وقبل أن تغادر الحملة ترك البريطانيون حامية لهم في رأس الخيمة قوامها 800 جندي هندي مرتزق، كانت وظيفتهم إكمال تدمير كل الحصون والدفاعات في المدينة، وهذا ما تم الانتهاء منه بتاريخ 26 ديسمبر 1819 وقد أثارت المجزرة البريطانية سخط مسلمي الهند، وأعلنوا الجهاد ضد حكومة الهند البريطانية آنذاك، ونشبت فيها العديد من الثورات، ما دفع بالبريطانيين إلى مراجعة سياستهم نحو مسلمي الهند.(32)

واعتباراً من يوم الثامن من يناير 1820 وما تلاه من أيام، بدأت بريطانيا فرض معاهدة الإذعان المعروفة بمعاهدة «1820» لكل إمارة على حدة، ونصت بنودها على تسليم كل الحصون والقلاع والمدافع في إمارات الساحل لبريطانيا لتدميرها، ومنع صناعة السفن الحربية، والاكتفاء بسفن الغوص وصيد الأسماك، مع احتفاظ كل سفينة بوثيقة ملكية خاصة تبين مواصفات السفينة، وتسليم كل الأسرى الهنود إن وجدوا، ووقف كل أعمال «القرصنة» البحرية، حسب زعمهم وتزويرهم للتاريخ وحسب ادعائهم لتبرير حملتهم الوحشية، كما نصت المعاهدة على أن تقوم كل إمارة بتغيير علمها بحيث لا يتجاوز العلم اللون الأحمر مع حاشية بيضاء، وتعد تلك الأعلام الأكثر قدماً على مستوى الوطن العربي، كما نصت البنود على

تعيين مندوب للحكومة البريطانية في إمارات الساحل.(33)

ويؤرخ صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي لفترة الاحتلال البريطاني في كتابه(34) الذي يركز فيه بالتحديد على أهم أحداث تاريخ الشارقة والقواسم في تلك الفترة. إلا أن النطاق الزمني للكتاب (1820- 1866) يعالج الكثير من الأحداث البارزة التي أثرت على الإمارات آنذاك وما ترتب على الحضور البريطاني الذي فرض معاهدة عام 1920م.

ومما يسرده الكتاب من وقائع بخصوص أفعال البريطانيين الانتقامية والقاسية بعد احتلالهم لرأس الخيمة في شهر ديسمبر من عام 1819م، عندما توجهت القوات البريطانية إلى مدن الساحل بين الرمس والشارقة، تهدم الحصون والقلاع، وتحرق السفن الراسية في موانئها. وكان نصيب الشارقة حينما وصلها كبير الضباط البريطانيين «توماس تانر» أن قام هو وفرقته بتاريخ الرابع والعشرين من شهر يناير من عام 1820م بتنفيذ عملية تدمير أجزاء تلك المدينة. وقد شملت العملية أربعة من المساكن المحصّنة، وكذلك تم تدمير خمسة أبراج متصلة مع بعضها البعض بواسطة سواتر منخفضة من الحيطان تمثل سور الشارقة، حيث تم استخدام الألغام والمتفجرات لإنجاز تلك المهمة.

ولعل أشد ما حدث من عدوان أثيم من قبل البريطانيين هو أن «وليم بروس» المقيم في أبوشهر، قام ومن دون أن تصدر إليه أوامر باصطحاب كابتن «لوخ» في جولة عربدة، تم بموجبها تدمير السفن العربية على كلا جانبي الخليج، فقد ذكر أن «لوخ» قاد أسطولاً يتألف من عدة سفن للبحث في كل موانئ الخليج عن أية سفينة للقواسم تكون قد نجت من التدمير على الساحل العربي.

وفي عملية العربدة تلك تم تدمير خمسين سفينة والاستيلاء على واحدة وثلاثين سفينة بيعت لصالح القوات البريطانية. كان من ضمن تلك السفن تسع وعشرون سفينة وجدت في خور رأس الخيمة. وكان نصيب الشارقة من تلك العملية العدوانية الآثمة أن تم تدمير أربع وثلاثين سفينة من سفنها، والاستيلاء على إحدى عشرة سفينة ذات قيمة عالية، تم بيعها لصالح القوات البريطانية.

وفرض البريطانيون على القواسم (ثم بقية حكام الإمارات) شروط معاهدة عام 1820م المريبة، وكان من ضمنها إنزال راية القواسم ورفع راية الاحتلال(35).

من تداعيات الحملة البريطانية

عقب فرض بريطانيا الوصاية على إمارات الساحل، استمر الفرس في استغلال الوضع المتدهور ليبسطوا نفوذهم على الأراضي الإماراتية في البر الفارسي عام 1887. وأعلنت إيران عام 1887 الحرب رسمياً على إمارة القواسم، وقامت بتسيير أساطيلها البحرية لدك مدينة لنجة، ثم تمكنت من احتلالها في معارك غير متكافئة بين الجيشين القاسمي والفارسي، وتمكن الفرس أيضاً من احتلال الأراضي المجاورة لما حول مدينة لنجة، وبذلك أسهمت بريطانيا بشكل مباشر في النجاح الفارسي بالسيطرة على الجزر الإماراتية كذلك، لأنها كانت تمنع إمارات الساحل من القيام بأية أعمال عسكرية ضد الفرس، كما كانت ممتنعة عن الرد على احتجاجات حكام إمارات الساحل المطالبة بإعادة الأراضي الإماراتية المحتلة لدى الفرس، وحاولت بريطانيا التفاوض مع الفرس لكنهم رفضوا العروض البريطانية بشكل قاطع.

وفي عام 1888 رفعت إيران وتيرة دورياتها البحرية حول الجزر الإماراتية المحتلة وميناء لنجة بغرض جباية الضرائب والرسوم الجمركية على السفن في استفزاز واضح ضد إمارات الساحل، وقامت الدولة الإيرانية بإرسال الخطابات إلى السلطة البريطانية مدعية تبعية الجزر ومدينة لنجة، وهذا ما رفضته إمارة الشارقة.

وارتفع منسوب التوتر والقلق من دون دخول الأطراف المختلفة في حرب جديدة، لكن الدولة الفارسية استطاعت تطوير أساطيلها البحرية وعززتها بالسلاح الحديث من روسيا وأبرمت معها معاهدة صداقة ودفاع مشترك من أجل التخلص من السيطرة البريطانية. غير أن البريطانيين في الحقيقة هم الذين مهدوا الطريق أمام الأساطيل الإيرانية لغزو لنجة، حيث فرضت بريطانيا حصاراً على كافة مناطق الإمارات وطوّقت سفنها ومنعتها من الاقتراب من السواحل الإيرانية.

وكانت المعاهدة التي فرضتها بريطانيا على الإمارات عام 1820 قد منعت الإمارات من بناء السفن والفرقاطات الحربية، بينما سمحت لإيران بتعظيم أساطيلها، وقامت القوات الإيرانية بحشد أكثر من 7 آلاف مقاتل لغزو لنجة بينما كان عدد المقاتلين القواسم العرب فيها أقل من ألفي مقاتل. وفي 5 مارس 1899 سقطت مدينة لنجة القاسمية بيد الفرس نهائياً وعم الحزن والأسى جميع مناطق الإمارات، أما بريطانيا فأرسلت تحذيرات إلى حكام الإمارات لمنعهم من محاولة استرجاع لنجة ودعتهم لتقبل الواقع الجديد.

وبسبب الحظر البريطاني على البحرية الإماراتية اضطر الشيخ زايد الكبير حاكم أبوظبي عام 1900 إلى إرسال وفد رفيع المستوى بالنيابة عن جميع إمارات الساحل إلى الدولة الإيرانية يطلب منها حلولاً ودية بدلاً من حالة الحرب الدائمة بينها وبين إمارات الساحل، إذ كان من المتوقع أن توجه إيران أساطيلها نحو الجزر العربية التابعة لإمارات الساحل.(36)

ولقيت مبادرة الشيخ زايد الكبير آنذاك صدى في إيران، وقام الشاه بإرسال رسالة جوابية للشيخ زايد، وأهداه سيفاً ذهبياً. مع العلم أن الشيخ زايد طالب الدولة الإيرانية بدفع تعويضات لجميع العرب الذين تم تهجيرهم من البر الفارسي إلى البر الإماراتي. وعلى الرغم من أن مقاطعة لنجة لم تكن تتبع أبوظبي بل تتبع إمارة الشارقة، لكن الشيخ زايد -رحمه الله- كان يعتبر جميع إمارات الساحل بلاده، كما وثق بقية حكام الإمارات بتصرف الشيخ زايد الكبير.

ثم فشلت مبادرة الشيخ زايد بسبب تدخل الدولة البريطانية التي احتجت على المبادرة الظبيانية في إرسالها لوفد رفيع المستوى إلى بلاد الفرس، واعتبرتها خرقاً للمعاهدة الموقعة بين إمارات الساحل وبريطانيا، وقامت بإرسال مدمرة إلى ساحل أبوظبي في استعراض لقوتها، مهددة الشيخ زايد الكبير بعدم التواصل مجدداً مع الفرس ونسيان سقوط لنجة نهائياً. وبهذا خاب أمل إمارات الساحل في استعادة لنجة، وخشيت إمارة الشارقة أن تسقط جزر أبوموسى وطنب الكبرى والصغرى بيد الفرس، فعملت على تعزيز قواتها فيها وشجعت بعض سكان إمارات الساحل على الهجرة إليها.

من جهة أخرى، انتعشت حركة التجارة في ميناء دبي الذي أصبح تدريجياً الميناء البديل لحركة التجارة في منطقة الخليج بعد سقوط ميناء لنجة، حيث فضّل أغلب تجار لنجة الهجرة إلى دبي، التي شهدت انتعاشاً ملحوظاً عام 1903. وبدأت مدينة دبي في استقبال جنسيات مختلفة، وخاصة فئة العمالة من الهنود والإيرانيين، كما شهدت المدينة غلاءً كبيراً، وأصبحت الأكثر حركة ونشاطاً وارتفاعاً في المستوى المعيشي.

وبالعودة إلى موضوع الفكر الاتحادي الذي كان يجمع كلمة الإماراتيين في مختلف المراحل، سوف نتناول فيما يلي الفكر الاتحادي عند قائد إماراتي مؤثر من قادة الرعيل الأول ومن المؤسسين للروح الاتحادية في الإمارات، وهو الشيخ زايد الأول الشهير بزايد الكبير نظراً لدوره المؤثر وشعبيته العريضة وثقة جميع حكام الإمارات في عهده بحكمته واقتداره وشخصيته القوية.

انطلاق الروح الوطنية الإماراتية والحلم المبكر بالاتحاد

مرت الإمارات قبل اتحادها بطور البنى والتحالفات القبلية التقليدية، التي شكلت زعاماتها في بادئ الأمر السلطة السياسية في كل إمارة، مع فوارق وتباينات ميزت كل إمارة من حيث قوة ونفوذ وتماسك التحالفات ونشاطها الاقتصادي.

واتسمت ملامح وبدايات الفكر الاتحادي في هذه الفترة بتلبية احتياجات محددة، على رأسها فض النزاعات وتنظيم الشؤون الاقتصادية وعقد الاتفاقيات ذات الأغراض المختلفة والمتعددة. غير أن حلم الاتحاد وظهور بوادر الفكر الاتحادي في أذهان الشيوخ والحكام، كان يتجلى بوضوح في أوقات الشدة، وأثناء اللقاءات التي كانت تجمع حكام الإمارات منذ وقت طويل، بما لها من دور في إذكاء المشاعر الوطنية الإماراتية والتوق إلى التوحد وبناء الدولة التي يستظل تحت رايتها شعب الإمارات.

وسنرى كيف كان البريطانيون يشعرون بالقلق من نمو هذه الروح الوحدوية، وكيف كانوا يضاعفون من نشاطهم الاستعماري بكثافة، بهدف الإبقاء على انقسام الإمارات، والضغط على حكامها الوطنيين وشيوخها المتطلعين للوحدة منذ زمن بعيد، لثنيهم عن انتهاج وتبني الفكر الاتحادي.

لكن هذا الفكر والتوجه الاتحادي هو الذي تغلب في النهاية، مستنداً ليس فقط إلى النزوع الوحدوي في رؤوس الحكام، بل مستنداً في الأصل إلى تجذر وحدة الإمارات التي تتحدث عن نفسها من خلال البيئة الواحدة والروح الوطنية المتلاحمة والخصوصيات التي تشكل هوية الإمارات وتميزها وترسم ملامحها كوطن مكتمل الشخصية. الأمر الذي جعل من قيام دولة الاتحاد بشكل رسمي تعميداً لتلك الوحدة الطبيعية الضاربة بجذورها في عمق التاريخ.

ولتسليط الضوء على بواكير الفكر الاتحادي في مرحلة ما عرف بإمارات الساحل، سوف نستهل هذه الفترة بالتركيز أولاً على شخصيتين مهمتين وهما: حاكم أبوظبي بين عام 1855 و 1909 الشيخ زايد بن خليفة (زايد الكبير)، وحاكم دبي الشيخ سعيد بن مكتوم (1878-1958). ثم نلقي بعد ذلك نظرة عامة على ملامح وتمظهرات بواكير الفكر الاتحادي وبداياته في مرحلة إمارات الساحل، وقبل قيام الدولة الاتحادية بشكل عام.

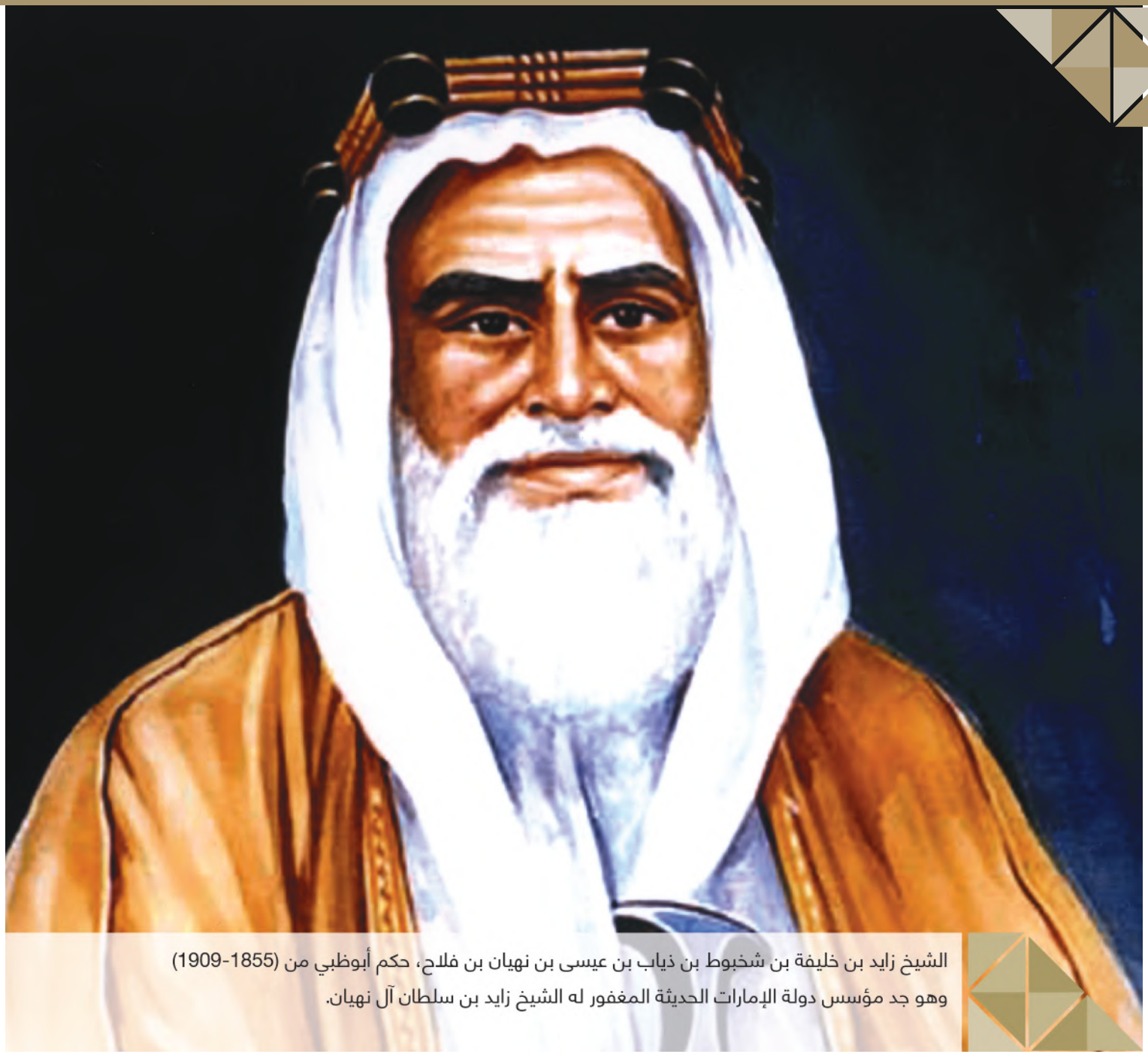

الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى بن نهيان بن فلاح، حكم أبوظبي من (1855-1909) وهو جد مؤسس دولة الإمارات الحديثة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

الفكر الاتحادي في عهد الشيخ زايد الأول

أنجبت أسرة آل نهيان العديد من الشيوخ الحكماء الكبار، الذين وحدوا أبوظبي ذات المساحة الواسعة، وعززوا فيها الفكر الاتحادي ابتداء بتثبيت وحدة الإمارة المترامية الأطراف أولاً، وبسط وتقوية نفوذها، وإخماد النزاعات الصغيرة بين القبائل التي تقطن ربوعها الفسيحة، أو المجاورة لها. ويكفي شيوخ آل نهيان الأوائل أنهم قاموا بدور لا يستهان به في توحيد إمارة أبوظبي، وبخاصة أنها كانت تضم عدة عشائر وأفرع قبلية، وتتضمن مناطقها تنوعاً يشمل جزيرة أبوظبي باعتبارها العاصمة السياسية للإمارة، والظفرة التي تمثل المقاطعة الغربية، والعين (المقاطعة الشرقية)، وجزيرة دلما مركز تجارة اللؤلؤ، ومنطقة العديد على الحدود مع قطر.

تنحدر أسرة آل نهيان من البوفلاح من اتحاد قبائل بني ياس، وياس هو الجد الأكبر لآل نهيان. ومنذ منتصف القرن الثامن عشر أصبحت جزيرة أبوظبي عاصمة لاتحاد قبائل بني ياس بزعامة آل نهيان.

ومن بين أبرز وأهم حكام إمارة أبوظبي في مرحلة لاحقة من نشأتها يأتي اسم الشيخ زايد بن خليفة، الذي ينتمي من جهة أبيه إلى الفرع النهياني من عائلة البوفلاح زعماء قبيلة بني ياس، فهو الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى بن نهيان بن فلاح. أما والدته فهي ابنة زعيم قبيلة السودان في الشارقة، وحكم أبوظبي خلال (-1855 1909) (37)، وهو جد مؤسس دولة الإمارات الحديثة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه.

وحكم الشيخ زايد بن خليفة إمارة أبوظبي لأكثر من نصف قرن، وعُرف بزايد الأول. وعرفاناً بمكانته الكبيرة وأدواره المشهودة أثناء فترة حكمه يعرف أيضاً بزايد الكبير، وهي التسمية التي سنستخدمها اختصاراً ونحن ننقب في هذا المحور عن الفكر الاتحادي في عهد هذا الشيخ الحكيم والمؤثر على مستوى ما كان يعرف بإمارات الساحل.

***

يعتبر كبار الباحثين والدارسين لتاريخ الإمارات الحديث والمعاصر، أن الشيخ زايد بن خليفة من أبرز الشخصيات التي ظهرت في تاريخ الإمارات والخليج العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقام (زايد الاول) بدور كبير في تاريخ

الإمارات، وحاول توحيدها بطريقته الخاصة، واستطاع أن يجمع حكام الإمارات في عدة اجتماعات لبحث أمور المنطقة وحل الخلافات سلمياً.

وكانت بريطانيا تعلم بخطط الشيخ زايد الكبير وطموحاته الوحدوية، فحالت دون تحقيقها بشتى السبل، مما اضطره إلى أن يتبع سياسة معادية لبريطانيا وهي في أوج قوتها وهيمنتها على الخليج، وأراد التخلص من نفوذها بالسعي لإقامة علاقات مع فرنسا، لكن هذه المحاولات لم تنجح في التخلص من السيطرة البريطانية(38).

وتؤكد المراجع والمصادر التاريخية أن بريطانيا لم تكن على وفاق دائم مع الشيخ زايد الكبير، بسبب نزعته الوطنية ومواقفه التي لم تكن تروق للإنجليز أثناء تواجدهم في منطقة الخليج، وسنأتي في السياق على ذكر شواهد تتصل بهذه الجزئية.

من المواقف الشهيرة للشيخ زايد الكبير قيامه بإنزال العلم الذي فرضته بريطانيا بعد معاهدة الممانعة واستبدله بعلم وطني إماراتي خاص. وكانت تلك خطوة أغضبت البريطانيين. ومما دفعه إلى القيام بذلك مشاعره الوطنية التي عرف بها، بالإضافة ظهور إشاعات عن عزم القوات الروسية اكتساح إيران، وأن بريطانيا ستكون أضعف من أن تقاوم الغزو الروسي، وبالتالي انهيار المستعمرات البريطانية وامبراطوريتها. فقام زايد بإنزال العلم الذي كان يرمز إلى الاستعمار ورفع بدلاً منه علماً أخضر اللون فوق سارية قصره. واستجاب سكان إمارة أبوظبي لتلك المبادرة الشجاعة ورفعوا الأعلام الخضراء فوق أسطح منازلهم وسفنهم وعلى المرافق العامة للإمارة(39).

في المقابل كانت بريطانيا تلجأ إلى التهديد باستخدام الأسطول الحربي لقصف مدينة أبوظبي رداً على تحركات الشيخ الذي ظل يهدف إلى كسر طوق الوصاية البريطانية، وحدث ذلك عدة مرات. وإجمالاً كانت محاولات هذا الشيخ الإماراتي الوطني الغيور تهدف إلى استقلال الإمارات وتوحيدها تحت نفوذه، لكن وقوف بريطانيا ضد طموحاته حالت دون تحقيق أهدافه.

غير أن نفوذه امتد بالفعل إلى مناطق شاسعة في الإمارات وعمان، وكانت القبائل تدين له بالولاء، ويعتبر من أعظم حكام الإمارات وبني ياس(40).

وتمتع الشيخ زايد الكبير بحنكة وذكاء سياسي وحصافة وهيبة وحسن تصرف، كل ذلك جعله محط تقدير حكام الإمارات الأخرى، واشتهرت جهوده المكثفة التي كان يهدف من خلالها إلى إحلال السلام والوئام بين قبائل الإمارات، ولم يعد للشيخ زايد بن خليفة منذ بداية السبعينيات من القرن التاسع عشر من منافس في منطقة الإمارات التي بذل جهوده لضم أطراف بعضها إلى بعض، وسعى للعمل على تنميتها وتعميرها، خاصة تلك المناطق التي كانت تحت سلطته المباشرة. وقد انتهج سياسة حكيمة لتنفيذ أهدافه اعتمدت على عدة أسس: الأساس الأول هو ابتداعه سياسة التوازن النشيط في علاقاته مع البريطانيين والعثمانيين كليهما، فلم يسمح لتعارضات السياسات الدولية بينهما من التأثير سلباً في مجريات سياسته، ولم يعتمد على أي منهما ضد الآخر، وراح يمد يده للبريطانيين في البحر لتحقيق المصالح المشتركة الطارئة، ويمد الأخرى بالسلام للعثمانيين، فلم يعمد إلى مهاجمة حامياتهم على أطراف إمارته(41).

لكنه في الوقت ذاته عمد إلى توظيف المد العثماني في الخليج بما يحمل من مؤثرات إسلامية لتخفيف قيود الهيمنة البريطانية على بلاده، كما عمل على تعارض أهداف القوتين المذكورتين في الخليج لخدمة أهدافه في تحقيق التكامل والاستقلال الوطني(42).

وعلى نفس المنوال من الحكمة ومما يؤكد تجذر الفكر الاتحادي في عهد زايد الكبير، ارتكزت سياسته تجاه إمارة دبي على الصدق والعلاقة المتينة، تقديراً لموقف شيوخ البوفلاسة الذين ثبتوا على عهده في كافة المشكلات التي واجهها. فالبوفلاسة هم من بني ياس، وهم أهل رحم، وكانت سلطات الهند البريطانية تخشى اجتماع كلمة حاكم أبوظبي وحاكم دبي، وتحاول باستعراض قوة سفنها الحربية أن تفرق بينهما، بالرغم من أن حاكم دبي كان يستعين بقوة علاقته بالشيخ زايد الكبير في الوساطات لإحداث السلم بين حكام الإمارات الأخرى(43).

تولى الشيخ زايد بن خليفة حكم إمارة أبوظبي في صيف العام 1855م، إثر إجماع بني ياس على اختياره خلفاً لابن عمه الشيخ سعيد بن طحنون، وحدثت في عهده الكثير من المواقف التي تفصح عن بدايات تكون الفكر الاتحادي في الإمارات. إذ تشير المصادر إلى أن الشيخ زايد بن خليفة كان أسبق شيوخ الإمارات تطلعاً إلى الاتحاد السياسي الشامل بين إمارات الساحل، وقد حاول إنجازه بكافة السبل الممكنة، وكان يدرك أنه أقوى شيوخ الإمارات وأوفرهم مالاً، وأعزهم نفراً، وأكثرهم كراعاً، وكان عليه بصفته هذه أن يعمل على جمع أولئك الشيوخ في بوتقة واحدة للتشاور والجلوس معاً لتدبر

أمور البوادي التي يعود استتباب الأمن فيها وتنظيم شؤونها بالفائدة على جميع الشيوخ وأهلهم ورعاياهم، ولكن قد تتعارض مقتضيات الاتحاد الشامل مع بعض التقاليد القبلية والموروثات التاريخية في البادية أحياناً. وبرز زايد كأحد أسبق الشيوخ الخارجين على تقاليد البادية في التفرق والتحزب، والعاملين لتأكيد أعرافها في النصرة والإيثار «والدخالة» وفيض الكرم ونصرة المظلوم. وقد برهن بهذه السياسة على أنه حضري الفكر والمفاهيم، بدوي الأصالة والأعراف(44).

صحيح أن أهم خطوة قام بها الشيخ زايد الكبير وعكست ميله للفكر الاتحادي، هي الاجتماع الذي دعا إليه كافة حكام الإمارات وانعقد في منطقة «الخوانيج» بدبي في أبريل من عام 1906م، وهو اللقاء الذي تذكره العديد من المصادر التاريخية وتشير إليه باهتمام، وسنتطرق إليه في فقرة خاصة. لكن اجتماع الخوانيج كان تتويجاً لجهود سابقة للشيخ زايد بن خليفة، لأنه دأب على لملمة صفوف مجتمع الإمارات في عهده. ومن اللقاءات التي نجح في عقدها بين الحكام في وقت مبكر ذلك اللقاء الذي دعا فيه حكام الإمارات إلى مؤتمر عام، للتداول وحل إشكال عام نشأ في ذلك الوقت بين أطراف متعددة في أعالي وادي حتا، وكانت الأطراف المعنية به - بسبب التحالفات المتشابكة آنذاك - تشمل كل من سلطان عمان وحاكم دبي والنعيم وحاكم أم القيوين وحاكم الشارقة، بالإضافة إلى أن هذه المنطقة كانت في إطارها العام ضمن دائرة نفوذ الشيخ زايد بن خليفة. فدعا لمؤتمر يتم فيه التداول حول القضية وحلها. وانعقد بالفعل في ديسمبر من عام 1905 أول مجلس لأغلبية حكام الإمارات مجتمعين بهدف معالجة أمر يهم حكام الإمارات الخمس: أبوظبي، ودبي، وأم القيوين، وعجمان، والشارقة التي كان حاكمها آنذاك يمثل رموز الإمارة القاسمية السابقة(45).

واشتهر الشيخ زايد الكبير بأنه شيخ عربي من طراز أولئك الشيوخ الذين أصبحوا رموزاً وطنية في الشرق الأوسط ووصفه المؤرخون بالحكمة وسداد الرأي وعلو الهمة والجلد والهيبة والقدرة على استشراف تطور الأحداث في المنطقة. وبفضل هذه الصفات الحميدة، فهم الشيخ زايد بن خليفة المتغيرات السياسية وعلاقات القوى السائدة، واستطاع أن يترك بصماته وآثاره المشرقة على تاريخ الإمارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي(46).

ويتضح أن بشائر وإرهاصات ظهور الفكر الاتحادي والتوجه الوطني نحو توحيد إمارات الساحل في عهد الشيخ زايد بن خليفة، كان انعكاساً لنجاحات هذا الحاكم الاستثنائي في توفير الأمن والسلام داخل إمارة أبوظبي، مما انعكس إيجاباً على تفكيره في الالتفات لشؤون الوطن الإماراتي الأكبر، ممثلاً بكافة الإمارات.

وفي ذكرى مرور مائة عام على رحيل الشيخ زايد الكبير (أو زايد الأول)، كان المركز الثقافي الإعلامي لسمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان قد أصدر في العام 2009م كتاباً وثائقياً للتذكير بسيرة زايد الكبير، ونقرأ بين سطور تلك السيرة المشرقة أن هذا الحاكم الفذ كان يتمتع بقدرات تنظيمية وإدارية وسياسية حديثة، إذ اعتمد على مبدأ التفويض والشورى وتوزيع الصلاحيات وتعيين نواب للحاكم في مناطق الإمارة المختلفة. كما أقام علاقات النسب والمصاهرة مع شيوخ القبائل وضمن ولاءهم ومنحهم صلاحيات مطلقة لإدارة مناطقهم بعد أن أصبحت خاضعة لإمارة أبوظبي.

ومن تجليات ومظاهر بروز الفكر الاتحادي في عهد الشيخ زايد الكبير أنه عندما كانت تحدث إشكالات أو خلافات كان يبادر إلى دعوة الشيوخ والأعيان والوجهاء للتشاور وتبادل الرأي والتباحث في مجالس جادة أخذت طابع المؤتمرات السياسية(47)، وأشهرها بالطبع ذلك اللقاء التاريخي الموسع الذي جمع حكام الإمارات في منطقة الخوانيج في دبي والذي ضم كافة الحكام.

وهناك لقاءات أخرى كانت تشمل الشيوخ والحكام الذين تكون لهم علاقة مباشرة بسبب الذي يعقد لأجله الاجتماع، لأن الشيخ زايد بن خليفة كان يحرص على معالجة النزاعات والمشاحنات وتسوية التوترات التي كانت تقع بين القبائل بالطرق السلمية والحوار أو من خلال منحه التعويضات المالية، وبذل مساعيه الحثيثة للقضاء على أسباب الفتن، وقد نأى بقومه عن الحروب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والأهم من كل ذلك إقامة سلام بين الفرقاء، ففي عام 1883 حقق الشيخ زايد بن خليفة نجاحاً باهراً في الوساطة التي قام بها بين إمارات عجمان ورأس الخيمة والشارقة وأم القيوين.

لقد حاول الشيخ زايد بن خليفة تحقيق تحالف بين الإمارة والقبائل في الساحل تحت لوائه، وكاد ينجح في ذلك لولا تنبه حكومة الهند، فقد كانت محاولته لتوحيد الساحل تتعارض مع أهداف السياسة البريطانية التقليدية في المحافظة على وضع التفكك في الساحل، والتي كانت تتبع سياسة «فرق تسد».. لقد أمعنت بريطانيا في تكريس هذه السياسة حين وقفت بوجه المحاولات الوحدوية الجادة التي سعى لها الشيخ زايد بن خليفة عندما أراد توحيد إمارات الساحل لتكوين كيان قوي، الأمر الذي تحقق مع المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه الذي نهل من نفس معين جده المغفور له الشيخ زايد الأول وحقق حلماً طموحاً كان يراوده حين أقام صرحاً شامخاً للاتحاد في دولة الإمارات العربية المتحدة.

ونذكر هنا أن تنظيم الاجتماعات بين إمارات الساحل شكّل عاملاً رائداً في دعم الاستقرار الذي كانت تحتاجه تلك الفترة، خاصة أنه لم يكن متبعاً أو سائداً من قبل، وكان من أشهر المؤتمرات المبكرة التي يمكن اعتبارها أولى المحطات التاريخية في مسيرة الاتحاد، ذلك الاجتماع التاريخي الهام الذي عقد في دبي عام 1905 بدعوة من الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبوظبي، ومع أنه لم تكن هناك جداول أعمال واضحة ومعدة لهذه الاجتماعات، إلا أن حقيقة جلوس قادة الإمارات الرئيسيين معاً والتفافهم حول الشيخ زايد بن خليفة كانت تصب في صالح دعم التفاهم وتعتبر خطوة ضرورية في سبيل التعاون المتبادل ومناقشة خلافاتهم. وبحكم العمر والمكانة والسمعة الطيبة ترأس الاجتماع الشيخ زايد بن خليفة، الذي كان يعتبر عميد شيوخ الإمارات التي كانت تُعرف آنذاك بإمارات الساحل المتصالح.

وقبل وفاة المغفور له الشيخ زايد بن خليفة (زايد الأول) في 19 أبريل 1909م، شهدت نهاية القرن التاسع عشر ذروة قوته ومحاولته توحيد الإمارات والساحل عن طريق التحالف، وقد عارضت بريطانيا بشدة هذه المحاولة، وضمنت من اتفاقية عام 1892 سيطرتها المطلقة على مقدرات منطقة الساحل المهادن، وأساءت استخدام قوتها بعد فرضها لهذه المعاهدة، وقد تبين أن السياسة البريطانية الخبيثة استخدمت الاتفاقية لتجزئة وتفتيت الساحل وضرب قواه ووحدته(48).

وبالطبع فإن أهم وأبرز لقاء سياسي أو مؤتمر استطاع الشيخ زايد بن خليفة أن يجمع فيه كل حكام إمارات الساحل هو ذلك الاجتماع المهيب الذي عقد في منطقة الخوانيج بدبي، واجتمع فيه حكام الإمارات في مؤتمر قمة عالي المستوى، حمل من المؤشرات والدلالات في ذلك الوقت المبكر الكثير. حيث عقد في أوائل شهر أبريل من عام 1906م، أي قبل وفاة الشيخ زايد الكبير بثلاث سنوات، وفي ذلك الاجتماع أدرك شيوخ الإمارات أن اتحادهم ممكن، وأن الفكر الاتحادي هو السبيل الوحيد لاستنهاض الشعور الوطني الإماراتي.

لم تذكر المصادر التاريخية تفاصيل شاملة عن اجتماع الخوانيج، وكل ما ورد ذكره يشير إلى أن اجتماع الحكام كان خطوة كبيرة، فعلى خلفية إشكالات قبلية وتنازع على النفوذ والتحالفات في بعض المناطق مما أدى إلى ما يشبه بوادر الإخلال بتوازن القوى، كان على الشيخ زايد الرجل الفطن القوي في المنطقة أن يعيد تنظيم السلطات والمناطق، فدعا حكام الإمارات إلى حضور مؤتمر قمة لمعالجة تلك النقاط ووافق الحكام على ذلك وتقرر اجتماع الحكام جميعاً في منطقة الخوانيج.

في أوائل شهر نيسان أبريل من عام 1906م تم عقد الاجتماع، وبعد مناقشات ومحادثات استمرت عدة أيام تم الاتفاق مبدئياً على حل الإشكالات التي اجتمع لأجلها الحكام(49). وتشير مراجع كثيرة إلى أن نزعة ثورية ظهرت عند الشيوخ كلهم في ذلك الاجتماع فأنزلوا أعلام بريطانيا صاغرة من الأماكن العامة، مما دعا السلطات البريطانية إلى أن تعيد توزيع نسخ المعاهدات عليهم وأن توفد مندوبين عنها لمناقشتهم بشأنها وتذكيرهم بها.

الفكر الاتحادي عند الشيخ سعيد بن مكتوم

من الشيوخ الكبار الذين جادت بهم أرض الإمارات أيضاً الشيخ سعيد بن مكتوم، الذي حكم إمارة دبي اعتباراً من شهر ديسمبر 1912م حتى وفاته يوم 10 سبتمبر من عام 1958م. وسوف نستخلص ما يدل على جهوده المخلصة وإسهاماته العظيمة في انتهاج الفكر الاتحادي من الكتاب الذي يضم لمحة عن سيرته الذاتية رحمه الله(50).

وإجمالاً لتلك الجهود التي عكست حماسة الروح الاتحادية التي تحلى بها الشيخ سعيد بن مكتوم، فقد كان له دور كبير في إطار مجلس حكام إمارات الساحل. ونظراً لقيامه بشؤون الحكم وأعبائه في إمارة دبي ثاني أكبر الإمارات مساحة، وذات الكثافة السكانية والنشاط التجاري المتزايد، كان المغفور له الشيخ سعيد بن مكتوم يتمتع بمهابة وإجلال وكلمة مسموعة وحكمة وحصافة في الرأي وقبولاً لدى حكام الإمارات.

غير أنه منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي، كان قد طعن في السن، فآثر أن يمثله في اجتماعات مجلس الإمارات المتصالحة نجله وساعده الأيمن المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم مؤسس دبي الحديثة، مع العلم أن الشيخ سعيد بن مكتوم كان من أوائل المهتمين منذ مطلع الخمسينيات بتأسيس كيان فيدرالي يوحد الإمارات، فمكانته الاجتماعية والاحترام الكبير الذي كان يكنه له الجميع جعلاه يضع نفسه في موضع مسؤولية تجاه إمارات الساحل.

كما اشتهر المغفور له الشيخ سعيد بن مكتوم رحمه الله بحنكته السياسية في فض النزاعات وبحكمته وقدراته في إدارة وحل الأزمات، وكان شيخاً فهيماً وعليماً، أحبّ الجميع والجميع أحبه، فكانت تدخلاته لفض المشكلات أو النزاعات موضع ترحيب وتقدير من جميع الأطراف. وعندما استلم زمام السلطة في إمارة دبي عام 1912م فرض احترامه على أهل المنطقة، واعتبروه مرجعية لدرء الخلافات والنزاعات في إمارات الساحل آنذاك.

كان تعزيز مكانة دبي والارتقاء بها على يد الشيخ سعيد لبنة أساسية في تعزيز مكانة الإمارات بشكل عام، باعتبار دبي قلب الإمارات وبؤرتها النابضة بالحياة. وقد كان الشيخ سعيد بطبعه إنساناً مسالماً وشديد الإعجاب بالمنهجية التي انتهجها والده رحمه الله الشيخ مكتوم بن حشر، فآثر أن يسير على الخطا نفسها التي مشى عليها والده، وكان أيضاً ذا فكر وسياسة مستنيرة تهدف لجعل إمارة دبي المركز التجاري الأول في منطقة الخليج ومن ثم منطقة الشرق الأوسط.

الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم حكم دبي (1912-1958)،من أوائل المهتمين بتأسيس كيان فيدرالي يوحد الإمارات.

وتميزت فترة حكمه لدبي بطولها، إذ استمرت 46 عاماً، وتعتبر الأطول أمداً بالمقارنة مع جميع فترات حكم شيوخ دبي اعتباراً من العام 1833م، وفي عهده حدث انهيار تجارة اللؤلؤ الطبيعي، ولكنه وعلى الرغم من بساطته وهدوئه الرزين، كان أهلاً لمواجهة جميع الصعاب والمشاكل، واستطاع أن يرسي قواعد الأمن والانضباط ويعيد إلى إمارة دبي هيبتها ومكانتها الاقتصادية، لينقلب عهده من عهد الانكسار الاقتصادي إلى عهد النماء والرخاء.

وكانت دبي تتميز بكثرة أسواقها وانفتاحها التجاري وتواجد الأسواق والمتاجر بكثرة على جانبي خور دبي، بينما كانت المراكب التجارية تدخل وتخرج من وإلى خور دبي، ومراكب النقل الصغيرة تنقل السكان بين ضفتي الخور، فكانت الحركة الدائمة حول خور دبي تعطي منظراً وإيحاءاً بمدى الازدهار الحركي والسكاني والاقتصادي في مدينة دبي.

وفي العام 1944م تفشى في دبي وبعض إمارات الساحل وباء الجدري بشكل كبير وخطير وكاد أن يقضي على مئات السكان، فأمر الشيخ سعيد بن مكتوم بالتعامل مع الأزمة بشكل جدي وتقديم اللقاح اللازم لآلاف السكان. ولعل تلك الأزمة أوحت إلى ذهن الشيخ سعيد بن مكتوم بضرورة إنشاء مستشفى في إمارة دبي لتقديم الرعاية الطبية لرعاياه ولسكان الإمارات المجاورة أيضاً، فكان مستشفى آل مكتوم مفتوحاً لاستقبال جميع الإماراتيين.

ومع مرور الأيام زاد إقبال الناس على هذا المستشفى، وكان في بداياته يعاني من نقص الأيدي الخبيرة والمعدات اللازمة، ولم يكن يحقق أية أرباح لقاء خدماته لأنها مجانية من الأساس، لكن الشيخ سعيد بن مكتوم كان يضخ بسخاء أموالاً طائلة بلغت لوحدها عام 1952م أكثر من 75 ألف روبية هندية، مع تخصيص مبلغ 40 ألف روبية هندية بشكل سنوي للمستشفى، وتعضيد المستشفى بالأطباء والمعدات والأنظمة اللازمة لتشغيلة. وعاماً بعد عام كان الشيخ سعيد بن مكتوم يحرص على توسيع المستشفى وإضافة أقسام جديدة فيه، وذلك حرصاً منه على استمرارية خدماته لرعاية الأهالي والسكان من كافة الإمارات. وفي هذا دلالة كبيرة على عمق التوجه الاتحادي عند هذا الحاكم الوفي والمحب للإمارات من قبل إعلان الإتحاد بعقود.

ونظراً لأهمية ذلك المستشفى الذي أنشأه ورعاه الشيخ سعيد كأول منشأة طبية حديثة في الإمارات، فقد كان تطويره من أحد أهم المحاور التي اهتم بها حكام الإمارات في مجلس حكام الإمارات المتصالحة، حيث اتفق جميع الحكام في أحد الاجتماعات على اعتبار مستشفى آل مكتوم في دبي أحد أهم مشاريع البنى التحتية من الناحية الطبية، وعلى أنه مشروع

إنساني مشترك بين جميع الإمارات، ويتطلب التعاون مالياً من أجل تشغيله، مع تحمل الشيخ سعيد بن مكتوم الجانب الأكبر من ميزانيته التشغيلية.

كما دعم الشيخ سعيد بن مكتوم وأشاد في مواقف متعددة بالنواة الأولى للقوة الإماراتية الأمنية الموحدة التي تشكلت قبل الاتحاد في بداية الأمر كقوة أمنية مشتركة باسم «قوة ساحل عمان». وهي القوة التي كان لها دور في حماية الأفراد ومنع تجارة الرقيق، والحفاظ على الأمن الداخلي المدني في الإمارات.

وكان الشيخ سعيد يشيد بالقوة الأمنية لساحل عُمان ويثمّن المجهود الكبير الذي تقوم به، وفي شهر مارس من عام 1954م، حرص سموه على دعوة ضباط تلك القوة وأقام الولائم التي تليق بهم بعد أن أثبتوا مقدرتهم على حفظ حدود الإمارات من الأطماع الخارجية. هذا بالإضافة إلى حفظهم للأمن واستتبابه. وفي العام 1956م، وبعد توجيهات من الشيخ سعيد بن مكتوم، قام نائب حاكم دبي في تلك الفترة الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم بتكوين اللبنة الأولى لشرطة دبي، ويعود سبب اهتمام الشيخ سعيد والشيخ راشد رحمهما الله بتأسيس شرطة دبي نتيجة لحالة النظام والانضباط العسكري التي لاحظاها في قوة ساحل عُمان واحترافيتها في حفظ الأمن بطريقة نظامية ومهنية.

ومن الجدير بالذكر أن إمارة دبي قد أسست جيشاً وطنياً في العام 1949م، أي قبل تأسيس قوة ساحل عُمان، وذلك بسبب غارات السطو التي كان يقوم بها بعض البدو المتمردين، حيث سببت حالات السطو تلك نوعاً من عدم الاستقرار في إمارات الساحل عموماً، الأمر الذي دفع بالشيخ سعيد بن مكتوم إلى استخدام القوة للتخلص من اللصوص، وقرر تأسيس الجيش الخاص بإمارة دبي والذي استطاع دحر قُطاع الطرق وتشتيت شملهم، ثم جاءت قوة ساحل عُمان لإكمال المسيرة ومحاربة قُطاع الطرق وحماية حدود إمارات الساحل. ثم تأسيس شرطة دبي في مرحلة لاحقة، ولكنها مبكرة وخطوة متقدمة قياساً بذلك العهد وظروفه.

من مظاهر الفكر الاتحادي في مرحلة إمارات الساحل

لابد أن نعرف أولاً أن من أهم أسباب تسمية الإمارات قديماً باسم (الساحل) هو وقوع جلّ مساحتها على ساحل طويل يقدر بحوالي 700 كلم. ولأن أهم المدن كانت ساحلية تمتد بامتداد الساحل ولا يتجاوز عرضها بضع مئات من الأمتار، ثم يحدها سور منيع ليحصرها على الساحل بما يؤكد غلبة هذا الاسم عليها. والسبب الآخر هو عدم وجود كيان سياسي موحد آنذاك، أو زعامة واحدة للمنطقة، فغلب ذلك الاسم الوصفي ليعبر عن النطاق الحدودي والجغرافي للإمارات.

ومما يمكن اعتباره سبباً في التسمية أيضا هو العمل الرئيسي لسكان المنطقة ومورد اقتصادهم الأوحد، وهو المهن والتجارة البحرية، فأهم ست ركائز لاقتصاد الإمارات قبل قيام الاتحاد كانت: الغوص لاستخراج اللؤلؤ، صيد الأسماك، الحجارة المرجانية، المغر، صناعة المراكب، النقل البحري، وكل من أراد تحسين مستواه المعيشي أو نمواً اقتصادياً قصد الساحل، وكل من جاء بخير جاء من الساحل، فتركزت تسمية إمارات الساحل.

أما ساحل عُمان فتسميته تمييزية، لأن الساحل والسواحل صفة تتردد لكثير من المناطق في آسيا وإفريقية، لذا فقد عمد البعض إلى نعت (الساحل) الذي يضم الإمارات العربية بساحل عُمان لتمييزه عن أي ساحل آخر لتجاور الإمارات مع عُمان. بينما في الإمارات ساحل عُمان لديهم هو ساحل الباطنة، وهو كذلك عند المختصين بعلوم البحر والملاحة، فهذا حسن صالح شهاب في كتابه (فن الملاحة عند العرب) يورد في باب (ملامح من تاريخ الملاحة العربية والصراع على تجارة المحيط الهندي): «وكانت المراكب العربية إذا أرادت السفر الى الصين، إما أن تسير إلى مسقط أو إلى صحار في ساحل عمان. ثم تنطلق إلى ميناء كولم بساحل المليبار» فساحل عمان هنا تعني ساحل الباطنة. أما القوى الاستعمارية التي سيطرت على (الساحل) أو كانت لها محاولات في ذلك، فلم يوافقها اسم الساحل مفرداً أو اسم ساحل الإمارات، فابتدعت أسماء أخرى مثل: (ساحل القراصنة). (الساحل المتصالح). (الساحل المتهادن). (الساحل المهادن). ومنهم من تشبث بتسمية (ساحل عُمان) لدعاوى مكررة ونظرات قاصرة، وهذا يذكرنا بالبحرين الكبرى وعُمان الكبرى وبلاد المهجر، وهي تقسيمات جغرافية تاريخية بحتة لا تعبر عن كيان سياسي موحد(51).

ولعل أهم وأبرز ما يميز مرحلة إمارات الساحل من حيث تحفيز الفكر الاتحادي وتنمية الشعور الوطني الإماراتي هو

المجلس الذي كان يضم شيوخ الإمارات قبل الاتحاد، وكان قد أُنشئ تحت اسم «مجلس الإمارات المتصالحة» ومركزه في مدينة دبي، ولعب ذلك المجلس دوراً بارزاً في توحيد وتقريب آراء حكام الإمارات ودعم قضاياهم.

ويرى مؤرخ ومستشرق روسي تناول حقبة مهمة في تاريخ إمارات الساحل أنه كان من الممكن أن يشهد التاريخ قيام دولة (إماراتية) منذ ذلك الوقت تضم جميع القبائل العربية القاطنة على ضفتي الخليج العربي، وكاد أن يتحقق ذلك لولا التدخل السافر من الإنكليز في شؤون القواسم وغيرهم من القبائل العربية، الأمر الذي أخل بالسير الطبيعي للتاريخ، وأدى بداية إلى إضعاف العرب عسكرياً (يقصد الأسطول الإماراتي البحري لكل إمارة على حدة وبالذات أسطول القواسم)، فأثناء الحملات العسكرية التي شنها الإنكليز على القواسم جرى تدمير سفنهم الحربية وجميع مراكبهم... ومن ثم تقييدهم بشدة من قبل بريطانيا باتفاقيات ومعاهدات غير متكافئة(52).

وكان من نتائج هيمنة البريطانيين في تلك الفترة عزل هذه المنطقة كلياً عن العالم الخارجي، سواء سياسياً أم اقتصادياً. وحكموا على سكان الإمارات بالجوع والفقر والجهل. وتمكنت بريطانيا بفضل القوة الكبيرة التي تمتلكها من جعل فترة النصف الأول من القرن التاسع عشر فترة انهيار لحلف القواسم القبلي وغيره من التشكيلات القبلية على الساحل الإماراتي العربي، وضم هذه المنطقة إلى الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية(53).

غير أن هناك تجليات ومواقف شجاعة لحكام الإمارات، كانت تتكرر بين فترة وأخرى لإثبات الهوية الإماراتية والتمرد على الاتفاقيات التي فرضتها بريطانيا. ومن بين تلك المواقف ما ترويه المصادر التاريخية عن حاكم إمارة أبوظبي الشهير الشيخ زايد بن خليفة، ففي عام 1900م قرر الشيخ زايد الأول إلغاء العلم الأبيض ذي المربع الأحمر الذي فرضته السلطات البريطانية على الإمارات بموجب معاهدة عام 1820، فقام بإنزال هذا العلم من سارية قصره ورفع بدلاً عنه علماً أخضر اللون متيمناً بعلم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقد استجاب أهالي أبوظبي لهذه المبادرة ورفعوا الأعلام الخضر على سطوح منازلهم وسفنهم البحرية(54).

أما المعلومات التي تتحدث عن مجلس حكام الإمارات المتصالحة فهي متشابهة في كافة المصادر التي تناولت تلك الفترة التاريخية مع اختلافات بسيطة، لكن الثابت أنه كان يتكون من شيوخ الإمارات ويهدف إلى مناقشة الأمور المشتركة بين الإمارات، وتنسيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإقرار القضايا ذات الطبيعة الواحدة لجميع الإمارات،

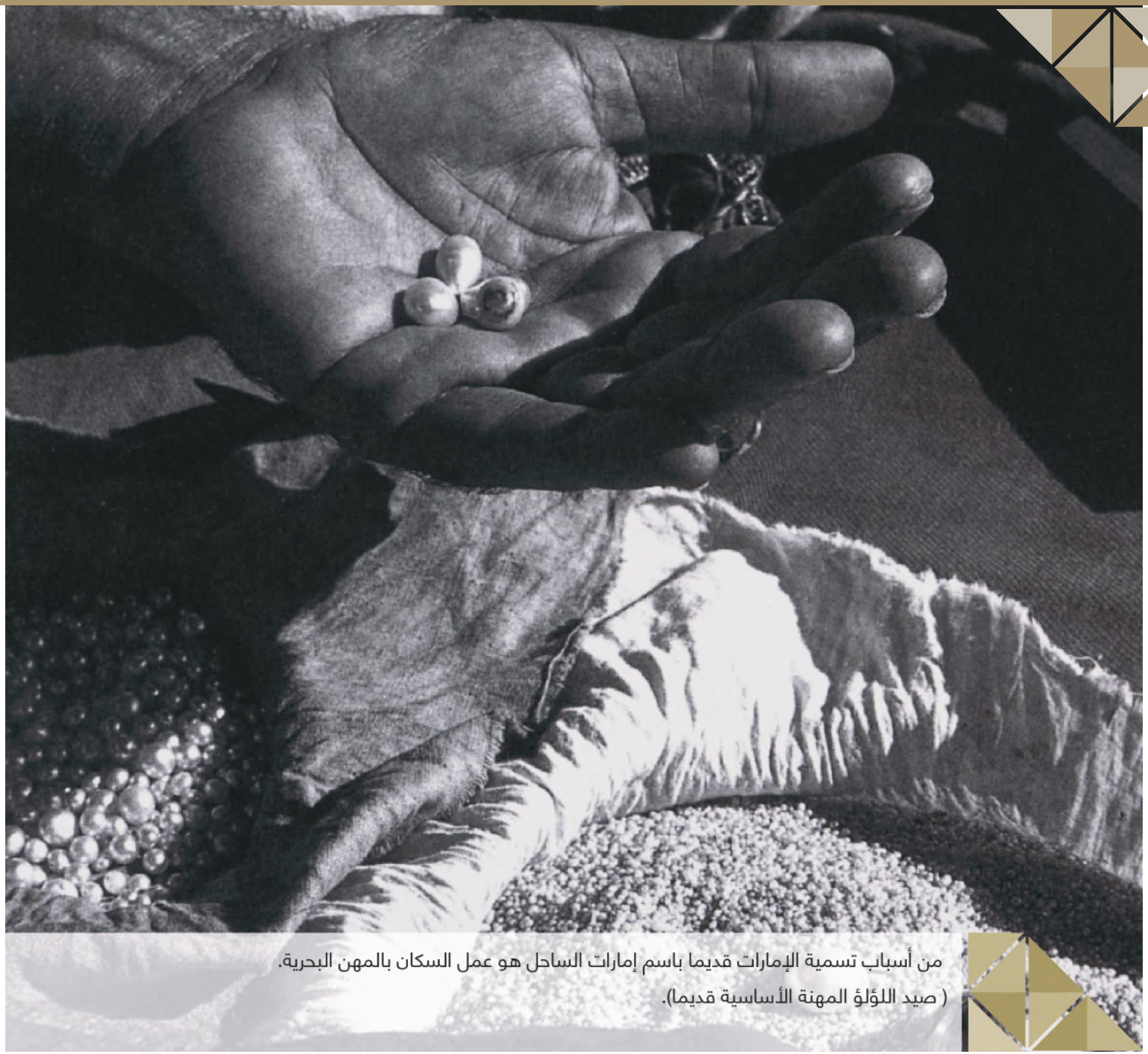

من أسباب تسمية الإمارات قديما باسم إمارات الساحل هو عمل السكان بالمهن البحرية.
(صيد اللؤلؤ المهنة الأساسية قديما).

والاتفاق حول أمور الهجرة والنقد والبريد وغيرها، ولم يكن للمجلس دستور مكتوب ولا جهاز تنفيذي حتى عام 1965، وبدأ المجلس يجتمع بصفة دورية كل أربعة أشهر في الوكالة البريطانية، وفي عام 1965 تنازل الوكيل السياسي عن رئاسة المجلس وتولى الرئاسة بدلاً عنه المغفور له الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة، ومنذ ذلك الوقت لم تعد اجتماعات المجلس في الوكالة وإنما نُقلت إلى مقر أقيم خصيصاً لها، كما ألحق به مكتب لتطوير الإمارات. وكانت هناك قوة مسلحة سميت باسم «قوة ساحل عُمان» قد أسست عام 1950، ثم بدل اسمها في عام 1955 إلى «كشافة عُمان» وكانت تقوم بحفظ الأمن في الساحل(55).

ومثلت قوة ساحل عمان النواة الأمنية والعسكرية الأولى التي أنشئت في فترة إمارات الساحل كقوة موحدة وذات مهام تختص بالرقعة الجغرافية لكامل أراضي الإمارات... صحيح أن القوام البشري لتلك القوة كان يضم مواطنين إماراتيين إلى جانب عناصر عربية وخبرات أخرى أجنبية، إلا أن ما يستفاد من تأمل ذلك التشكيل العسكري هو القابلية المبكرة وتشجيع سلطات الإمارات المختلفة لعمل تلك القوة النظامية، في بادرة تؤرخ للميل نحو ضبط الأوضاع الأمنية بآليات حديثة ومنظمة عسكرياً. وسبق أن أوضحنا أن حاكم دبي في تلك الفترة الشيخ سعيد بن مكتوم تحمس لتأسيس شرطة دبي النظامية بعد أن أعجب بأداء تلك القوة التي عرفت بقوة ساحل عُمان.

وعن أوضاع التعليم قبل قيام الاتحاد، فإن الأديب الإماراتي الراحل حمد خليفة أبوشهاب ينفي صفة الجهل عن الإماراتيين، ويرى بأنهم كانوا يقاومون ويتعلمون بقدر المستطاع من قبل أن تفتح أبواب التعليم النظامي وشبه النظامي. إذ يقول: إن شعب الإمارات كان ينهل – وبقدر ما تسمح به الظروف القاسية – من معين ثقافته العربية والإسلامية، فهو شعب رحّال جوال بتجارته، وقد شملت رحلات أبنائه الكثير من البقاع المجاورة والبعيدة للتجارة وطلب العلم.

ونتج عن كل ما سلف ظهور فئة واعية من شعب الإمارات ... وكان للبعض منهم مشاركات في المجلات الثقافية والسياسية العربية.. وبرزت أسماء إماراتية في مجالات الأدب والشعر.

أما أهم مدرسة في أبوظبي فهي التي أنشأها خلف بن عبدالله بن عتيبة من عام 1912م، وهناك مدارس أخرى غيرها في أبوظبي. وفي دبي تأسست المدرسة الأحمدية كذلك في عام 1912م، وكانت تدرس إلى جانب القرآن الكريم والحديث والفقه واللغة العربية مادة الرياضيات وفن الخط العربي. تليها في دبي مدرسة السعادة التي افتتحت عام 1925م وبعض

طلابها ذهبوا للتدريس في إمارة رأس الخيمة، في دلالة على وحدة وطنية إماراتية مبكرة جداً يتداخل فيها الشعب والنخب المثقفة والطلاب والمدرسون.

أما التعليم في الشارقة فقد بدأ منذ عام 1908م وبحسب مصادر أخرى افتتحت أول مدرسة في الشارقة عام 1907م. وفي عجمان تأسست مدرسة الفتح عام 1929م. والمدرسة الأولى في إمارة رأس الخيمة تأسست عام 1913م(56).

ويرى أحد الباحثين في رصده لبدايات عصر النهضة الإماراتية أن النهضة في الإمارات لم تكن أبداً وليدة سنوات النفط، وإنما كانت نتاج قرن كامل من العطاء المستمر لرجالات وضعوا طاقاتهم لخدمة البلاد. ويعتبر أن أولى المحاولات الوطنية الإماراتية النهضوية ظهرت منذ عام 1907م، وأنها بدأت بالإنسان عن طريق التعليم، وتأسيس المدارس التعليمية التطورية التي أنشأها كبار تجار اللؤلؤ في تلك المرحلة المبكرة، والذين سخروا أموالهم لبناء أوائل المدارس التي خرّجت رجالات النهضة في الإمارات. وأول ما فعلته تلك المدارس هو تغذية الشعور الديني والوطني لدى أبناء الإمارات(57).

كما ظهرت بعد ذلك المجالس الثقافية وكان لها روادها، وكانت تقتني الصحف وأوائل المجلات العربية في ذلك الوقت وتتيحها لقارئيها الذين حصل بينهم وبين القائمين على المجلات الثقافية العربية اتصالات ومراسلات.

ويتحدث الباحث الإماراتي عبدالله علي الطابور في أحد كتبه عن بدايات الاتصال الحضاري بين الطبقة الإماراتية المثقفة والمفكرين العرب منذ عام 1907م عن طريق المراسلات، وظهور المكتبات الشخصية والعامة ودورها الثقافي في مجالس دبي ورأس الخيمة وفي بيوت المثقفين(58).

وبالعودة إلى مجلس حكام الإمارات المتصالحة، يرى كثير من الباحثين أن أهميته تكمن في أنه يعتبر محطة حيوية كسرت الحواجز وعملت على جمع الحكام وانتظام لقاءاتهم، وتلك المحطة أسهمت أيضاً في إذكاء الروح الإتحادية وتعميق الفكر والتوجه الاتحادي وبث الحماس لدى نخبة الحكام لتوحيد الإمارات، غير أن هذه النواة لا تجعلنا ننسى المبادرات الاتحادية واللقاءات الأقدم تاريخياً، ومن ضمنها لقاء الخوانيج في عهد الشيخ زايد الكبير الذي أشرنا لدوره الكبير وجهوده العظيمة في موضع سابق من هذا القسم.

وبحسب بعض الباحثين ومن ناحية عملية، فإن فكرة الاتحاد بين الإمارات تعود إلى الثلاثينيات، أي إلى عام 1935م،

الإماراتيين كانوا يقاومون ويتعلمون بقدر ما سمحت به الظروف القاسية
(مدرسة في أبوظبي ببداية الستينات).

حيث ظهرت بعض الآراء تطالب بالاتحاد، ولكن الظروف لم تكن مواتية لعدة أسباب، منها الظروف الاقتصادية نظراً لقلة الموارد(59). ونحن نرى بأن حلم قيام الاتحاد سابق على هذه الفترة بكثير. ناهيك عن الهيمنة البريطانية التي كانت تحرص على مجابهة فكرة الاتحاد كلما لاحظت تقارباً وتنسيقاً بين الحكام على شكل مبادرات وخطوات تكررت كثيراً بصيغ متعددة ومبكرة.

كما ساهم مجلس الإمارات المتصالحة آنذاك في طرح موضوعات واهتمامات إمارات الساحل لإيجاد الحلول لها ومناقشة الموضوعات حسب الأهمية، كقضايا مشكلة الجراد وتجارة اللؤلؤ ومشكلة تجارة العبيد، وكذلك طرح مخططات التنمية وخدمة المجتمع ورفع مستوى الشعب وإصدار الوثائق الرسمية الخاصة بسفر رعايا إمارات الساحل، وسن القوانين الداخلية كالجنسية ونُظم حركة السير والمرور على الطرق واستحداث نظام شرطي لإدارة حركة المرور، والقيام بمشاريع تنمية مشتركة كحفر آبار المياه. والأهم من ذلك، أن المجلس ساهم بفعالية في جمع الأصوات وتوحيدها والاتفاق ضد كل ما قد يشكل تهديداً لمصالح كافة الإمارات عموماً، حيث دانَ جميع الحكام في اجتماع يوم 23 مارس 1952م قدوم شحنة من اللؤلؤ الصناعي من بومباي (مومباي) إلى مدينة دبي، الأمر الذي يشكل خطراً اقتصادياً على صناعة اللؤلؤ الطبيعي محلياً، واتفقوا على محاسبة ومساءلة التجار الذين يقومون بهذا العمل قضائياً(60).

ورغم الطبيعة الاستشارية لمجلس حكام إمارات الساحل آنذاك، إلا أن قيام المجلس واجتماعاته ومناقشاته أوجد عند شيوخ الإمارات نوعاً من الوعي بوحدة المصير بين إماراتهم(61).

ومعروف أن التواجد البريطاني في إمارات الساحل لم يكن بمستوى تواجده في المستعمرات التي خضعت للاحتلال المباشر. الأمر الذي أبقى على خصوصيات الإمارات قائمة ومحافظة على وجودها البنيوي الاجتماعي الأصيل وثقافتها العربية الممتزجة بهوية إماراتية عريقة وضاربة بجذورها في عمق تاريخ البلد باعتباره أحد أركان الجزيرة العربية وساحل الخليج العربي. ففي حين كانت المستعمرات البريطانية تخضع لحكام عسكريين بريطانيين وتتبع مباشرة وزارة المستعمرات البريطانية، كانت وزارة الخارجية البريطانية هي المعنية بشؤون إمارات الساحل. مما يعني أن الهيمنة الاستعمارية لم تكن تتواجد بشكل مباشر في الإمارات أو تحد أو تعيق من تمتع المجتمع الإماراتي بهويته. إذ اهتم الإنجليز بالحصول على تسهيلات وخدمات المطارات، إضافة إلى احتكارهم لتلك التسهيلات ومنع حكام الإمارات من إقامة علاقات خارجية

مع قوى أخرى. أي أن مرحلة ما قبل الاتحاد شهدت عقد اتفاقيات مجحفة وبصيغة إكراهية من قبل بريطانيا، لكن الروح الوطنية والفكر الاتحادي كان يتبلور ويتأجج على نار المشاعر الوطنية التي لم تخمد ولم تنطفئ في أي وقت من تاريخ الإمارات.

ويمكن ملاحظة بروز شواهد عديدة على نضج وتفاعل وبروز الفكر الاتحادي في العقود الثلاثة الأخيرة من مرحلة إمارات الساحل، وبالتحديد ما قبل الاتحاد، وهي الفترة التي سبقت قيام الاتحاد ومهدت له سياسياً، كما تزايد الوعي الشعبي العام في تلك الفترة بأهمية الاتحاد وبلغ مستوى كان يثير حنق البريطانيين.

وسوف نقتطف فيما يلي فقرات عن هذه المرحلة اجتزأناها بتصرف من كتاب عن الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل(62)، إذ يشير في فصل خاص عن التغيرات الاجتماعية في الإمارات في عقد الخمسينيات إلى حالة تمدد ونمو للوعي القومي، بعد أن ألهبت الثورات التي قامت في مختلف أنحاء العالم العربي مشاعر الجماهير المتحمسة لنيل الإستقلال ، وازدادت الثورات في الخمسينيات وأوائل الستينيات، فمن ثورة 23 يوليو 1952 في مصر إلى حرب التحرير الجزائرية التي بدأت عام 1954 إلى إعلان الوحدة المصرية- السورية عام 1958 وثورة 14 يوليو 1958 في العراق وثورة سبتمبر 1962 في اليمن، وقد تأثرت بلدان الخليج بتلك الثورات(63).

ثم جاء دور الجامعة العربية التي بدأت تهتم بالإمارات في الستينيات، «والواقع أن جامعة الدول العربية التي نص ميثاقها عند إنشائها عام 1945على التعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة، لم تبد اهتماماً خاصاً بالخليج العربي وقضاياه السياسية والاقتصادية والأخطار المحدقة بعروبته إلا في منتصف الستينيات، وكان أول تعاون حقيقي من قبل الجامعة قد حدث في شهر مارس 1963...»، و «في 31 مارس 1964، تقرر وضع خطة عربية مشتركة للتعاون مع إمارات الخليج العربية في شتى الميادين، وتم تأليف بعثة من الجامعة سميت فيما بعد بعثة الأخوة العربية، برئاسة عبدالخالق حسونة الأمين العام... وأعربت كافة الإمارات عن ترحيبها بقدوم البعثة وتعهدت بتقديم كافة التسهيلات، كما أبدى مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد في الاسكندرية في سبتمبر 1964 اهتمامه بهذه البعثة التي تقرر أن تبدأ زيارتها في 22 أكتوبر. وكانت السلطات البريطانية تراقب الموقف عن كثب.

ويبدو واضحا أن القلق البريطاني من توجه الجامعة للانفتاح على الإمارات مرده الخوف من توطيد العلاقات عبر المساعدات

والوفود، وخاصة من المصريين والعراقيين، وأخذت الصحف البريطانية تشن حملة على جامعة الدول العربية، كما أخذ رادايو الأهواز يهاجم البعثة العربية، وطلب راديو إسرائيل من السلطات البريطانية عدم إفساح المجال لجامعة الدول العربية للعمل في المنطقة. وفي 26 أكتوبر 1964 بدأت البعثة جولتها برئاسة عبدالخالق حسونة، وعند وصولها إلى دبي قوبلت بحماس كبير من جانب حشود كبيرة من المواطنين، واحتدمت منافسة شديدة بين مدن الإمارات وشيوخها في الاحتفاء بالبعثة وإقامة الأقواس ورفع الأعلام.

أزعج الاستقبال الحافل الذي لقيته البعثة في الإمارات السلطات الإنجليزية، وعكست مظاهر الحفاوة البالغة من المواطنين والحكام لتلك البعثة إشارات إلى مدى رغبة حكام وشعب الإمارات في كسر طوق العزلة.. وبعد أن أتمت بعثة الجامعة جولتها في الامارات، وضعت تقريراً تضمن اقتراحاً بايفاد بعثة خبراء فنيين في الطرق والمياه والكهرباء والزراعة والتنمية الاقتصادية، لوضع خطة شاملة تعرض على مجلس رؤساء الحكومات العربية في مطلع عام 1965، وكانت هناك اقتراحات بإنشاء مركز تنمية تابع لجامعة الدول العربية في إحدى الإمارات.

لقد كان من المفترض من بريطانيا اتباع سياسة أكثر وداً مع حكام المنطقة بسبب طول فترة الوجود البريطاني في الإمارات، إلا أن سمة التعالي والصلافة في التعامل كانت هي الأساس، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمصالح الضرورية، فلم يتورع الإنجليز عن استخدام القوة أو التهديد بضرب الاقتصاد البسيط لأي إمارة ترفض أو تتردد في تنفيذ المطلوب منها، ونجد على ذلك أمثلة كثيرة، منها مهاجمتهم لمنازل بعض التجار في دبي، بدعوى متاجرتهم بالأسلحة، مما أدى إلى اشتباكهم مع المواطنين الذي أسفر عن مقتل 37 مواطنا في دبي عام 1910، وحجزهم لأسطول سفن الغوص التابع لإمارة رأس الخيمة، ومصادرة بعض السفن عندما رفض حاكمها الشيخ سلطان بن سالم القاسمي منحهم تسهيلات جوية في بداية الثلاثينيات، وتهديدهم باتخاذ إجراءات حاسمة ضد أشقاء حاكم الشارقة عندما أبدوا اعتراضهم على اتفاقية مطار الشارقة، وكذلك تهديد البريطانيين لحاكم دبي بمنع تصاريح السفر له ولأفراد شعبه، وبإيقاف سفينة البريد من القدوم إلى دبي في حال عدم موافقته على إعطائهم تسهيلات جوية، وفرضهم بناء مستودع للوقود في جزيرة صير بني ياس في إمارة أبوظبي، رغم رفض الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي لذلك، ولم يكن هناك من مانع لدى البريطانيين لتفتيت أي إمارة إذا كانت هناك مصلحة ما من وراء ذلك، كما حدث عندما وافقوا على انفصال مدينة كلباء عن إمارة الشارقة، واعترافهم بها إمارة مستقلة في مقابل التسهيلات الجوية من حاكمها.

لقد أهملت بريطانيا الشؤون الداخلية للإمارات ولم تقدم شيئا يذكر، كما لم تسمح بأي شكل من أشكال التغيير، ولم تتحرك إلا بعد تغير الأوضاع على الساحة الدولية بشكل عام والساحة العربية بشكل خاص عقب الحرب العالمية الثانية وإنشاء جامعة الدول العربية، وظهور تيار الوعي القومي والمناداة بطرد المستعمرين، عندها بدأ الإنجليز يدركون خطورة استمرار إهمال المنطقة فأخذوا يبدون اهتمامهم بالشؤون الداخلية وضرورة وضع برامج للتنمية خوفاً من أن تسبقهم الدول العربية إلى ذلك. ويبدو واضحاً أن السياسة البريطانية كانت ترمي في الأساس إلى استمرار عزل المنطقة وتمزيق كل أشكال التقارب العربي مع الإمارات، لذا طرحت بعض المشروعات التي سميت بمشروعات التنمية.

ورغم الإمكانيات القليلة وظروف الهيمنة القاسية، فقد وقف كثير من حكام الإمارات في وجه الإنجليز، وتشهد مواقف عديدة لهم بذلك، فعلى سبيل المثال هناك مواقف شجاعة كثيرة للشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي ضد التجار الهندوس، الذين حاولوا القضاء على المورد الاقتصادي الوحيد للإمارة المتمثل في الغوص على اللؤلؤ، بمتاجرتهم باللؤلؤ الاصطناعي، مما أدى إلى اتخاذه إجراءات ضدهم واعتراضه على تزايدهم في إمارته، ومواجهته لهم عندما استصدروا قرارات من المحكمة العليا في بومباي لاعتقال أحد المواطنين المدينين بعد انهيار تجارة اللؤلؤ، حيث هدد باعتقال كل الهندوس المقيمين في إمارته رغم وقوف الانجليز مع الهندوس واعتبارهم مواطنين بريطانيين يتمتعون بالحماية البريطانية، وموقفه من تجار الرقيق وتهديده لهم رغم النفوذ الذي كانوا يتمتعون به. ويكتسب الموقف الرافض للشيخ سلطان بن سالم القاسمي حاكم رأس الخيمة للتسهيلات الجوية للإنجليز في الثلاثينيات بعداً مهماً من حيث قدرة حاكم إمارة صغيرة على مواجهة قوة مهيمنة كبريطانيا ورفضه إعطاءهم أية تسهيلات رغم الفائدة التي كان سيجنيها من ذلك، خاصة في ظل الظروف الصعبة في تلك الفترة، وتأييده لكسر احتكار شركات النفط الإنجليزية، بالتعامل مع الشركات الأميركية، التي تقدم شروطاً أفضل، وموقف الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي الذي دخل مع الإنجليز في خلافات حادة منذ اتفاقية الطيران ورفضه إعطاء تسهيلات في أبوظبي ورفضه شروط شركة النفط غير العادلة، وتحديه الإنجليز بإعطاء حق التنقيب في البحر لإحدى الشركات الأميركية، ثم الخلاف على اتفاقية المناصفة، وقيام الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة بإدخال التعليم النظامي إلى الشارقة في بداية الخمسينيات، والذي كان بداية انفتاح الإمارات على العالم العربي، ورفض الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي استمرار احتكار العمل المصرفي من قبل الإنجليز في إمارته عندما كسر احتكار البنك البريطاني بإعطاء مصارف أخرى تصاريح للعمل في دبي، وشجع التجار على تأسيس مصرف محلي هو بنك دبي الوطني، ومحاولته تطبيق قانون يحصر الوكالات التجارية على المواطنين بعد

مغالاة بعض أصحاب الشركات الأجنبية القائمة في الإمارة في أسعارها(64).

تلك نماذج من المواقف الوطنية التي اتخذها حكام الإمارات في مرحلة ما قبل قيام الاتحاد، بدافع من الشعور بضرورة الوقوف الجاد في وجه الظروف والعواصف التي كانت تمس مصالح الإماراتيين في ذلك الوقت.

والحديث بشكل عام عن العمق التاريخي لوحدة الإمارات وعن ظهور التوجه الاتحادي في مرحلة إمارات الساحل يطول لأن شواهده كثيرة. والثابت لدى الباحثين الذين غاصوا في تأمل بُنية المجتمع الإماراتي قبل الاتحاد، أن وحدة المجتمع الإماراتي كانت حقيقة قائمة تاريخياً بالفعل، واتخذت مستويات التعبير عن هذه الوحدة أشكالاً اجتماعية وتحالفات قبلية كبرى، كانت تتلاءم حينها مع ظروف الزمان وتغطي حاجة المجتمع لتنظيم شؤونه وحماية كيانه. وما إن حانت الفرصة للانتقال إلى شكل سياسي أرقى ممثلاً بالدولة الاتحادية حتى ساند الإماراتيون هذه الخطوة التي كانت عفوية وطبيعية وممتلكة لخلفيات جعلت من الاتحاد يمتلك مقومات وعوامل النجاح.

وترى الدراسات التي تناولت البيئة الاجتماعية والسياسية التي أفضت إلى قيام الدولة الاتحادية، أن دولة الإمارات شهدت قبل عام 1971 نمطين سياسيين مختلفين، أولهما: يتمثل في قيام التحالفات القبلية قبل ظهور الدور البريطاني في الخليج وتوقيع معاهدات الحماية، والثاني تحول تلك التحالفات القبلية إلى كيانات سياسية قبل ظهور النفط. وفي المحصلة النهائية لتأمل المسار التاريخي يتضح أن «دولة الإمارات في شكلها الحالي ما هي إلا نتاج لجذور كانت قائمة ضمن البناء الاجتماعي السابق، فالحديث عن الوحدة والاتحاد السباعي الحالي كانت وراءه عناصر التوحد بين القبائل المكونة لسكان الإمارات كقبيلة بني ياس والقواسم والعشائر المتحالفة معهما(65)».

وختاماً لهذا المحور يجدر بنا التذكير بأن مجلس حكام الإمارات المتصالحة الذي كان يجمع حكام الإمارات قبل الاتحاد كان له علم خاص، ويستدل أو يتنبأ المتابع من خلاله على أن لبنة اتحاد المنظومة الإماراتية تعود إلى ما قبل الاتحاد الرسمي بسنوات وعقود، ثم أعلنت بريطانيا في العام 1968 عن رغبتها في الانسحاب من كافة مناطق الإمارات، وهذا ما حصل لاحقاً عام 1971م، واجتمعت الإمارات في كيان واحد، على خلفية وحدة طبيعية متجذرة لم تكن إلا بحاجة لتتويجها رسمياً، وذلك ما حدث بإعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة برئاسة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وهذا ما سنتناوله في القسم الثاني والأخير.

المد القومي العربي وتوازن الفكر الاتحادي

ارتفع في عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي المد القومي العربي، بالتوازي مع مرحلة التحرر التدريجي من الاستعمار الأجنبي (البريطاني والفرنسي والإيطالي)، وراجت الكثير من الأفكار القومية تحت عناوين وشعارات متعددة، فظهرت حركة القوميين العرب وانتشرت مقولاتها في أوساط طلاب الجامعات العربية، ثم ما لبثت هذه الحركة أن تبنت الخطاب الماركسي الشيوعي بدلاً عن الخطاب القومي العروبي. وفي تلك المرحلة ظهر أيضاً الفكر البعثي ثم الناصري نسبة للزعيم المصري جمال عبد الناصر.

وبدورها كانت بريطانيا تشعر بالقلق من تنامي الشعور القومي في الإمارات وتزايد النفور الشعبي من الاستعمار بالتوازي مع غليان الشارع العربي في مصر وغيرها. وتحكي المصادر عن تأثير زيارة بعثة الجامعة العربية إلى الإمارات في عام 1964م، وأن تلك الزيارة مثلت قمة التطلع والرغبة في التواصل بين الإمارات ومحيطها القومي، وقمة التخوف والقلق البريطاني من تلك الصلة التي تكونت بين الإمارات وبين التيارات القومية والثورية في العالم العربي.

لقد كان للفكر الذي ساد الإمارات في الخمسينيات دور مهم في تغذية الشعور الوحدوي والقومي، الذي كان أكبر حافز ومهيء للظروف التي أدت إلى قيام اتحاد الإمارات العربية المتحدة في عام 1971(66). دون أن ننسى أن نضع في الاعتبار الخصوصيات الإماراتية والنزوع الفطري نحو التكاتف والوحدة، وامتلاك البيئة السياسية في الإمارات لفكر اتحادي متجذر ونابع من عمق المجتمع الذي واجه أخطار الماضي موحداً، ثم تطلع إلى المستقبل بوعي وفكر اتحادي معبر عن هوية وخصوصيات الإمارات وهموم شعبها الواحد.

وبالعودة إلى تصاعد المد القومي العربي في خمسينيات القرن المنصرم، فقد كان اللافت للاهتمام أن تلك الحركات التي أججت النزعة القومية تحولت فيما بعد إلى حركات وأحزاب أيديولوجية متصارعة ومنقسمة فيما بينها. إضافة إلى تبنيها نزعات فكرية غريبة عن البيئة العربية وحاجات المجتمع وظروفه ومتطلبات بناء الدولة الوطنية. وتحفل المدونة الفكرية العربية بالكثير من النقد والمراجعات لتلك الحقبة وأفكارها وحركاتها القومية، بينما ثبت مدى توازن الفكر الاتحادي الذي تأسس في الإمارات على نزعة وحدوية عقلانية تجنبت الحماس المؤقت لخطابات الأيديولوجيا والانفعالات العاطفية.

توازن الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم مؤسسا اتحاد الإمارات العربية رحمهما الله (صورة التقطت بتاريخ 18/فبراير/1968).

وبذلك تشكل الوعي الاتحادي على الموازنة بين الطموح القوي وبين الواقع ومتطلباته. ونجحت الإمارات في إقامة دولتها الفتية وتلبية تطلعات شعبها بحكمة وتوازن واقتدار. ذلك أن الفكر الاتحادي في الإمارات استطاع أن يزاوج بين التوجه الوحدوي وبين امتلاك رؤية يمكن وصفها إن جاز التعبير بـ (التقنية) أو الكيفية التي يمكن من خلالها تحقيق الاتحاد وضمان ديمومته واستمراره. تلك الكيفية التي جسدت الإطار التطبيقي العملي للميول الوحدوية في الإمارات تتمثل في الشكل الاتحادي للدولة، مما عزز نجاح الفكر الاتحادي في الإمارات وأكد صواب التفكير في الاتحاد من داخل الواقع لا من خارجه. وعندما يكون الفكر نابعاً من الواقع وعلى صلة به، يمتلك أسباب النجاح والتقليل من احتمالات الفشل إلى أبعد حد.

وفي سياق الحديث عن توازن الفكر الاتحادي أيضاً في مرحلة طفرة المد القومي العربي، لا يمكن تجاهل الدور الأساسي الذي قام به الشيخ زايد -رحمه الله- شخصياً وجهوده الاستثنائية المضنية التي أثمرت قيام دولة الإمارات العربية المتحدة ونهوضها في فترة وجيزة، إلى أن شهد مؤسس الدولة بنفسه ثمرة جهوده وكفاحه مع بقية حكام الإمارات، بعد أن انعكس الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- عليهم جميعاً وصاروا يداً واحدة.

ومن المهم في هذا المحور الإشارة كذلك إلى دور العامل الاقتصادي في مراحل تبلور النضج السياسي النخبوي والشعبي في الإمارات، ابتداء بالنهضة التعليمية والابتعاثات التي رعاها تجار اللؤلؤ، والتي كان لها دور رئيس في إخراج رعيل مثقف ساهم في المتغيرات الفكرية والحضارية التي شهدتها المنطقة، مروراً بظهور تيارات وطنية مستقلة ساهمت في تبلور الفكر السياسي. ثم ما جرى في الخمسينيات من تبلور وبروز المد القومي الذي ساهمت ثورة يوليو المصرية في انتشاره وبروزه كتيار عربي وشعبي عام. وفي هذه الفترة غذّى الشعور الشعبي حركات التحرر هذه وألهبها لتكون رديفاً لحركات التحرر في مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية، ولتضيف إلى رصيد العالم العربي زخماً تحررياً قوياً دفع بالبعض إلى إطلاق تسمية الخليج الثائر على هذه المنطقة(67).

في ذات السياق يشير الباحث أحمد عبدالله بن سعيد إلى تأثير الهيمنة الأجنبية على نمو الوعي الوطني والقومي في الإمارات قبل قيام الاتحاد. ففي كتاب له بعنوان «السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة تجاه الوطن العربي»، (انظر المراجع)، يقول بن سعيد: إن تزايد المصالح الأجنبية كان أهم ما يميز منطقة الخليج العربي في مرحلة ما بين

الحربين العالميتين، مما أدى إلى تنامي الوعي القومي العربي في أرجاء الخليج كافة، وترتب عليها ظهور ردود أفعال، مثل التحركات الوطنية المبكرة في الإمارات، كالحركة الإصلاحية في دبي التي قدمت مذكرة في عام 1938 إلى الحاكم البريطاني تضمنت عدة مطالب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، مما ترك أثراً واضحاً في الحياة السياسية في دبي وباقي الإمارات، وزاد من تحفيز العناصر الوطنية المطالبة بالاستقلال منذ ذلك التاريخ.

وتزامن مع تلك التحركات الوطنية المبكرة اتجاهات للاصلاح الاجتماعي والنهوض التنموي والثقافي، فضلاً عن التأثر بالحركات التحررية ضد الاستعمار التي سادت الوطن العربي إجمالاً ومن ضمنه منطقة الخليج.

وقصة تطور الفكر الاتحادي والتوجه الوطني في الإمارات طويلة، وظلت تلازم كافة المراحل التاريخية. ولا شك أن تحول الفكر الاتحادي بعد قيام الدولة إلى ممارسة على أرض الواقع، كان الضامن الأكبر للازدهار وتحقيق إنجازات كبيرة للشعب الإماراتي. وعندما تتعمق مصالح الشعوب وترتبط بشكل حيوي بمستوى أداء الحكام وحماسهم وحبهم وإخلاصهم لشعوبهم، يصبح الجميع حينها شركاء في صناعة الحدث وحمايته، وهذا ما حدث في الإمارات، حيث أصبح الاتحاد مصلحة شعبية، وصارت حمايته والحفاظ على مكاسبه مسؤولية جماعية يتحملها كل الإماراتيين. والفضل في الوصول إلى هذا المستوى من التلاحم الذي هو عنوان الدولة الحديثة يعود لذلك الزعيم الاستثنائي الشيخ زايد -رحمه الله-، الذي وضع الإمارات في سكة السير باتجاه المستقبل، فصار كل مواطن إماراتي معنياً بحماية أساس الاستقرار والرخاء الذي يعيش فيه والمتمثل في الاتحاد.

مقومات اتحاد الإمارات

يعتقد كثيرون أن تاريخ الإمارات يبدأ باتحاد الدولة سنة 1971، لكن الحقيقة هي أن تاريخ الإمارات يعود إلى أبعد من ذلك بآلاف السنين، حيث تدل الحفريات الأثرية على مدى الأهمية والمكانة التاريخية التي تتمتع بها الإمارات، والتي كانت منطقة تواصل والتقاء حضاري بين شعوب عدة. ويوجد في الإمارات مئات الأوابد والمباني والمواقع الأثرية والتراثية يعود البعض منها إلى العصر الحجري، هذا بالإضافة إلى المستوطنات والمدافن البشرية التي تم اكتشافها في المناطق الساحلية من الإمارات. وقد تم العثور أيضا على مناطق أثرية تعود إلى العام 7000 قبل الميلاد(68).

ولا بد من الإشارة إلى أن المرحلة الطويلة والممتدة منذ ما قبل إعلان قيام الدولة الاتحادية في بداية السبعينيات من القرن الماضي، كانت تحمل في طياتها الكثير من المؤشرات والتفاعلات السياسية التي عندما نتأملها مجتمعة، ندرك جيداً أن الإمارات كانت تتفاعل على مستوى الحكام والشعب تفاعلاً يعي ويدرك وحدة البلاد وحتمية تحقق الاتحاد، الذي كانت كل شواهد الواقع تدل على أنه متأصل وقائم في وجدان الإماراتيين، وكان بحاجة لتعميده وبلورته بشكل رسمي ومؤسسي، وهو ما حدث بالفعل، بعد أن تهيأت الظروف للقيام بهذه الخطوة الطموحة، وبعد أن تهيأ للإمارات وجود رجل بحجم ومكانة الشيخ زايد طيب الله ثراه، الذي لم يدع فكرة الاتحاد تبقى حبيسة الأحلام والأمنيات، بل حولها إلى واقع وممارسة، وإلى منجز عملي وفرت له المقومات الطبيعية لوحدة الإمارات حماية ذاتية، إلى جانب دور حكمة القادة وإيثارهم وطموحهم في وطن إماراتي موحد، يزيد من اعتزاز الإماراتي بالانتماء، ويجعل فضاءات الدولة أكثر قوة وهيبة وأبهى حضوراً على الخارطة. ومن الناحية الاقتصادية وفر الاتحاد للكيان الإماراتي مساحة من النمو واستثمار الإمكانيات والثروات الطبيعية لصياغة ملامح الدولة الناهضة والمجتمع الذي يتمتع بالرفاهية والرخاء.

ولعل من أبرز المقدمات التي عززت في ضمير قادة الإمارات وشعبها أن الاتحاد حقيقة حتمية، ذلك التآلف والتآزر العميق والأصيل الذي ظل سمة بارزة بين مختلف الإمارات ومناطقها منذ ما قبل إعلان الاتحاد بمراحل.

وكان لذلك التآزر دور حيوي ومحوري في خلق النواة المستمرة للترابط السياسي المتدرج والتنبه للمصير المشترك الذي أوصل إلى قيام دولة الاتحاد بإرادة وطنية إماراتية موحدة، استجابت للفكر الاتحادي وللتوجه الحاسم الذي انتهجه الشيخ زايد رحمه الله، الذي تسلح بعزيمة القائد المؤسس ووضع تحقيق الاتحاد ضمن قائمة أولوياته، إلى أن ارتفع علم

الإمارات كانت منطقة تواصل والتقاء حضاري بين شعوب عدة، (مغادرة القافلة من واحة عصب سنة 1962).

الإمارات ونهض اتحادها الذي ينعم بخيراته كل الإماراتيين.

ولا بأس من أن تتكرر الإشارة في هذا العمل إلى أن الروح الوطنية التي تسري في دماء الإماراتيين وتزرع فيهم حميتهم تجاه بلدهم، كانت قد تشكلت بوضوح في العصر الحديث ومنذ بدايات القرن السادس عشر، حيث أدى الغزو البرتغالي آنذاك إلى ظهور قوى وطنية، تأسست مع بروزها أشهر أسرتين حاكمتين في الإمارات، وهما آل نهيان والقواسم. إذ استدعى الواقع آنذاك بروز القوى الوطنية لمواجهة الغزو والدفاع عن الهوية والوحدة والثقافة المشتركة. وفي تاريخ الإمارات العديد من مراحل التلاحم والتآزر في مواجهة الغزوات الخارجية بمختلف أشكالها.

وتبقى وحدة الامتداد الجغرافي الطبيعي للإمارات ذات دلالات مهمة، من جهة تأكيدها على الوحدة التاريخية للإمارات، وعلى حكمة وصواب الفكر الاتحادي. وللجغرافيا الواحدة كذلك انعكاساتها على صياغة الروح الوطنية الجماعية في الإمارات، وعلى توليد ردود الأفعال الموحدة تجاه الأخطار المشتركة التي واجهها الآباء قبل الاتحاد.

كما أن الوحدة الطبيعية للإمارات على مستوى البيئة والسكان وخصوصياتها وملامحها التي تميزها على كافة المستويات، تبقى هي المحرك الأول وأساس المقومات التي ارتكز عليها الاتحاد. وقد مر الفكر الاتحادي بمراحل ظل يتبلور خلالها إلى أن أفضى إلى إعلان قيام الدولة، بإرادة سياسية واعية ومستندة إلى عوامل تشكل ضمانة أساسية لنجاح خطوة قيام الدولة الاتحادية. ونجحت الإمارات في تخييب ظن المراقبين ممن كانت لديهم شكوك أو تخوفات تجاه ما بعد إعلان الاتحاد.

لقد كانت البنى الحاكمة في الإمارات قبل قيام الدولة تكتسب تطورات وتحديثات طبيعية فرضها الزمن وحاجاته التي تزداد تعقيداً، وكانت تلك البُنى تستدعي بدورها ارتقاء نمط التفكير السياسي وطبيعة العلاقات فيما بينها، بالإضافة إلى التطورات الاقتصادية التي لعبت دوراً حاسماً في تنمية واستقرار الدولة بعد إعلان الاتحاد.

وفي المجمل فإن مقومات وعوامل الفكر الاتحادي في الإمارات لا تنفصل عن مقومات الوحدة الطبيعية التي تتميز بها الإمارات من ناحية البيئة الجغرافية والثقافية، وكل ما يتعلق بخصوصيات المكان ودلالاته الثقافية والاقتصادية الواحدة والغنية في الوقت ذاته بتنوعها. وقد استمد الفكر الاتحادي لدى القادة والحكام أسسه من الواقع ومن المشتركات التي تصب في خانة التأكيد على وحدة مصير ومستقبل الإنسان في الإمارات قبل وبعد الاتحاد.

وقبل أن نستعرض مقومات الاتحاد، هناك مفارقة متميزة ينبغي الإشارة إليها، لأنها تعكس حكمة وبعد نظر الطبقة السياسية الحاكمة في الإمارات. تلك المفارقة تتمثل في الانطلاق للتأسيس لوحدة الإمارات منذ البداية على قاعدة النظام الاتحادي الفيدرالي. وهذا النظام السياسي العالمي الفريد التي تأخذ به العديد من دول العالم المتقدمة حضارياً منذ قرون، جاء متوافقاً مع طبيعة التركيبة السياسية والاجتماعية في الإمارات. فكان من ثماره تحقيق غاية الاتحاد وأهدافه، مع الإبقاء على التنوع الذي يغني الدولة الواحدة ويثريها. وبذلك حدث الاتساق بين طموح القادة الكبار في توحيد الكيان السياسي للبلد الواحد، وبين الحفاظ على خصوصيات الإمارات المحلية التي تتبادل إغناء بعضها وإثراء كيان الدولة ومجتمعها بالتنوع. وهذا ما يجعل تجربة الإمارات في إنجاز حلم الاتحاد جديرة بالتأمل والإشادة بريادة نخبتها المؤسسة للاتحاد، وعلى رأسهم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، الذي حمل على عاتقه مهمة تحويل الهاجس الاتحادي من نطاق التفكير والحلم إلى التحقيق في الواقع.

ويمكن سرد مقومات وحدة الإمارات باختصار في النقاط التالية:

اختلاط الإماراتيين وامتزاج علاقاتهم وأنشطتهم ميز مجتمع الإمارات بصلابة التجانس البشري (الحياة الإماراتية قديماً).

أولاً: وحدة الجغرافيا والبيئة العامة.

من البدهي أن يشكل العامل الجغرافي من حيث امتداده وتداخله أساساً لمبدأ نشوء الدول، فلا دولة من دون جغرافيا أو من دون أرض، وأرض الإمارات كما تبدو اليوم على الخريطة، كانت في كافة المراحل تشير إلى أن هذه المساحة من الجزيرة العربية بسواحلها وصحرائها وجبالها تشكل بيئة اجتماعية وسياسية واحدة، وكانت تنادي أبناءها على الدوام ليلموا شتاتهم ويتوحدوا في نظام سياسي قوي يمنحهم الاعتزاز والحماية والقدرة على مواجهة الأخطار والتحديات في زمن التكتلات والقوى الاقتصادية الكبرى.

والوحدة الجغرافية من المقومات الرئيسة للمجتمع الإماراتي، فالتقارب الجغرافي ساهم بقوة في تماسك المجتمع بسبب سهولة اتصال واختلاط الإماراتيين وامتزاج علاقاتهم وأنشطتهم، الأمر الذي ميز مجتمع الإمارات بصلابة التجانس البشري.

ثانياً: وحدة تاريخ الإمارات وترابط السكان والتركيبة المجتمعية.

تشير أبرز المراجع التاريخية والمخطوطات وكتب الحوليات إلى وحدة تاريخ الإمارات وتمازجها واشتراكها في المصير والتأثر المشترك الذي كان يطال كل الإمارات عندما يتعرض جزء منها لأي عدوان خارجي. ومن دلائل الوحدة التاريخية للإمارات ما يذهب إليه محقق أحد المصادر والمراجع التاريخية وهو كتاب «الحوليات في تاريخ الإمارات(69)»، حيث يستنتج المحقق من مضمون كتاب الحوليات مقدرة «أهل الفكر والمعرفة من الجيل القديم من أبناء الإمارات» على كتابة تاريخ بلدهم، وأن ما تركوه من مخطوطات تمثل رداً على من يقول: إن أهل الإمارات لم يكتبوا تاريخهم.

كما يذكر محقق كتاب الحوليات في مقدمته أن مؤلفه «لم يركز على الطبقة الحاكمة فقط، ولم يكتف بذكر الوقائع السياسية، بل التفت أيضاً إلى الجانب الاقتصادي وإلى الأحوال البيئية والمناخ والكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة، علاوة على تاريخ زيجات بعض الأفراد والولادات والتركيبات الاجتماعية، بحيث أعطانا صورة تحيط بفئات المجتمع الإماراتي ... ولا بد من القول أيضاً أن ما جاء في الحوليات من أحداث تاريخية تظهر لنا وحدة تاريخ أهل الإمارات بشكل عام ... وأن الحدث الذي يقع في إمارة ما تظهر تداعياته على بقية الإمارات أيضاً، وهذا يدل على وحدة الإمارات التاريخية وارتباطها وتماسكها.. (70)».

أما على مستوى ترابط ووحدة السكان والتركيبة المجتمعية، فدولة الإمارات العربية المتحدة جزء لا يتجزأ من شبه الجزيرة العربية التي ينتمي سكانها إلى القبائل العربية، وقد هاجرت أغلب تلك القبائل العربية إلى مناطق الإمارات قبل الميلاد بأكثر من 120 عاماً، حيث أطلق لقب «النزاريين» على أول هجرة عربية إلى الإمارات قادمة من اليمن إثر انهيار سد مأرب، ثم تكاثرت هجرات القبائل العربية في مراحل لاحقة عرفت بهجرة اليمنيين القحطانيين إلى الإمارات. وكانت أولى الهجرات هي هجرة قبيلة الأزد بقيادة مالك بن فهم الأزدي، ثم تفرعت القبائل النزارية والقبائل اليمانية وأصبحت بطوناً وأفخاداً متعددة في دولة الإمارات نتج عنها عشرات التسميات القبلية التي ينتمي إليها أبناء الإمارات. كما هاجر إلى الإمارات أفراد قلائل من شعوب غير عربية من آسيا وبلاد فارس وأفريقيا، منهم من قدم للعمل ومنهم من قدم للإقامة(71).

وتتمثل وحدة سكان الإمارات والترابط الاجتماعي فيما بينهم بشكل أوضح في الترابط القبلي المتين الذي يوحد بين النسيج الإجتماعي للسكان، بل ويمتد حتى على مستوى الترابط العائلي وصلة القرابة بين الحكام وبعضهم من جهة، وبين الحكام وعائلات من عامة الشعب من جهة أخرى.

وفي هذا الجانب يرصد الكاتب والأديب الإماراتي الراحل حمد خليفة بو شهاب علاقات القرابة المتينة التي تجمع بين أسر الشيوخ الذين يحكمون الإمارات، مستهلاً كتاباً له بعنوان «إطلالة على ماضي الإمارات» بذكر الفئات التي يتكون منها مجتمع الإمارات، ويقسمها إلى فئتين:

فئة الحكام، وهم:

- آل نهيان (من قبيلة آل بوفلاح): حكام أبوظبي.
- آل مكتوم (من قبيلة آل بوفلاسا): حكام دبي.
- القواسم: حكام الشارقة ورأس الخيمة.
- النعيم: حكام عجمان.
- آل المعلا: حكام أم القيوين.
- الشرقيون: حكام الفجيرة.

ثم فئة الرعايا: أفراد الشعب الذين يقطنون الإمارات السبع. وهم قبائل عربية انحدرت أصولها منذ القدم من شبه الجزيرة العربية بين عدنانية وقحطانية المنشأ (حجازها ونجدها ويمنها)، واستقرت بعد التجمع على هذا الجزء من الجزيرة العربية. وهي وإن توزع أفرادها في قبائل متعددة إلا أنها امتزجت نسباً ومصاهرة بمرور العصور. وحكام الإمارات هم جزء من الشعب الذي تربطهم به وشائج القربى والرحم(72).

ثم يعرج بوشهاب على سرد صلات القربى والنسب فيما بين الأسر الحاكمة في الإمارات من جهة، وصلة القرابة بين الحكام وأهل الإمارات من جهة أخرى، فيتضح حسب كتاب أبو شهاب أن كل الأسر الحاكمة في الإمارات تربطها صلات قربي ونسب وتزاوج بلا استثناء. والأمثلة على ذلك كثيرة وتتضمن تفاصيل تجعل من حكام الإمارات من ناحية القرابة والعلاقات الأسرية أشبه ما يكونوا عائلة واحدة. وكذلك هو الحال في علاقات النسب بين الأسر الحاكمة وعدد من القبائل والأسر التي من عامة الشعب.

ومن الأمثلة التي ذكرها بو شهاب في كتابة، صلة النسب بين آل بوفلاح حكام أبوظبي وآل بوفلاسا حكام دبي، وما بينهم من مصاهرات قديمة وجديدة تربط بين الأسرتين الحاكمتين منذ القدم، ومعروف تاريخياً أن حكام أبوظبي آل بوفلاح وحكام دبي آل بوفلاسا ينحدرون جميعاً من حلف بني ياس التي وحدت إمارة أبوظبي.

وحال القرابة والمصاهرة ذاته يسري أيضاً في نسيج الأسر الأخرى الحاكمة لبقية الإمارات. إذ توجد علاقات وصلات قربى ومصاهرة بين الأسر الحاكمة على النحو التالي:

- صلات قربى ونسب بين آل بوفلاح والقواسم.
- صلات قرابة ونسب بين آل بوفلاح والنعيم.
- صلات بين آل بوفلاح وآل المعلا.
- صلات نسب بين آل بوفلاسا والقواسم.
- صلة نسب بين آل بوفلاسا والنعيم.
- صلات تربط القواسم بالنعيم.

- صلات بين آل المعلا والنعيم.
- صلات بين القواسم وآل المعلا.
- صلات نسب ومصاهرة بين القواسم والشرقيين حكام الفجيرة.
- صلات بين النعيم والشرقيين.

وعلى مستوى الصلات بين الأسر الحاكمة والعائلات الإماراتية المعروفة، يرصد بو شهاب الصلات التالية:

- صلة تجمع الشوامس بآل المعلا.
- صلة قربى بين الشوامس والقواسم.
- مصاهرة بين الشوامس والزعاب.
- صلة قرابة بين النعيم حكام عجمان وآل هويدن شيوخ بني قتب.
- صلات بين الزعاب والقواسم.
- صلات نسب بين آل بوفلاح حكام أبوظبي وآل بن هويدن.

وفي أكثر من ثلاث صفحات يكشف بوشهاب في كتابه عن صلات القرابة والنسب بين عدد من حكام الإمارات والمحكومين من عامة الشعب الإماراتي. ومن الأمثلة على تلك الصلات أن والدة الشيخ زايد بن خليفة المعروف بزايد الكبير والذي حكم أبوظبي بين (1855-1909م) هي موزة بنت عبد الله بن سيف بالهول السويدي(73).

كما ارتبط أغلب حكام الإمارات بزيجات ومصاهرات مع أسر إماراتية من عامة الشعب. ومن مجمل هذه الصلات التي تربط بين الحكام وبعضهم كما تربط بينهم وبين عامة الشعب، يستنتج المتأمل مدى وحدة النسيج الاجتماعي في الإمارات، إلى حد يبدو فيه التداخل العائلي والقرابة عاملاً أصيلاً من عوامل الوحدة الاجتماعية والنفسية في الإمارات منذ ما قبل قيام الدولة الاتحادية بكثير.

ولعل في شواهد الترابط الكثيرة التي أشرنا إليها ما يفسر أو يعزز المزاج والذوق الاجتماعي العام لسكان الإمارات السبع الذي يحمل ذات الطبائع والانفعالات والهموم المشتركة. كما يكشف هذا الملمح بالإضافة إلى وحدة النسيج الاجتماعي

عن وحدة سياسية ضمنية مهدت لقيام الاتحاد الحديث وجعلت الطريق أمامه سالكاً وميسوراً.

ثالثاً: وحدة اللغة:

تمثل اللغة العربية أحد أعمدة الهوية التي توحد المجتمع الإماراتي، وهي اللغة التي يتواصل عبرها المجتمع والتي أبدع فيها الأجداد ولوّنوا بها أصنافاً مختلفة من ضروب الشعر والأدب. ولا يزال فن كتابة الشعر متغلغلاً في نفوس أفراد المجتمع الإماراتي، ولولا قوة ومتانة اللغة العربية وحضورها في الوجدان الإماراتي كجزء أصيل من هويته لما استمر هذا الموروث الشعبي الأصيل.

رابعاً: الوحدة الدينية:

يعد الدين الإسلامي أبرز وأهم مقومات اتحاد المجتمع الإماراتي الذي جعلته الوحدة الدينية أكثر تماسكاً، كون الدين بشكل عام يعطي المجتمع طابعاً روحياً ويمنحه تجانساً يساعد المجتمعات على التلاحم والانطلاق من هوية واحدة، نظراً لما يمثله الدين من أهمية في تشكيل العقل الجمعي وإكساب شخصية المجتمعات صبغة روحية تختزن طاقة كبرى في صياغة الهوية العامة وواحديتها.

خامساً: وحدة العادات والتقاليد:

يمتاز المجتمع الإماراتي بموروثات عريقة منذ القدم نابعة من العادات والتقاليد العربية الأصيلة، إذ نجد الكرم الفطري والصفاء الروحي سمة بارزة لشعب الإمارات، وقد ساهمت هذه القيم في تعزيز التجانس الاجتماعي، فتجد المجتمع يفرح في المناسبات الاجتماعية المختلفة كالأفراح والأعراس والأعياد مثلما يتعاطف أفراده في ما بينهم في الأحزان والمآتم.

سادساً: وحدة الحلي والزينة:

ويتجلى هذا الملمح بوضوح عند المرأة الإماراتية، فالزينة تحمل النقوش ذاتها.. والجديد دائما ما يتلقفه مجتمع الإمارات منذ القدم في وقت واحد وبذائقة موحدة.

توحد الزي الإماراتي للرجال في أشكاله وألوانه.

سابعاً: زي الرجل:

توحد الزي الإماراتي للرجال والأطفال في أشكاله وألوانه واغراضه وأوقات استخدامه طوال مراحل تاريخ الإمارات.

ثامناً: وحدة الطقوس:

توحدت طقوس الأفراح والأتراح عند مجتمع الإمارات منذ القدم، بما في ذلك الطقوس المعبرة عن وحدة وتكاتف المجتمع.

تاسعاً: ملتقيات الأسواق:

مثلت الأسواق الدائمة والمؤقتة ملتقيات لمواطني الإمارات منذ القدم. فقد كان المواطنون يلتقون فيها ويعقدون الصداقات فيها والعلاقات الترابطية الحميمة فيما بينهم، إلى جانب وظيفتها الأصلية المتمثلة في التجارة والنشاط الاقتصادي.

عاشراً: وحدة الآلام والآمال والطموحات:

يمكن الحديث عن عامل آخر من عوامل اتحاد الإمارات، ويتمثل في اقتسام الإماراتيين مجتمعين لآلام وآمال مشتركة. أما الآلام فسبقت الاتحاد وجعلت من التعجيل به ضرورة حتمية. فيما الآمال والطموحات الإيجابية صارت عنواناً لمرحلة ما بعد قيام الاتحاد الذي جعل النظرة إلى المستقبل في عيون الإماراتيين تستشرف الآتي بروح جماعية واحدة، تتطلع للمزيد من الإنجازات والمكتسبات التي تندرج بعضها في خانة ما لم يكن أحد يتصوره في الماضي.

وليس من الغريب أن يتقاسم الإماراتيون الآلام والمعاناة التي سبقت تحقيق الاتحاد. إذ لم تكن فترة ما قبل الاتحاد تمثل مبعث سعادة أو استقرار لأية إمارة. ناهيك عن المعاناة الشاملة للمجتمع الواحد، ومدى احتياج علاقاته وشؤونه الاقتصادية لدولة واحدة قوية، تحمي حقوقه وتيسر له سبل العيش وكل ما يضمن مستقبل أبنائه.

ومن الآلام التي وحدت الإماراتيين كذلك، السطوة الاستعمارية الغاشمة التي مثلها الوجود البريطاني في منطقة الخليج.

الشعب الإماراتي يتميز بالصفاء الروحي والتجانس الاجتماعي.

وكل الشعوب العربية والأفريقية أو معظمها واجهت مشقة المعاناة مع تبعات الاستعمار الأجنبي، رغم أن طبيعة معاناة الإمارات مع التواجد البريطاني لم تمتد إلى مثل ما عانته الشعوب الأخرى من الإحتلال، وذلك لأن البريطانيين كانوا منشغلين في سواحل الخليج والإمارات بتوقيع اتفاقيات حماية، تضمن لهم فقط عدم السماح بتواجد أي نفوذ أجنبي منافس لهم، فكان البريطانيون يكتفون بالاستفادة من الموانئ لخدمة وتموين سفنهم، ومن الحصول على تسهيلات أثناء عبور المطارات التي أُنشئت في الإمارات منذ وقت مبكر.

إلا أن عدم وجود احتلال مباشر للإمارات لم يمنع من وقوع الظلم والمعاناة والشعور بمصادرة القرار الوطني الإماراتي، بسبب الاتفاقيات التي فرضتها بريطانيا بالقوة على الحكام، وكلما حاولوا التمرد عليها كانت تسارع بتذكيرهم بمضامينها. ناهيك عما خلفته بريطانيا وسعت إليه من محاولات لعزل الإمارات والخليج والتحكم بعلاقاته الخارجية.

وقد وفر قيام دولة الإمارات العربية المتحدة فرصة ذهبية للشعب الإماراتي الواحد، ليمتلك زمام الأمور ويقوم بتحديد علاقاته الخارجية بإرادته الوطنية المستقلة، وتبعاً للمصالح المرجوة التي تعود بالفائدة على الإمارات. ومنذ قيام الاتحاد حدث تحول وطني كبير في الإمارات، فبدلاً من الإشتراك في اقتسام الآلام والمعاناة التي كانت سائدة قبل الاتحاد، أصبح الإماراتيون يقتسمون الآمال التي لا حدود لطموحها وسقفها على كل المستويات الاقتصادية والثقافية والعلمية.

وسوف نتطرق في ختام القسم الثاني الأخير من الكتاب إلى جوانب من الآمال التي تحققت في الإمارات في سياق الحديث عن ثمار الفكر الاتحادي بعد إعلان قيام الاتحاد، ومدى ارتفاع سقف الطموحات التي لم يكن أي مواطن يحلم بتحقيقها في الماضي.

الاكتشافات النفطية أسهمت بفاعلية في قيام الاتحاد

(المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، في افتتاح مصفاة أم النار للبترول- أبوظبي 8 نوفمبر 1975).

دور الاكتشافات النفطية

بات من المهم جداً إدراج العامل الاقتصادي، وبخاصة الاكتشافات النفطية ضمن العوامل والمقومات التي أسهمت بفاعلية في قيام الاتحاد وحماية سفينته من العواصف. والأهم من ذلك ضمان استقرار ورخاء الدولة الاتحادية بفعل تعميم الخير على جميع مناطق الإمارات وليس على إمارة بعينها.

ومما لا شك فيه أن جوهر الفكر الاتحادي والروح الوطنية المتسامية التي تضع رخاء الإمارات ومواطنيها في المقدمة، جعلت من ظهور النفط في الإمارات نعمة شملت كافة الإماراتيين. وبالطبع فإن النوايا الطيبة نحو الاتحاد لم تكن كافية لوحدها، ذلك أن إقامة الدول تتطلب إمكانيات وموارد لتحقيق التنمية واستقلال القرار الوطني الداخلي والسياسة الخارجية، والإمارات بدأت مرحلة الاتحاد بقوة معنوية مستندة إلى فكر اتحادي عميق ومتجذر تاريخياً، ومستندة كذلك إلى روح وطنية جماعية مكّنت الإماراتيين من امتلاك طاقة للبناء والسير في اتجاه تعزيز أسس الاتحاد وقواعده. لكن في الوقت ذاته كانت الاكتشافات النفطية المبشرة بالخير توفر الغطاء الاقتصادي المتين الذي أسهم في تأمين إقامة مشروعات التنمية العملاقة وبناء مؤسسات وهياكل الدولة الاتحادية ومؤسساتها المركزية. وبلغت أهمية عهد النفط إلى حد الجزم بأن الثراء النفطي في أبوظبي كان بمثابة القابلة القانونية في ولادة دولة الإمارات العربية المتحدة(74).

ولا يمكن إغفال دور التنوع الاقتصادي عند سكان الإمارات، وعلى وجه الخصوص دور التجارة المهم في إيجاد رؤوس أموال انعكست على خلق فرص عمل وتحقيق ازدهار ملحوظ في سوق العمل، بالتوازي مع ظهور النفط. إلا أن الكثير من الباحثين يعطون أهمية كبرى وطبيعية للاكتشافات النفطية ودورها في الإرتقاء بالمجتمع الإماراتي ورفع مستواه الاقتصادي، وتوزيع الحكومة المركزية للثروة عبر قنوات متعددة أوصلت الرفاهية لشريحة المواطنين في كافة أرجاء الدولة.

وبالتالي لا يمكن للقراءات التي تناولت التحولات الناجمة عن ظهور النفط في الإمارات أن تغفل حقيقة أن عهد النفط يمثل ثورة شاملة في البنية الاقتصادية للدولة، إذ فتح لها سبيل التطور الاقتصادي، ومكّنها من الانتقال إلى مدنية القرن العشرين، ووفّر النفط للإمارات من الأموال ما جعلها مؤهلة اقتصادياً للقيام بمشاريع إنمائية لم يكن في الاستطاعة

إنجازها في الماضي، كما أدى إلى رفع مستوى المعيشة للمواطن الإماراتي بدرجة مكّنته من الانتفاع من ثمار النهضة والتعليم والنمو الاقتصادي والاستفادة من معطيات العصر.

وبذلك فإن موضوع الثروة النفطية وقيام الدولة، وكيف أثر النفط في تكوين الدولة وتغيير طبيعة التحالفات السياسية السابقة قد أوجد طرقاً جديدة من الوسائل التي يعمل بها الزعماء والصفوة الاقتصادية، وغيّر العلاقة بين الحكام والتجار، وأقام نوعاً من تنظيم العلاقات بين أصحاب المال وبين نظام الحكم، ولأن الاستراتيجيات التي أقرها الحكام قد اقتضت الوصول إلى بقية السكان، فإنه أوجد الطريقة لاستمرار وتقوية العلاقات داخل الجماعات، وإن كانت جماعات صغيرة. وفي النهاية فإن النفط مسؤول عن تكوين الدولة، وعن بناء الدولة والمؤسسات(75).

وعلى صعيد تطور المجتمع الإماراتي بشكل عام، سيبقى ظهور النفط وتنامي عائداته الكبيرة من صميم مقومات اتحاد الإمارات، لأن المصالح الاقتصادية ألزمت بإيجاد المبرر لدفع التجمعات القبلية لقيام شكل من أشكال الدولة يحمي ثرواتها ومصالحها المشتركة، ويقوم بالدور الرسمي لحل أية إشكالية للتطور الحادث في مجتمع الإمارات(76).

وبظهور النفط كذلك استنفد النظام القبلي بشكله التقليدي القديم مبرراته الأساسية كوسيلة للعيش والدفاع عن النفس، في ظل الثروة النفطية التي قادته إلى الإدراك بأن استغلال هذه الثروة في ظل الوئام والاتحاد بدل الصراع والفرقة سيعود عليه بالنفع مئات المرات أكثر من تشبثه بالنظام القبلي(77).

الاكتشافات النفطية ساهمت في الإرتقاء بالمجتمع الإماراتي (افتتاح منشئات بترولية في الرويس عام 1971).

ملخص القسم الأول

قدمنا في هذا القسم نظرة عامة على الفكر الاتحادي في الإمارات، وتناولناه من حيث المفهوم باعتباره توجهاً سياسياً انحاز إلى وحدة الإمارات، وبمراعاة هذا التوجه لطبيعة التركيبة السياسية للمجتمع الإماراتي اهتدى إلى الشكل الاتحادي الفيدرالي، فامتزج الفكر الاتحادي والنزعة الوطنية الوحدوية برؤية سياسية متقدمة، ارتأت في الشكل الفيدرالي الاتحادي ضمانة لوحدة الإمارات والحفاظ على خصوصياتها، بما يحقق الهدف الأسمى، وهو قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، الهدف الذي تحقق بالفعل، بعد مراحل ظل خلالها الفكر الاتحادي يتبلور ويمر بأطوار واقعية، إلى أن انسحبت بريطانيا من منطقة الخليج وإمارات الساحل، وألغيت اتفاقيات الحماية المجحفة التي كانت تحول دون توحد الإمارات واجتماع حكامها على كلمة واحدة.

وتناولنا في هذا القسم أيضاً ملامح ومشاهد من تجليات ومظاهر الفكر الاتحادي في الإمارات قبل قيام الاتحاد، واخترنا من بين قادة الإمارات الأوائل الذين ظهر لديهم بشكل عملي التوجه نحو توحيد الإمارات، كلاً من الشيخ زايد بن خليفة، الذي اشتهر بزايد الكبير أو زايد الأول، وهو حاكم إمارة أبوظبي في الفترة بين 1855 و1909. كما اخترنا شخصية الشيخ سعيد بن مكتوم الذي حكم إمارة دبي خلال الفترة من 1912 إلى 1958.

وكلا الشيخان حملا لواء الفكر الاتحادي منذ وقت مبكر، وتختزن وقائع التاريخ مواقف وطنية لكل منهما لا تنسى. فالشيخ زايد الكبير هو الذي جمع كافة حكام الإمارات في منطقة الخوانيج عام 1906 لتدارس أوضاع إمارات الساحل وحل بعض قضاياها. كما أنه كان حاكم أبوظبي القوي وموحدها الأول، ودانت له كل القبائل بالولاء، وعارض الإنجليز في مواقف عديدة، فكانت الروح الوطنية عنده تلهب حماس الرعية ونخبة المجتمع، وكان صوته مسموعاً ويلقى الإحترام والتبجيل عند كافة حكام الإمارات في ذلك الوقت.

أما الشيخ سعيد بن مكتوم فله مواقف مشهودة في انتشال دبي من عصر الكساد وفي حماية تجارتها والانحياز لمواطنيها في مواجهة الظروف والتقلبات. ونظراً لمهابته وحكمته، كان الشيخ سعيد يحظى كذلك بتقدير حكام الإمارات، وله أيضاً

مواقف مشهودة تدل على تبنيه للفكر الاتحادي ولكل ما يجعل الإمارات قوية وعزيزة وموحدة.

تطرقنا كذلك إلى الخلفية العامة للفكر الاتحادي في الإمارات والأطوار التي مر بها، وعقدنا مقارنة سريعة بين المد القومي العربي الذي صاحب الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي وبين الفكر الاتحادي في الإمارات، واتضح لنا أن الأفكار القومية العربية تغلفت بالأيديولوجيا واهتمت بالتنظير واستضافة أفكار وتوجهات أيديولوجية من خارج الثقافة العربية.

في حين ظل الفكر الاتحادي في الإمارات ملتصقاً بالبيئة الوطنية الإماراتية، ومحافظاً على قدر كبير من التوازن الذي جعله معنياً أكثر بالواقع الإماراتي، ولصيقاً باحتياجاته وطموحاته في التوحد، لصياغة هوية وطنية إماراتية جامعة، ودولة اتحادية معبرة عن النسيج الاجتماعي الإماراتي بما له من خصوصيات محلية تميزه.

ثم استعرضنا مقومات الاتحاد والعوامل التي تجعل من الإمارات أرضاً وشعباً مالكة للشروط الوطنية للتوحد والاندماج في هوية واحدة. واختتمنا الحديث عن مقومات الاتحاد بالإشارة إلى الدور المهم لاكتشاف الثروة النفطية في الإمارات في توفير دعامة اقتصادية قوية للاتحاد، ورافعة أساسية للنمو والرخاء وتطور البناء الاجتماعي، والانتقال من نسق القبيلة إلى مجتمع الدولة الحديثة.

وفي محصلة أي استقراء للفكر الاتحادي الذي مهّد لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، لا بد أن يجد الباحث أن المعطى النهائي إلى جانب نهوض الدولة الاتحادية، يتمثل في التحول الكبير الذي أنجزه الاتحاد على صعيد التبدل الإجتماعي الجذري الذي حدث في الإمارات، ونعني به الانتقالة الكبيرة التي نقلت السكان في هذا البلد من خانة البداوة والتجمعات الأهلية ذات الولاءات القبلية، إلى خانة المواطنة والتحضر وصياغة مجتمع الدولة الحديثة القائمة على سيادة القانون واعتماد النظم المعاصرة. وهذه خطوة تتطلب في المجتمعات النامية مضي عقود كثيرة، لكن الإمارات منذ قيام الدولة الاتحادية اعتادت على اختصار الزمن وإنجاز تحولاتها الهامة في مراحل قياسية، ومن ضمنها التحول السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وختاماً، نجد أن الإطلال على مظاهر الفكر الاتحادي في مرحلة إمارات الساحل، يكشف لنا أن ما بين سطور تاريخ الإمارات

في كافة مراحل ما قبل قيام الإتحاد، يشير دائماً وبوضوح إلى هوية المجتمع الإماراتي الواحد، وإلى أن التوق إلى الاتحاد كان هاجساً لم ينقطع عن عقول الحكام ونخبة المجتمع. وما إن تهيأت الظروف للقيام بهذه الخطوة وتنفيذها عملياً حتى سارع الإماراتيون إلى إعلان الاتحاد، والفضل في ذلك يعود لعزيمة مؤسس الاتحاد والأب الروحي لنهضة الإمارات الحديثة، المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله، وهذا هو موضوع القسم الثاني والأخير من هذا العمل الذي يتتبع جذور وملامح الفكر الاتحادي وعمقه التاريخي في الإمارات.

الفكر الاتحادي عند
الشيخ زايد مؤسس الاتحاد

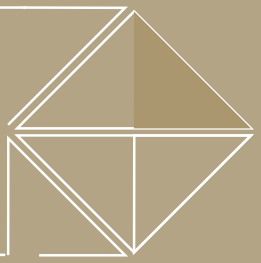

القسم الثاني

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس الاتحاد بعد رفع علم الدولة لإعلان الاتحاد 2/ديسمبر/1971.

الشيخ زايد -رحمه الله- بطل تحويل الفكر الاتحادي إلى واقع

بعد أن قدمنا في القسم الأول إطلالة عامة على الفكر الاتحادي في الإمارات قبل قيام الاتحاد، من حيث المفهوم والعمق التاريخي لهذا الفكر ولوحدة الإمارات، جاء دور الحديث عن الشخصية القيادية الإماراتية البارزة التي قامت بتفعيل الفكر الاتحادي واستثمار عوامل ومقومات وحدة المجتمع الإماراتي لإنجاز أهم خطوة في تاريخه، وهي إقامة الدولة الاتحادية الحديثة، وبطل هذا الإنجاز الكبير هو المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه.

لقد كُتب الكثير عن شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- ودوره الأساسي والجوهري في الوصول إلى يوم 2 ديسمبر 1971م، يوم إعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، والتفت العديد من الكتاب العرب والأجانب إلى شخصية هذا القائد الإماراتي الاستثنائي، فالشيخ زايد -رحمه الله- هو بطل تحويل الفكر الاتحادي إلى حقيقة ملموسة، بعد أن أثمرت حكمته وعزيمته القوية استنهاض وحدة الإماراتيين التاريخية وإقامة دولة إماراتية حديثة في الخليج العربي، مستندة إلى وحدة الأرض الإماراتية على المستوى الجغرافي والسكاني ووحدة التاريخ والمصير. حدث ذلك تحت قيادة هذا الرمز الوطني الإماراتي الكبير في زمن عاصف، كانت تغلب عليه الأخبار والتقلبات التي لا تجلب الفرح، ولا تؤسس لسعادة واستقرار الإنسان في الشرق الأوسط والعالم العربي على وجه الخصوص.

وتصعب الكتابة عن الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- وترجمته العملية لهذا الفكر، من دون التأمل في تفاصيل تتعلق بتكوين شخصية زايد ذاته. فمن خلال مراجعة بعض ما كُتب عن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، نجد أن الحديث عن مؤسس وأول رئيس لدولة الإمارات بعد اتحادها، دائماً ما يغوص بإعجاب في تأمل سيرة حياة صاحب الإنجاز والأب الروحي للإمارات الحديثة الشيخ زايد طيب الله ثراه.

لذلك نحن أمام تحدٍ لإنجاز مقاربة جديدة ومختلفة، بحيث لا نكرر ما قيل وما كُتب عن شخصية زايد، إلا ما يستدعي السياق الإشارة إليه وإيراده بالضرورة، من قبيل المحطات الرئيسية والتواريخ المهمة والمفصلية في حياة زايد -رحمه الله- ومسيرته، التي صعدت بالإمارات إلى مرتبة الدولة الاتحادية الحديثة، إلى أن أصبحت اليوم بفضل ذلك القائد الشجاع حاضرة بقوة في المشهد العالمي، كوجهة آمنة للعمل والاستثمار والنشاطات الاقتصادية والثقافية البارزة على

المستوى الدولي.

سيقتضي المقام أيضاً إعادة التذكير في محطات سريعة بأبرز المراحل في حياة الشيخ زايد -رحمه الله-. ففي مستهل هذا القسم نقدم بعض الحقائق الجوهرية التي ينبغي وضعها في الاعتبار أثناء استحضار شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- والكتابة عن مسيرته، التي ارتبطت بشكل عميق بالفكر الاتحادي في الإمارات قولاً وعملاً. كما سنقدم نبذة موجزة عن سيرة الشيخ زايد والعوامل التي شكلت شخصيته الفذة، ودوافع بروز وتشكل التوجه الاتحادي في المخيلة التي لم يتوقف طموح صاحبها ولم يقنع بسقف محدد للإنجازات، مما جعل أفق التطور والنمو في الإمارات مفتوحاً حتى اليوم، ومهيئاً لإبتكار وإنجاز المزيد من المشروعات الكبرى، التي تحقق نقلات إضافية على مستوى رفاهية المواطن الإماراتي، وكذا على مستوى خلق فرص متجددة للازدهار الاقتصادي والاندماج مع الأفق العالمي، ومجاراته بجدارة وبجودة تنافسية عالية القيمة والمستوى.

كما سنتناول الملامح العملية للفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- من خلال مجموعة من المحاور الفرعية، التي نقدم من خلالها إطلالة على مرحلة التمهيد للاتحاد، وما هي المواقف والخطوات المباشرة التي قام بها الشيخ زايد -رحمه الله-، إضافة إلى التعريج على دور الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- في التمهيد لقيام الاتحاد، ثم كيف قام الشيخ زايد -رحمه الله- بتفعيل الفكر الاتحادي بعد قيام الدولة، وكيف منح الفكر الاتحادي مساحة كبيرة للتفاعل والانعكاس على مستوى الأفق الإقليمي والعربي.

وأخيراً يبقى الدليل على عظمة إنجاز الشيخ زايد -رحمه الله- حاضراً في أذهان جميع الإماراتيين مع كل احتفال جديد بذكرى قيام الاتحاد. أما ثمار الفكر الاتحادي في الإمارات فقد تحولت إلى انجازات باهرة، وأصبح للفكر الاتحادي الذي تمسك به زايد ثماره الإيجابية التي عملت على الدفع بالنهضة الحديثة في دولة الإمارات نحو المزيد من التطور في مجالات عديدة يلمسها كل مواطن.

ولا يحتاج التذكير بمناقب الشيخ زايد -رحمه الله- وبشخصيته القيادية الملهمة ورمزيته بالنسبة لكل الإماراتيين إلى مناسبة، لأنه يرحمه الله حاضر في وجدان كل إماراتي، ولأن كل التطورات التي تشهدها الإمارات كانت له في مستهلها بصمة المؤسس والرائد، الذي أبدع المنهج، وأرسى أسلوب العمل الجاد، ومحبة الحكام للشعب وسعيهم بإخلاص وتفانٍ

لاسعاده. وفي المقابل يبادله الشعب الوفاء ويسير على خطاه.

ومما يجعل الكتابة عن الشيخ زايد -رحمه الله- متجددة وقابلة لاكتشاف آفاق لا تحد في شخصيته الاستثنائية، أنه رحمه الله عمل وأنجز ما لم ينجزه أي قائد في تاريخ الإمارات. لذلك سيبقى حاضراً في ضمير كل مواطن إماراتي، وملهماً لتحقيق المزيد من النجاحات المبهرة، لصياغة إمارات المستقبل، وتحدي كل الصعوبات، وتحقيق كل الآمال المرجوة، ولن يكون هناك مستحيل كما علمنا زايد بانجازاته على أرض الواقع العملي.

حقائق أساسية عن الإنجاز الاتحادي للشيخ زايد -رحمه الله-

يتطلب الحديث عن الفكر الاتحادي عند المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس دولة الإمارات طيب الله ثراه، التأني والتأمل والانتباه الكامل لدقائق الأمور وتفاصيلها مهما كانت صغيرة أو كبيرة. إذ لابد أثناء الحديث في هذا المحور من وضع مسائل أو حقائق بعينها في الاعتبار، ومن أبرزها:

أولاً: أن الشيخ زايد -رحمه الله- هو مؤسس وبطل منجز قيام الاتحاد، ورائد نهضة الإمارات، والقائد الأول لمسيرة دولة الإمارات العربية المتحدة، وكذلك ما تلا مرحلة قيام الدولة من تعملق ونمو للطموحات، وارتقاء شامل للأهداف والغايات النبيلة في مختلف الآفاق، ذات الصلة بازدهار ورخاء الشعب الإماراتي، صاحب المصلحة والمعني الأول بقيام الاتحاد وجني خيراته.

ثانياً: أن الشيخ زايد -رحمه الله- نجح في تكوين دولة شامخة وشاسعة ومترامية الأطراف، غنية بشعبها وتاريخه الأصيل، فقد أثمرت حكمة الشيخ زايد -رحمه الله- تكوين وتوحيد هذه الأمة القوية، بعد أن كانت وحدتها تسري من قبل في الشعور الوطني العام وفي التضامن في مراحل تاريخية سابقة لدى النخب الحاكمة ولدى المواطن الإماراتي، الذي كان يفتقد لدولة اتحادية تظهر أهمية التوحد ومدى انعكاسه على رفعة وازدهار المجتمع بشكل عام.

ثالثاً: أن الدولة التي كوّنها زايد -رحمه الله- ولملم شتاتها صارت حاضرة بقوة في المشهد العالمي وفي السياسة الدولية، بفضل حكمة وحنكة زايد -رحمه الله- وسياسته الخارجية المتوازنة والمنحازة دائماً للحق ولكل ما يؤسس للخير والسلام في المنطقة العربية والعالم بأسره. ولا يمكن نسيان أو تجاهل الدور الإنساني الذي ظلت الإمارات تقوم به منذ نشأتها على يد الشيخ زايد -رحمه الله-، الذي أرسى قيم التعاون ونبذ الفُرقة ومد الأيادي البيضاء ومساعدة الآخرين في أوقات الشدائد والمحن.

رابعاً: أن الفكر الاتحادي الذي كان يمر بطور الحلم والشعور الوطني العام الذي ظل يتراكم ويعبر عن نفسه في كافة مراحل تاريخ الإمارات؛ انتقل في عهد الشيخ زايد -رحمه الله- وعلى يديه من طور الحلم والأمل إلى طور التنفيذ والعمل والديمومة والتجذر في المستقبل، بحيث لم يعد المواطن الإماراتي يرى نفسه وأبناءه في المستقبل إلا في ظل الكيان

زايد القائد ورائد نهضة الإمارات،(الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وإخوانه أصحاب السموّ حكام الإمارات أثناء رفع علم الدولة في إعلان الاتحاد 2/ديسمبر/1971.)

الإماراتي الواحد، الذي منح الإماراتيين ملامسة هوية مجتمعهم الكبير المتحد والعيش تحت ظلال دولتهم الاتحادية.

خامساً: أن الفكر الاتحادي في الإمارات لم يكن أيديولوجيا أو نظرية سياسية مستوردة أو معبرة عن انفعال سياسي عاطفي بعيد عن الواقع، بل إن هذا الفكر كان وما يزال لصيقاً بتربة الإمارات ومعبراً عن واقعها التاريخي وملبياً لطموح الإماراتيين وشعورهم الواحد تجاه وطنهم. وعندما تحمل الشيخ زايد -رحمه الله- مسؤولية السعي بروح وطنية متسامية لقيام الإتحاد، فإنه بذلك إنما كان ينطلق من العمق التاريخي للفكر الاتحادي المتجذر في تاريخ الإمارات، والممتزج بأرضها وبتطلعات أهلها. وهذا يعني أن تحمل زايد -رحمه الله- لهذه المسؤولية، جعله بطل الاتحاد، وقائد مسيرته، ومحفزاً لطاقات المجتمع ومؤسسات الدولة الوليدة على النهوض، تحت رعايته وإشرافه ومتابعاته، وبوحي من حكمته وسعة حلمه الذي اتسع ليشمل خريطة الإمارات بطولها وعرضها.. الإمارات التي كانت تنميتها ونهضتها بعد إنجاز خطوة الاتحاد تستحوذ على كل اهتمامه رحمه الله، وعلى جدول تحركاته وأنشطته طوال فترة رئاسته وقيادته للإمارات.

سادساً: للتركيبة الاجتماعية والسياسية في الإمارات دورها الكبير الذي جعل الشيخ زايد -رحمه الله- يتحمل من أجل نهوض الاتحاد مسؤوليةً أكبر بكثير من كونه قائداً سياسياً ورئيساً للدولة فحسب، ذلك أن الطبيعة الأبوية للمجتمع الإماراتي الذي توارث احترام شيوخه وكبار قادته، جعلت التناغم يسري بين الشعب الإماراتي وبين الشيخ والأب القائد زايد -رحمه الله-، لهذا السبب يعتبره الإماراتيون في مقام الأب الكبير الذي اقتضت منه مكانته أن يكون راعياً وفاتحاً لكل أبواب الخير والمستقبل المزدهر أمام الشعب الإماراتي، باعتبار أن أفراد الشعب في نظر القائد زايد -رحمه الله- هم كذلك في محل الأبناء، وله طيب الله ثراه العديد من الأقوال التي تعبر عن هذا المعنى.

مع ملاحظة أن الطبيعة الأبوية للعلاقة بين الشعب والقادة الكبار في الإمارات، لا تتعارض على الإطلاق مع حداثة بنيان الدولة، لأن الأبوة من مميزات التكوين القبلي الذي يرجع إليه أصل الإماراتيين الذين ينحدرون من القبائل التي استوطنت هذا الجزء من الجزيرة العربية، فيما الدولة الحديثة القائمة لم تكن لتكتسب مقومات وعلامات حداثتها وانفتاحها لولا أنها تمضي في بنائها المؤسسي وفقاً لشروط الدول الحديثة على كافة الأصعدة الهيكلية والقانونية والإدارية. بينما تولد المسحة الأبوية التي تسري بين القيادة والشعب على منح الشعور بالمسؤولية لدى القادة تجاه أفراد الشعب طاقة مضاعفة وقدراً كبيراً من الاهتمام، كالذي يوليه رب الأسرة تجاه أفراد عائلته. والحال كذلك ينعكس على عامة الشعب

الذين يبادلون إخلاص القائد وجهوده من أجلهم بالوفاء والعمل الجاد والمثمر، ولعل هذا التلاحم هو ما يفسر لنا سبب استمرار صعود نهضة الإمارات وانتقالها في كل عقد إلى مرحلة أرقى من سابقتها. ويقول المثل العربي: «من جدّ وجد ومن زرع حصد»، والإماراتيون يحصدون ثمار ما زرعه الشيخ زايد طيب الله ثراه في وجدانهم من طموح ومن حب للتعاون والاتحاد على كلمة واحدة في وطن واحد يتطلب نماؤه العمل الجاد.

وبالتالي فإن الروح الأبوية التي وجد الشيخ زايد -رحمه الله- نفسه يتعاطى معها في مقابل شعب الإمارات، كانت من ضمن محركات ودوافع سعيه الحثيث لتحويل الفكر الاتحادي الذي كان يلازم الأجداد طوال تاريخ الإمارات إلى حقيقة، والانتقال به من طور الخيال والحلم والتضامن الروحي إلى التطبيق في الواقع مهما كلف الأمر من تعب وصبر، وذلك ما حدث وتم الإعلان عنه بتتويج جهود الشيخ زايد -رحمه الله- وحكام الإمارات بإعلان قيام الاتحاد في الثاني من ديسمبر 1971.

سابعاً: بالنظر إلى حجم المنجز الاتحادي الذي تحقق بفضل الله ثم بفضل عزيمة وإصرار هذا القائد الوطني الحكيم والشجاع والمحب لشعبه ولأمته، لابد بالتالي من وضع اعتبار وأهمية لأبعاد الشخصية التي تحملت عبء القيام بهذا الإنجاز الوطني والقومي الاستثنائي، الذي لفت ولايزال يلفت أنظار العرب والعالم، لأن اتحاد الإمارات كان بلا شك حدثاً بارزاً على المستوى الإقليمي والعربي والدولي. وهو ما يعني مراعاة أهمية شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- واستحضار معالم تكوينها، نظراً لارتباط صاحبها بهذا التحول الكبير الذي أوجد دولة حديثة ومقتدرة، عبر استثمار وحدة المجتمع الإماراتي التاريخية، وعبر تفعيل جوهر الفكر الاتحادي الذي ظل يراود حكام الإمارات، إلى أن جاء الشيخ زايد -رحمه الله- وحوّل الفكر إلى واقع يحياه الإماراتيون ويستظلون تحت سقفه العالي وطموحاته اللامحدودة.

ثامناً: صارت شخصية الشيخ زايد طيب الله ثراه مرادفة لدولة الإمارات، وكلما ذُكرت الإمارات لابد أن تحضر شخصية زايد -رحمه الله- الذي يرتبط اسمه وجهوده وتاريخه باسم الإمارات وتاريخها واتحادها، وهذا هو حال الشخصيات العظيمة والمؤثرة والاستثنائية التي يرتبط تاريخها الشخصي بتاريخ الشعب والدولة. والشيخ زايد رحمه الله كرّس حياته من أجل الإمارات، فصار اسمه لصيقاً بوطنه الذي بذل من أجل رفعته ونهوضه كل جهوده المخلصة التي أثمرت تنمية مدهشة وخيراً وفيراً شمل وعمّ كل الإماراتيين في كافة أنحاء الدولة.

ومهما كُتب من قبل وسيكتب في المستقبل عن هذه الشخصية القيادية الفذة، إلا أن الكتابة عن زايد -رحمه الله- تظل متجددة، ولأن هذا العمل الذي بين أيدينا يتحدث عن الفكر الاتحادي في الإمارات، فمن البدهي أن تحضر شخصية زايد، لأن الفكر الاتحادي انتقل على يديه كما أسلفنا من طور الحلم إلى طور التحقيق والتفعيل في الواقع.

تاسعاً: سوف يشهد التاريخ على جهود الشيخ زايد -رحمه الله-، وعلى تعلقه بالفكر الاتحادي الذي جعله يتجاوز الإمارات إلى المستوى الإقليمي والمحيط العربي الأوسع. وأي استحضار لدور الشيخ زايد -رحمه الله- في ترجمة الفكر الاتحادي، لا بد أن يستحضر دوره الجوهري والأساسي في إقامة مجلس التعاون الخليجي، والذي عمل من خلال السعي الدؤوب لإقامته على تعويض طموحه القومي والوحدوي الكبير. لذلك يحضر اسم الشيخ زايد -رحمه الله- في الوجدان العربي دوماً مقروناً بالحكمة وبالحديث عن حكيم العرب الذي كانت له مواقف مشهودة ومتعددة في جمع الكلمة وتوحيد الصف العربي.

عاشراً وأخيراً: من المهم عند استحضار شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- والكتابة عن جهوده، أن يتم التطرق لنظرة زايد وفلسفته تجاه الثروة، وكيف أنه منح البُعد المادي والثروة قيماً إنسانية وحضارية وأخلاقية، من حيث التصميم على التوجه السديد لتوظيف خيرات الإمارات وثرواتها لصالح الشعب، عبر كل ما يؤدي إلى إسعاد حياة المواطن الإماراتي، والارتقاء بتعليمه وصحته وسكنه وتطوير مدنه وبيئته، وضمان ازدهار عجلة الاقتصاد، والبذل بسخاء لإقامة المشروعات العملاقة على مستوى الدولة، بل وامتداد خيرات الإمارات ومساعداتها إلى ما وراء حدودها في بقاع كثيرة على مستوى العالمين العربي والإسلامي.

وبناء على ما سبق من نقاط آثرنا تثبيتها كموجهات عامة ينبغي عدم تجاهلها أثناء الكتابة عن الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله-، نأمل أن نوفق في تقديم عرض موجز عن الفكر الاتحادي في عهد زايد، عبر مقاربة ثنائية الملامح، تزاوج في آن واحد بين بعض المحطات الأساسية في حياة زايد مؤسس الاتحاد، وبين الفكر الاتحادي كما تصوره وكما عمل من أجله وبذل وقته وجهده وإخلاصه العميق في سبيل تحقيقه وتحويله إلى واقع.

الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- والعوامل التي شكلت شخصيته

أصبحت المعلومات الأساسية والتفاصيل المتعلقة بشخصية المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله معروفة وتذكرها كل المراجع والأعمال الوثائقية التي تناولت سيرته وتجربته الفريدة في الحكم وفي تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وما يهمنا في هذا المحور هو الحديث عن الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- ودوافع بروز التوجه الاتحادي في مخيلته، وأهم العوامل والظروف التي شكلت شخصية هذا القائد الاستثنائي.

ويمكننا أولاً إعادة التذكير بأهم المحطات المتصلة بالسيرة الذاتية للشيخ زايد، فمن حيث النسب هو: زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى آل نهيان الفلاحي من بني ياس، التحالف القبلي الكبير الذي وحّد إمارة أبوظبي. وتعددت المصادر التي توثق وتحكي عن تاريخ مولد زايد، لكن أغلبها تشير إلى أنه ولد عام 1918م، في إمارة أبوظبي بقصر الحصن الذي حكم منه آل نهيان الإمارة طوال قرون خلت، وسمي الشيخ زايد -رحمه الله- على اسم جده الشيخ زايد بن خليفة (زايد الأول).

والشيخ زايد -رحمه الله- هو الابن الأصغر والرابع بين أبناء الشيخ سلطان بن زايد بن خليفة، الذي حكم إمارة أبوظبي في الفترة ما بين -1922 1926. ثم انتقل مع أسرته إلى منطقة العين حيث بدأ هناك يتعلم أحكام الدين الإسلامي، بالإضافة لحفظه القرآن الكريم، وكانت له العديد من الهوايات التي برع فيها ومنها الصيد والرماية، وسباقات الهجن والخيل.

في العام 1946 عين حاكماً للمنطقة الشرقية بإمارة أبوظبي، حيث عمل طوال 20 عاماً على البحث عن حلول عاجلة وحاسمة لمشاكل الناس وكان مجلسه المفضل لا يكاد يخلو من المواطنين والزوار. وهذه فترة حاسمة في حياة الشيخ زايد -رحمه الله-، أثبت فيها قربه من عامة الناس ودأبه في أداء دور الحاكم المهموم بشؤون المحكومين والمعني بتطوير حياتهم وحل قضاياهم، إذ قام بتطوير مدينة العين وأنشأ بها أول مدرسة وهي المدرسة النهيانية وأول سوق تجاري بالإضافة إلى شبكة من الطرق. وكانت هذه الفترة مرحلة تأسيس مهمة في حياة الشيخ زايد -رحمه الله-، احتك خلالها بالمجتمع وعرف كيف يكتسب محبة العامة والخاصة، وانفعل مع المحكومين واحتياجاتهم وشؤون حياتهم ومتطلباتهم، كما اختبر المجتمع في العين حكمة زايد -رحمه الله- وقربه من الناس وسعيه للارتقاء بأنشطتهم وحل المشكلات التي

هو زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى آل نهيان الفلاحي من بني ياس، تعلم أحكام الدين الإسلامي وحفظ القرآن الكريم وبرع في الصيد والفروسية.

كانت تواجههم، رغم شحة الموارد والمخصصات المالية التي كان يتلقاها في ذلك الوقت من عاصمة الإمارة أبوظبي.

في عام 1953 بدأ الشيخ زايد -رحمه الله- رحلة خارجية حول العالم ليعزز بها من خبرته السياسية، ويطلع من خلالها على تجارب أخرى للحكم والعيش، فزار بريطانيا ومن ثم الولايات المتحدة وسويسرا ولبنان والعراق ومصر وسوريا والهند وباكستان وفرنسا، وقد زادته هذه التجربة اقتناعًا بمدى الحاجة لتطوير الحياة في الإمارات، والنهوض بها بأسرع وقت ممكن. ولا شك أن لهذه الرحلة تأثيراً كبيراً على وجدان الشيخ زايد -رحمه الله-، مما جعله يصمم على الارتقاء بالإمارات والعمل على أن ينعم المواطن الإماراتي بحياة عصرية كريمة.

وفي 6 أغسطس 1966 تولى زايد مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي، ووضع قدميه منذ ذلك التاريخ على درب الإنطلاق بإمارة أبوظبي وبالإمارات عموماً نحو مستقبل جديد ومختلف تماماً عن عهدها السابق.

ولكن كيف أصبح الفكر الاتحادي يوجه زايد ويحكم تفكيره وتطلعاته لإقامة الدولة الاتحادية؟ وما هي الخلفية السياسية التي أثرت عليه وجعلته يتحدى الصعاب، ويبنى دولة كانت الدروب التي تربط بين أجزائها من رمال وكثبان مترامية في قيظ الصحراء اللّاهبة؟ وكيف جمع أشتات الخريطة الإماراتية وجعل منها وطناً واحداً ينعم الأحفاد بامتداده وشموخه ونهضته التي لا تعيقها الصعاب مهما كانت؟

تلك أسئلة كثيرة، وربما لم تعد تطرح، لأن الجميع في الإمارات صاروا يعيشون اللحظة الراهنة بمباهجها وبعناوينها الفارهة التي جعلت الحكومة الاتحادية بعد كل ما تم إنجازه تضع إمكانياتها في سبيل إسعاد المواطن الإماراتي، وإدراج مفردة السعادة في خطط الإدارة الحكومية لم يكن ليخطر على بال أحد في الماضي، بل وفي حاضر الكثير من البلدان التي لاتزال تعاني إشكالات بدائية للأسف، مثل الجري بدون أفق واضح وراء تثبيت الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي، وهذا ما تجاوزته الإمارات بمراحل، وصارت خطط التنمية فيها تراهن على وضع البلاد في درب المنافسة العالمية في شتى المجالات.

والآن لنلتفت للوراء قليلاً بهدف الإجابة عن الأسئلة التي طرحناها أعلاه، في سياق تأمل ملامح الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله-، والعوامل التي شكلت شخصيته القيادية ودفعته إلى تبني الفكر الاتحادي، والإخلاص لهذا الفكر

وصولاً إلى تفعيله في الواقع بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة.

ابتداء، يمكن القول إن زايداً ورث شخصيته القيادية الفذة من سلالة أسرته الرائدة التي حكمت إمارة أبوظبي، ومن البدهي أن يرث النضج والحكمة وبعد النظر والمقدرة على القيادة، لأنه سليل أسرة قيادية شهيرة على مستوى الإمارات وذات شأن رفيع، فقد كان والده وكذلك أعمامه وجده ومن سبقهم، كانوا كلهم حكاماً كباراً لإمارة أبوظبي المترامية الأطراف التي ارتضت آل نهيان شيوخاً عليها يتصدرون آل بوفلاح ضمن بني ياس، وامتازت أبوظبي كذلك بوجود قبائل فرعية لها أفخاذ متعددة ولها مكانتها أيضاً في البوادي، وكان التعامل مع ذلك التنوع يتطلب حكمة ومقدرة كبيرة على إرضاء الناس وكسب ثقتهم لبسط نفوذ الحكم وجمع الكلمة في يد حاكم واحد. وذلك ما حققه آل نهيان بتوالي الحكام الذين أداروا شؤون الإمارة وصولاً إلى عهد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-، الذي استجمع حكمة آبائه وأجداده من الحكام السابقين، فتجسد الماضي بحكمته وذكائه وشجاعته فيه، وامتزج كل ذلك بأسلوبه الشخصي ومقدرته على مجاراة العصر واستشراف المستقبل بآفاقه وتحدياته ومتطلباته المتغيرة.

وفي تأمل التاريخ القريب ما يثبت أن زايداً نجح بجدارة في تكثيف حكمة الأجداد والإضافة عليها من شخصيته وأسلوبه في إدارة الأمور، فقد نجح في التوفيق بين الثنائيات التي تبدو متناقضة؛ كالتوفيق بين المتطلبات المتعارضة للقبيلة والدولة، والإمارة والاتحاد، والتراث والمعاصرة. ومن المؤكد أن من يستعرض تاريخ المنطقة والأوضاع التي كانت سائدة عند انسحاب القوات البريطانية منها يلاحظ أن فرص قيام اتحاد فعلي لم تكن كبيرة، وفي أوضاع كهذه تبرز الحاجة إلى قوة حافزة تتمثل في زعامة ملهمة تستطيع أن تحوّل حلم الوحدة إلى حقيقة ملموسة(78).

لكن زايداً وريث آل نهيان والمتصل بسلسلة سبقته من الحكام الذين قادوا إمارة أبوظبي، لم يولد «وفي فمه ملعقة من ذهب»، كما يوصف عادة أنجال الحكام والملوك والأمراء، فزايد هو أيضاً ابن البيئة العربية والمجتمع القبلي، وفي تكوين شخصيته أثر كبير للصحراء وحياة الكرم والشهامة وتقدير الآخرين وانتزاع تقديرهم بفطنة وعدل وفهم متبادل.

ويلزم الغوص في عوامل تكوين شخصية زايد فهم متعمق لقيم وعادات القبيلة والأدوار التي يحملها القدر لمن ينتمي لعلية القوم ويقودهم من موقع الشيخ والحاكم الذي له كلمته وموقعه المتميز في البنية القبلية، التي بدورها ليست سهلة القيادة إلا على من تحلى بحكمة وخبرة تجعل الآخرين يدينون له بالولاء ويعتمدون عليه. «ويرتبط هذا الجانب على

نحو مباشر بأية محاولة لتفهم شخصية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-، وقد يكون من السذاجة إلى حد بعيد أن نصفه بأنه يجسد ثقافته وبيئته فقط، فالقادة والزعماء يتميزون عن الآخرين بسمات خاصة، ومع ذلك لابد من تحليل البيئة الطبيعية والخلفية التاريخية والاجتماعية التي نشأ فيها الشيخ زايد(79)»، لنتعرف أكثر إلى أسباب تعلقه بهاجس الاتحاد وإنجازه لمهمة توحيد الإمارات في كيان سياسي اتحادي كبير، يمثل الآن الترجمة الفعلية للفكر الاتحادي في وعي زايد وفي كفاحه لأجله طوال حياته، وبالذات منذ أن تولى الحكم في إمارة أبوظبي، تلك الخطوة التي كانت فاتحة خير على الإمارات بامتدادها الجغرافي الطبيعي الكامل. وبعيداً عن الصورة النمطية التي تكونت في الأدبيات الغربية، وبالذات في حقل علم الاجتماع وفي كتابات المستشرقين عن القبيلة. وبعيداً كذلك عن اجترار بعض الكتاب العرب للنظرة السلبية نحو القبيلة في بعض الأبحاث الانثروبولوجية، فإن ثمة حقائق مناقضة لذلك، وتشير إلى العكس مما يذهب إليه بعض المنظرين عن بُعد إلى أن القبيلة في شبه الجزيرة العربية رابطة إيجابية، تمنح القوة والتماسك الاجتماعي. والشيخ زايد -رحمه الله- نشأ في ظل ثقافة تتسم بجذور راسخة في الأعراف القبلية. ولعل الذي جعل الشيخ زايد -رحمه الله- قائداً (يتصف بالكفاءة) هو – على وجه التحديد – تلك القيم المترسخة في القبيلة، وهي الصفات التي مكنته فيما بعد من أن يقود بوتيرة متسارعة دولة حديثة النشأة نحو عالم جديد تسوده التقنية والابتكارات. وعلى يد الشيخ زايد -رحمه الله- أثبتت ثقافة القبيلة أنها قابلة للتكيف مع محيطها ومرنة بالقدر الذي يمكّنها من التعامل مع المتغيرات الجديدة. وبدلاً من أن تكون ثقافة القبيلة عقبة أمام عملية التحديث، فقد كانت هذه الثقافة المرتكز الأساسي الذي مكّن شعوب منطقة الخليج العربي من استيعاب وتقبل التطور الجديد الذي حدث خلال جيل واحد(80).

ومن وحي هذا الاستطراد في تأمل العوامل التي شكلت شخصية الشيخ زايد -رحمه الله-، يمكن تأمل أبعاد الفكر الاتحادي في وعي هذا القائد. فإلى جانب كون هذا الفكر معنيٌ في وعي زايد بخلق الكيان القوي المتحد، فهو معنيٌ كذلك بالتحديث والتطوير والانتقال بالبنية العامة للمجتمع والدولة من الطور التقليدي اقتصادياً وإدارياً وسياسياً إلى طور حديث ومواكب لقيم العصر ومتطلباته.

ذلك يجعل من الشيخ زايد -رحمه الله- (إلى جانب كونه مؤسساً للدولة الاتحادية) مؤسساً أيضاً لهذا الانتقال والتحول الكبير إلى مرحلة دولة المواطنة، المرتكزة على أسس قانونية وممارسات إدارية تنتمي لأحدث ما تنتهجه الدول في إدارة شؤونها. وعززت قيادة زايد للدولة الاتحادية منذ نشأتها مساراً اقتصادياً كفل تكافؤ الفرص وتوزيع الثروة من خلال

الاستثمار في التعليم، وفي توزيع مشاريع البنية التحتية والمشروعات الاقتصادية الهامة على كافة أراضي الدولة، مما هيأ لانتقال اجتماعي شامل حدث بتوازن وبقدر كبير من التوازي في النمو والتطور الذي لمسه كل الأفراد والمواطنين في حياتهم العامة، وفي ارتفاع مستوى الدخل، وانعكاس الطفرة الاقتصادية على ازدهار التعليم والتأهيل العالي، مما جعل صمود الاتحاد والالتفاف حوله مصلحة تخص كل أفراد الشعب الإماراتي، وهنا سر عظمة الإنجاز الاتحادي وضمان انطلاقه المستمر إلى آفاق المستقبل، لأنه قد صار يحمل مقومات نضجه وديمومته بداخله، محروساً بإرادة ورغبة شعبية، وبآليات راسخة.

وبالعودة إلى البيئة التي تشكلت فيها شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- وعملت على تحفيز وبروز التوجه الاتحادي في تفكيره وفي حياته السياسية، التي توجها بقيادته لجهود إقامة دولة الإمارات العربية المتحدة، لا يمكن إغفال الأبعاد الفطرية الأصيلة في المجتمع القبلي، والتي تتعلق بالميل النفسي نحو الاتحاد والقوة الجماعية والاعتداد بتلك القوة حين يكون أساسها المجموع العام وليس السلوك الفردي.

ويتجلى النزوع الفطري نحو الوحدة في البنية القبلية في كونها حاجة ملحة للتعامل مع الواقع ومواجهة ظروفه القاسية، ولذلك تبدو روابط الاتحاد في البيئة القبلية البدوية قائمة على عهود ومواثيق طوعية يحافظ عليها أطرافها ملتزمين بمبدأ الشرف وصدق الكلمة الذي يشكل مقوماً أساسياً في كل جانب من جوانب ثقافتهم. لقد تشكل مجتمعهم من ثلاثة عناصر منفصلة ولكنها متشابكة: أولها طبيعة المكان وهي البيئة الطبيعية التي حددت أبعاد عالمهم، وثانيها البنية السياسية التي تنتظم من خلالها حياتهم الاجتماعية والمتمثلة في القبيلة والزعامة القبلية، أما الثالثة فهي البنية الأخلاقية التي ربطت بينهم، والتي تتمثل إلى حد بعيد في مبدأ الشرف الذي يلتزم به كل البدو، وتلك العناصر تشكل المرتكزات الكامنة في أعماق شخصية الشيخ زايد(81) -رحمه الله-.

وانطلق الشيخ زايد -رحمه الله- منذ أن كان ممثلاً لحاكم أبوظبي في العين لتوظيف معرفته المتينة بالعادات القبلية وقيمها لخلق علاقات وروابط قوية مع المجتمع، مما جعله قريباً من عامة الناس وخاصتهم على حد سواء. ثم سار على هذا النهج من التواصل والاقتراب من أفراد الشعب وتفقد شؤونهم حتى بعد أن أصبح يقود دولة الإمارات بعد قيام الاتحاد. «وقد أدت القبيلة في حالة الشيخ زايد -رحمه الله- وظيفةً مزدوجةً، إذ لم يقتصر تأثيرها على السمات الشخصية

التي أهّلته ليكون قائداً فاعلاً فحسب، بل وفرت قاعدة وأساساً تاريخياً للتعاون على نطاق واسع في إطار المجتمع، مما مهّد الطريق في نهاية المطاف لقيام دولة الاتحاد»(82).

غير بعيد عن هذا السياق، وضمن كتاب عن شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- أنجزته كاتبة أجنبية عملت باحثة رئيسية بمركز الوثائق والبحوث في أبوظبي (الأرشيف الوطني)، ترد تحت عنوان «ديمقراطية الصحراء» فقرة مهمة ويحسن بنا إيرادها، إذ تشير إلى أن الشيخ زايد -رحمه الله- «تمكن من استنباط صيغة سياسية حيوية من النسيج المتشابك للسياسات القبلية والدبلوماسيات المتقاطعة. وقد وازن في تأسيس الاتحاد بين الأصول التاريخية والتراثية، والنظريات الدستورية الحديثة. وعلى نحو أدق: لم تؤسس الإمارات العربية المتحدة طبقاً للمعايير الغربية المتبعة في الانتخابات البرلمانية وسياسات الأحزاب، لكنها في جوهرها دولة خيّرة حقاً، وظلت أماني الناس ورغباتهم محل اهتمام السلطة العليا على الدوام، وتجذرت في النظام السياسي للإمارات العربية المتحدة. وطورت – في ضوء تجربتها التاريخية والسياسية – نموذجها المحلي الخاص في الحكم للشعب ومن الشعب..»(83).

ولا يوجد قائد أو زعيم متميز إلا وتكون له فلسفته ورؤاه المتميزة والمثمرة. تلك الرؤى التي تغير الواقع وتصنع تحولاً وعلامات فارقة يطال تأثيرها مجتمعاً بأكمله. ومع مُضي الوقت تأكد أن لدى الشيخ زايد -رحمه الله- فلسفته الخاصة التي تكونت عبر استيعابه لتجارب الماضي ومزجها بتطلعاته نحو المستقبل الذي يضع فيه الأولوية لشعب الإمارات.

ولا شك أن التوجهات الاتحادية عند الشيخ زايد -رحمه الله- وفلسفته ورؤيته السياسية قد تأثرت ببيئته وتجاربه الكثيرة في الحياة، واستفاد استفادة كبيرة من الدروس المهمة التي خطها التاريخ على مر العصور، وتعزز إيمانه الراسخ بأهمية الوحدة الوطنية، برؤيته الثاقبة التي تجاوزت حدود إمارته ووصلت إلى الإمارات المجاورة ومنطقة الخليج والوطن العربي عامةً، وبدأ يفكر جدياً في توحيد جميع الشعوب في منطقة الخليج كخطوة أولى في الطريق نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة. لقد كان جوهر فلسفته السياسية مبنياً على مبدأ أساسي ومهم، وهو أن الاتحاد هو طريق القوة، طريق العزة والمنعة، طريق الخير المشترك. والفرقة لا ينتج عنها إلا الضعف، وإن الكيانات الهزيلة لا مكان لها في عالم اليوم، تلك هي عِبر التاريخ على امتداد عصوره(84).

لقد أكدت همة الشيخ زايد -رحمه الله- وعزيمته أثناء تكثيفه للجهود في سبيل تحقيق الاتحاد، أن علاقته بالفكر الاتحادي

لم تكن وليدة لحظة مفاجئة، بل إن إيمانه بالفكر الاتحادي تكون منذ وقت مبكر في حياته، فقد كان يرى منذ شبابه بأن لا مستقبل للإمارات «إذا لم تجتمع في إطار وحدوي أو اتحادي يمنحها المناعة ويحمي مصالحها المشتركة، ويصنع منها الكيان القادر على صيانة تخومه ورعاية مواطنيه، والوقوف في وجه الأطماع الأجنبية، إلى جانب التطلع إلى المستقبل وبناء القوة التي تعطيها إمكان الوقوف بندية في مواجهة الأطماع التوسعية للكيانات الأخرى... كان الشيخ زايد -رحمه الله- منذ أوائل الأربعينيات مهتماً بما يدور في منطقته من باب حب المعرفة والاطلاع، ثم من باب الغيرة القومية والتفكر في حيثيات الواقع ومستلزمات المستقبل. فمن المعروف عنه أنه رجل سياسة بالدرجة الأولى، ولكنه رجل اقتصاد كذلك، وفيه كفاءة القائد ومواهب الزعيم وصورة الرجل الوطني والقومي، القادر على تغيير وجه الواقع والاستلهام من التاريخ والموروث..»(85).

ولن يتسع المجال هنا لإيراد كل ما قيل عن الشيخ زايد -رحمه الله- من شهادات وتوصيفات لحنكته ومهاراته، وبعضها أو أغلبها قيلت على لسان العديد من الأجانب، سواء أكانوا دبلوماسيين أم خبراء أو رحالة، ومعظمهم من البريطانيين، بالنظر إلى النفوذ الكبير الذي كانت تتمتع به بريطانيا في منطقة الخليج عموماً ومن ضمنها إمارات الساحل قبل قيام الاتحاد.

ويرى أحد الباحثين أن تلك الأقوال والشهادات التي قيلت في حق الشيخ زايد -رحمه الله- من قبل البريطانيين منذ أن كانوا في قمة حضورهم وسيطرتهم، لم يكن فيها أي تملق أو مداهنة أو مديح أو مجاملة، بالإضافة إلى أن معظم التقارير البريطانية التي ورد فيها ذكر الشيخ زايد -رحمه الله- «كانت وقتئذٍ سريّة لا يطلع عليها زايد أو غيره من أهل المنطقة. ويتأكد لنا صدق هذه المصادر حين نعرف أن زايداً كان يتصرف على سليقته التي تعكس كوامن شخصيته، فلم يكن يدرك أن أولئك البريطانيين كانوا يراقبون مسلكه، ويحللون شخصيته، ويكتبون عنها. ولعله – لو عرف ذلك – ما كان له أن يعدّل في تصرفاته إرضاء لهذا المسؤول البريطاني أو ذلك، فقد شهدت له هذه المصادر كلها بالاستقلال في القرار، وبفيض من عزّة النفس، ووفرة الكرامة»(86).

وكما أشرنا في القسم الأول إلى العمق التاريخي للفكر الاتحادي وصلته بواقع الإمارات وتاريخها ووحدة شعبها، فقد كانت الإمارات في المرحلة التي عرفت فيها بإمارات الساحل، تنتظر أن يظهر البطل الوطني ليحقق حلم الاتحاد. وقد «كان هناك تطلع جاد وصادق وفطري في منطقة الخليج العربي لقيام اتحاد يلم شعثها، ويجمع شملها، ويحقق أهدافها

المشتركة في الاستقرار وسيادة السلام وتحقيق التنمية. وكان لا بد لهذا التطلع المشروع الذي انتظم فيه الحكام والرعية، على حد سواء، أن يجد قيادة واعية تعمل على تحقيقه وترجمته إلى واقع ملموس، بفضل ما تتمتع به من حنكة وحكمة ودراية وبعد نظر يتجاوز المصالح الآنية الضيقة إلى رحاب المصالح الجمعية البعيدة المدى، الباقية الأثر. وقد وجدت المنطقة ضالتها في شخصية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-، ذلك الرجل البطل الذي اتخذ لنفسه نهجاً فريداً أفضى به إلى تحقيق آمال شعبه»(87).

وتحكي المصادر والمرويات عن قساوة الحياة في الماضي، وعن كفاح الناس في هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية، بحيث أن الحياة كانت كلها مسيرة لتطويع البيئة وتنويع مصادر الدخل الشحيحة، والانتقال الموسمي من البوادي إلى الشواطئ لممارسة الصيد، وبالتالي فقد خبر الإنسان في الإمارات ترويض الطبيعة وتنويع النشاط الاقتصادي والتغلب على مصاعب الحياة واكتساب مرونة نفسية انعكست على التفكير وعلى الاصرار لقهر المستحيل.

وبالعودة كذلك إلى العوامل التي شكلت شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- ودوافع تبنيه للفكر الاتحادي، يمكن القول بأن من أبرز صفات الشيخ زايد -رحمه الله- مرونته وإيجابيته، مع حرصه على المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة. من جهة أخرى نجده رغم الأحداث البائسة التي عاناها في طفولته ينبذ العنف في حل الخلافات، ويؤثر الحوار والتفاهم مع الآخرين، ولا يتوانى عن تسخير ما لديه من ثروة في خدمة مواطنيه وتحسين ظروف حياتهم، ولهذا لم يكن لينعزل عن الآخرين أو ينكب على نفسه، وإنما سعى إلى التوفيق بين أطراف قبيلته وتوحيدها، ثم عمل على توحيد الإمارات مع رفيق دربه المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، ولم يكتف بهذا بل سعى لتوثيق عُرى التعاون بين دول الخليج العربية، والذي تجسد بقيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام 1981..» (88).

في النهاية أصبح اسم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه في سجل التاريخ الإنساني المشرف والخالد، لأنه تمكن بفضل الله وبحكمته واعتماده على الفكر الاتحادي أن يستلهم من العوامل المحفزة للاتحاد ما يجعله صانع الحدث وقائد الدولة الإماراتية (المتحدة) بالمعنى الاجتماعي، والمتلاحمة كما يلتئم شمل الأسرة الواحدة والبيت الواحد. وبذلك أصبح لقيام اتحاد الإمارات على يديه وبفضل جهوده معنى أكثر شمولاً من مجرد تكوين دولة جديدة، لأن ولادة هذه الدولة تجاوزت مسألة انبثاق كيان سياسي يضاف إلى المجتمع الدولي، فما قدمه زايد لشعب الإمارات تجاوز بكثير ما يقدمه قائد أو زعيم لشعبه.

الفكر الاتحادي تبلور عند الشيخ زايد وتجاوز الحلم وتجسد في الواقع، صورة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وإخوانه أصحاب السموّ حكام الإمارات أثناء رفع علم الدولة في إعلان الاتحاد – قصر الجميرة دبي 2/ديسمبر/1971.

الشيخ زايد -رحمه الله- ومرحلة التمهيد للاتحاد..

مواقف وخطوات عملية

هناك ثلاثة مسارات أو أبعاد متلازمة ولا انفصال بينها في المرحلة التي قاد فيها الشيخ زايد -رحمه الله- بثقة كبيرة الخطوات الجادة التي مهدت لقيام الاتحاد. هذه المسارات أو الأبعاد يتداخل فيها الجانب الموضوعي الدولي في عقد الستينيات من القرن الفائت مع جانبين آخرين: الجانب الأول يتعلق بمحورية شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- وإيمانه وعمله من أجل الفكر الاتحادي، فقد بدأ حلم الاتحاد يلح عليه ويراوده منذ أن تسلم حكم إمارة أبوظبي، إضافة إلى نمو إيرادات النفط فيها وتوجهه الحكيم نحو استثمار عائدات النفط لإحداث نقلة تنموية نوعية في الإمارة، وتزامن ذلك مع سعيه لتعميم الخير والفائدة على الوطن الإماراتي الكبير بأكمله.

أما الجانب الثاني فهو امتلاك حلم الاتحاد والفكر الاتحادي أبعاداً تاريخية ومؤشرات تصب كلها في إمكانية بل وضرورة قيام الدولة الاتحادية، على أساس تلك الخلفية المتجذرة وعلى أساس طموحاتها التي كانت تفصح عن نفسها باستمرار في مواقف تاريخية سابقة، ومن ضمنها شعور حكام الإمارات بالتلاحم والتآزر في فترة إمارات الساحل أثناء انعقاد جلسات المجلس الذي كان يجمع الحكام كلهم آنذاك.

إلا أن اجتماعات مجلس حكام الإمارات المتصالحة لم تتقدم باتجاه أية خطوات جريئة على طريق التقارب الشامل والتهيئة للاتحاد عملياً. وعن هذه الفترة التي امتد فيها مجلس حكام الإمارات المتصالحة إلى أن وصل الشيخ زايد -رحمه الله- إلى الحكم في إمارة أبوظبي وشارك في اجتماعات المجلس، قال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي (رعاه الله) في محاضرة جماهيرية له: «.. كنت أرى أن راشد وزايد غير مرتاحين من هذه الاجتماعات، حيث إنهما لا يريان لها طريقاً كما لم تكن توجد ميزانية لهذا المجلس..»(89).

لقد استثمر الشيخ زايد -رحمه الله- كل المعطيات التاريخية والموضوعية لكي يحصّن سعيه الجاد للعمل من أجل إقامة الدولة الاتحادية، معززاً بفكر اتحادي تبلور عنده بشكل أوضح وامتلك في مخيلته وتفكيره قوةً وطاقةً تجاوزت الإبقاء على

الفكر الاتحادي حبيس الذاكرة، وصولاً إلى الإقدام على تفعيله وتجسيده في الواقع بإقامة الاتحاد عبر خطوات تمهيدية جريئة.

أما الجانب الموضوعي الذي استند عليه الشيخ زايد -رحمه الله- لمنح خطواته التمهيدية مساراً عملياً ومشروعية سياسية فهو ذلك الجانب الذي وفّر فرصة للمضي قُدماً باتجاه تحقيق الاتحاد، ويتمثل في إعلان حكومة حزب العمال في بريطانيا عن نيتها الانسحاب بشكل نهائي من منطقة الخليج عام 1968. غير أن هذا البعد الموضوعي وإن كان محفزاً لدفع الشيخ زايد -رحمه الله- نحو التفكير في خيارات مستقبلية جديدة للإمارات، إلا أنه لم يكن كافياً بمفرده. فكان بحاجة لشخصية قيادية مثل زايد الذي امتلك من الإصرار والدأب والإخلاص ما جعل الحلم فيما بعد حقيقة معاشة. وقد شاركه في هذا الحلم وفي وضع لبناته الأولى المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم رحمه الله، الذي بذل جهوداً معروفة، وكان في بداية التمهيد لقيام الاتحاد يشكل مع الشيخ زايد -رحمه الله- ثنائياً مؤثراً، وأدى تقاربهما وانشغالهما بتحقيق حلم الاتحاد إلى استنهاض الروح الوطنية الإماراتية، مما شجع حكام الإمارات جميعاً على الالتحام الأخوي وتبني فكرة قيام اتحاد الإمارات.

وهكذا جاءت خطوة الشيخ زايد -رحمه الله- الأولى بشكل عملي، فكان لها الأثر الأبرز على تحفيز فكرة قيام دولة إماراتية تضم كامل جغرافيا الإمارات السبع في دولة اتحادية قوية البنيان. «ففي الثامن عشر من فبراير سنة 1968 كانت المبادرة الأولى عندما عقد الشيخ زايد -رحمه الله- في منطقة السميح الواقعة بين أبوظبي ودبي اجتماعاً مع الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي -وقت ذاك – حيث تم إعلان اتحاد يضم إمارتي أبوظبي ودبي كنواة وبداية لاتحاد أكبر وأشمل. وكانت هذه الخطوة هي البداية التي أكملت في ما بعد... وقرر الشيخان (زايد وراشد) دعوة حكام الإمارات الأخرى وحاكمي قطر والبحرين للتفاهم حول موضوع الاتحاد»(90).

إذن فقد كان اجتماع منطقة السميح هو الخطوة الأولى لتحويل الفكر الاتحادي من هاجس نظري ومن حلم إلى واقع. وعندما نستحضر هذه المحطة المهمة، نكون بذلك قد وضعنا أيدينا على حقيقة ملفتة، وهي أن قيام الدولة المؤسسية الحديثة في الإمارات عبر خطوة الاتحاد قد صار يمتلك تاريخاً ومحطات تُروى، وينبغي على الأجيال الجديدة في الإمارات أن تُلم بها باعتبارها محطات مفصلية قادت إلى قيام الدولة الاتحادية التي يعيشون في ظلها اليوم.

استثمار عائدات النفط لإحداث نقلة تنموية نوعية.

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يقص الشريط التقليدي إيذانا بافتتاح فندق هيلتون – أبوظبي (15 أبريل 1973).

وهكذا أصبح اجتماع منطقة السميح بين زايد وراشد تاريخاً بارزاً ومؤشراً على تحول كبير حدث في ساحل الخليج العربي وترتب عليه قيام دولة الإمارات، ولم يعد المؤرخون يراجعون التفاصيل الأخرى أو يتثبتون منها. لكن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رعاه الله، بادر في المحاضرة التي ألقاها في ذكرى سابقة أثناء الاحتفال باليوم الوطني الأربعين لقيام الاتحاد، وكشف سموه عن معلومة جديدة بخصوص اجتماع السميح بين الشيخين الراحلين الكبيرين زايد وراشد رحمهما الله، ومن موقع الشاهد على الحدث، ذكر سموه أن ذلك الاجتماع الشهير لم يتم في منطقة السميح، لأنها – بحسب سموه – تطل على ممر بين دبي وأبوظبي، كانت تعبره سيارات الشحن في ظل حركة التجارة القوية بين الإمارتين، وما يرافق حركة الشاحنات من ضجيج وضوضاء. لذلك من البدهي ألا يتم الاجتماع في ظل ازعاج السيارات، بجانب فضول المارة من ذلك الطريق والمجتمعون يناقشون أموراً مهمة جداً.. ويستطرد صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد في محاضرته، كاشفاً عن مكان اجتماع الشيخ زايد والشيخ راشد -رحمهما الله- الذي ترتب عليه آنذاك إعلان قيام اتحاد بين إمارتي أبوظبي ودبي، فيقول سموه: «نعم ذهبنا إلى منطقة السميح ولكننا توجهنا نحو الجنوب بحثاً عن موقع جيد، إلى أن وصلنا إلى منطقة عرقوب السديرة..» (91)، وفيها عقد الاجتماع.

وتخليداً لاسم مكان ذلك الاجتماع الثنائي الهام، تعمّد صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد الإشارة إليه أكثر من مرة في قصيدة له بعنوان (الشعب والقايد)، ومن أبياتها:

وترى الرايهْ على الغايهْ رضايفْ حبلها مشدود

ترفرفْ في سما العليا بحفظ الرّبْ سبحانه

رفعها لأجلنا زايدْ أبونا الفارسْ المفنودْ

وروحهْ بيننا حيّهْ ولوْ هو غابْ جِثمانهْ

بميعادْ السديرهْ كنتْ شاهدْ يومَها المشهودْ

وخيمةْ بدوْ فيها عِنصرينْ المجدْ عنوانهْ

تقابلْ زايدْ وراشدْ ويكفي العودْ جنبْ العودْ

ولأجلهم خَلَّصْ التاريخْ حبرهْ وريشْ جنحانهْ

وانا شاهدْ واشاهدْ مرجلهْ وعزْ وصنايعْ جودْ

وكان المجدْ يتبسمْ وهمْ يبنونْ بنيانهْ

بلا ختومْ وبلا أوراقْ كانوا يوثّقونْ عهودْ

متى يعطونْ كلمهْ للشرفْ تتثَبّتْ اركانهْ

على أرضْ السّديرهْ قام منهجْ والسِّدرْ مخضودْ

وطابْ الكيفْ للتوليفْ بعدْ الخِلفْ وادرانهْ(92)

ورغم كشف صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد عن مكان انعقاد ذلك الاجتماع بالضبط، والذي تم في منطقة السديرة بالقرب من منطقة السميح، إلا أن توارد الإشارة إلى منطقة السميح في كل المصادر قد جعل ذلك اللقاء الهام يُعرف باجتماع السميح. وتبقى الأهمية الأكبر لما ترتب عليه من إعلان للاتحاد المبدأي الثنائي بين إمارتي أبوظبي ودبي، وهو الحدث الذي أفضى تالياً إلى التفكير بالتعجيل بقيام الاتحاد بين الإمارات السبع، بعد أن انسحبت البحرين وقطر من مشروع زايد الأوسع الذي كان يطمح في البداية لإقامة دولة اتحادية خليجية تشمل الإمارات السبع التي تتكون منها دولة الإمارات إلى جانب البحرين وقطر.

ما تبقى من تفاصيل حول الخطوات التي أوصلت إلى يوم إعلان الاتحاد صارت معروفة ومكررة في العديد من المراجع، وكلها تسرد استجابة حكام الإمارات لدعوة زايد وراشد بعد الإعلان عن اتحاد أبوظبي ودبي يوم 18 فبراير 1968، ثم ما دار في الاجتماعات التي شاركت فيها البحرين وقطر، وصولاً إلى انسحابهما من مشروع الاتحاد (التساعي)، وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر عام 1971.

وحتى لا نكرر إعادة سرد ما بات معلوماً وتم سرده من قبل، لا ننسى أننا نتحدث هنا عن الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- وما قدمه من موقعه في سبيل قيام الاتحاد، فقد كان المحرك الأول للأحداث وصاحب الدور الرئيس الأكثر فاعلية.

ومن العوامل التي جعلت الشيخ زايد -رحمه الله- في المقدمة على رأس حكام الإمارات السبع، وجعلته يتصدر مهمة إقامة الدولة الاتحادية ويظهر في الواجهة أكثر من غيره: «أن أرض إمارته (أبوظبي) تشكل أكثر من 86% من الأرض التي سعى إلى توحيدها، وأن دخل أبوظبي من البترول يشكّل المصدر الرئيس للتنمية في الأرض التي يعمل لتوحيدها. أما على الجانب الأخلاقي فقد كان كرم البطل لا يدانيه في البذل والعطاء إلا حكمته التي وجّهت عزمه الأكيد لتحقيق الاتحاد من أجل ازدهار إنسان هذه المنطقة التي عانت كثيراً الفقر والجهل والمرض وكافة عوامل الفُرقة التي دعمتها الهيمنة البريطانية في المنطقة منذ عام 1820م»(93).

وكان بدء الشيخ زايد -رحمه الله- بالتنسيق مع الشيخ راشد فيما عرف وتم تداوله تحت اسم اتفاق السميح يأتي ضمن خطة زايد الطموحة في إقامة اتحاد الإمارات السبع، «التي أراد أن يبدأ العمل في بنائها بالتدريج: عمل زايد على أن يبدأ بعشيرته الأقربين في دبي إلى إمارته داراً وأهلاً حيث يعيد بناء صرح بني ياس، ثم يتدرج خطوة تلو أخرى في ضم شمل أهله في الإمارات الأخرى الواحدة بعد الأخرى بادئاً بالشارقة إلى رأس الخيمة.. أراد زايد أن تكون اللبنة الأولى في هذا الاتحاد إمارتين تنتميان تقليدياً إلى تجمع قبلي واحد، هو تجمع بني ياس. وحين تستعيد هذه القبيلة لحمتها وتتكامل أرضها، وحين تتحقق هذه الإرادة السياسية التي سعى إليها شيوخ آل نهيان عبر تاريخهم يصبح المسرح معداً تماماً لاستقبال الشق الثاني المتمثل بتجمع القواسم، صنو بني ياس، الذي تقاسم مع أبوظبي ودبي حلو أحداث المنطقة ومرها»(94).

وتقتضي الأمانة التاريخية والإنصاف الإشادة في هذا المقام بدور المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم رحمه الله، الذي كان عند مستوى طموح الشيخ زايد -رحمه الله-، فكان رديفاً له وسنداً في القيام بتلك الخطوة التمهيدية الهامة عبر اتفاق السميح. وقد «اجتمعت حكمته مع حكمة أخيه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-، حيث مثّلا معاً المنعطف التاريخي للمكان والزمان منذ إعلانهما معاً عن الاتحاد الثنائي بين أبوظبي ودبي سنة 1968م ليكون رداً غير مباشر على إحساس الأمة بالمهانة والمذلة بعد نكسة 1967م التي كادت أن تدمر الوجدان القومي. وبإعلان الاتحاد وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971 فقد حققا إنجازاً استراتيجياً للأمة»(95).

الشيخ زايد -رحمه الله- وتفعيل الفكر الاتحادي بعد قيام الدولة

لم يتوقف حلم الشيخ زايد طيب الله ثراه عند لحظة ومسؤولية إقامة الاتحاد، رغم أن هذه الخطوة لوحدها كانت منجزاً استثنائياً وضع الإمارات على طريق النهوض الآمن في المستقبل. وفي تجارب الشعوب الأخرى كان أي قائد آخر سيكتفي بهذه الخطوة الكبيرة، ويلقي بمسؤولية ما بعد قيام الاتحاد من جهة الحفاظ عليه وتدعيمه على أكتاف الآخرين. لكن زايداً -رحمه الله- واصل مسيرته وإيمانه بتدعيم وتفعيل الفكر الاتحادي حتى بعد قيام الدولة الاتحادية، وظل راعياً أميناً وحارساً صلباً للاتحاد في سنينه الأولى، وبذل من جهده ووقته وطاقته ومن ثروات إمارته الكثير والكثير لكي يقف الاتحاد على قدمين راسختين، ولكي يصبح الاتحاد في وعي كافة الإماراتيين مصلحة تعنيهم جميعاً، ومأثرة وطنية ترتبط برفاهيتهم وسعادتهم وبمستقبل أبنائهم وأحفادهم.

وكأن زايداً بصنيع أفعاله وبحكمته وإيثاره ومحبته لشعبه لا يزال – حتى بعد رحيله إلى عالم الخلد – يحرس جذوة الاتحاد وقيمه وآفاقه. فها هو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان -رحمه الله- يسير على نهج الأب القائد المؤسس، ومعه أشقاؤه أنجال زايد الأوفياء لعهد زايد ومسيرته، ويساندهم بإخلاص وتفانٍ أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى حكام الإمارات. ومن وراء القادة يمضي الشعب الإماراتي الفخور بوطنه على نفس الدرب حاملاً مشعل الاتحاد ورايته، وبسواعد الشباب وعقولهم المتفتحة تستمر مسيرة الاتحاد بلا توقف.

ويمكن القول إن الإعجاز الذي تحقق على يد الشيخ زايد -رحمه الله-، يكمن في قيامه بعد الاتحاد بتوفير عوامل الاندماج الوطني، لأن بناء الدول واتحاد المجتمعات ورقيها لا يتحقق فقط بقرار سياسي من أعلى الهرم الحاكم، بل يتطلب جهوداً جبارة لإزالة الحواجز التقليدية التي تكون قائمة عادة على مستوى توزع السكان وتشتتهم، وعلى مستوى معيشتهم، ومن خلال ربط حياة الناس بخدمات الدولة يحدث الارتباط بين الشعب والمؤسسات الرسمية.

ولعل أبرز خطوة قام بها زايد -رحمه الله- بعد الاتحاد هي إدماج التجمعات السكانية البدوية في النسيج الاجتماعي الجديد للدولة، وإعادة توطينهم وتقديم الخدمات اللازمة لهم وتوفير المتطلبات التي ترتقي بأنشطتهم الاقتصادية في أماكن إقامتهم. وهذا يعني أن اتحاد الإمارات لم يكن مجرد قرار سياسي على خلفية الفكر الاتحادي العميق. فصحيح أن المجتمع

الإماراتي متحد ومتجانس ثقافياً ودينياً وحضارياً، لكن إقامة دولة إماراتية حديثة تطلب الكثير من الجهود لتفعيل الفكر الاتحادي وجعله واقعاً حياً وملموساً على مستوى كل أفراد المجتمع.

لقد كان للخدمات والإجراءات التي قامت بها الدولة الوليدة برئاسة الشيخ زايد -رحمه الله- الدور الأكبر في بناء صرح الاتحاد وتقوية أساساته على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية. وفي عهد الشيخ زايد -رحمه الله- وفي ظل رئاسته الحكيمة للدولة في سنواتها الأولى تم إنجاز خطوات كبرى ومنها:

- توحيد القوات المسلحة.
- إنشاء قوة حرس لحدود الدولة البرية والبحرية.
- توحيد أجهزة الأمن الداخلي في الإمارات وإنشاء جهاز أمن الدولة.
- توحيد سلطة الإشراف على الأجهزة الإعلامية.

وكان تميز شخصية زايد القيادية قد بدأ كما ذكرنا أثناء توليه إدارة شؤون منطقة العين التي عمل فيها على إعادة تنظيم الري وتعامل بحكمة مع قضية استخدام المياه وتوزيعها على المزارعين، وتالياً برع أثناء صعوده إلى حكم إمارة أبوظبي ليسطع نجمه، ومنذ توليه شؤون حكم الإمارة اشتهر «بالقدرة على تفقد سير العمل والمتابعة الشخصية له بلا كلل.. وكان الشيخ زايد -رحمه الله- يظهر بين حين وآخر في مواقع البناء أو في إحدى المناطق التي ينفذ فيها مشروع جديد، وبذلك يطلع على تفاصيل تطور العمل بصورة يومية، وعندما يجد ما يعرقل التنفيذ فإنه يطلب معرفة أسباب تعطل المشروع وعدم تنفيذه حسب الخطة الموضوعة، أو سبل التغلب على العقبات. وبالمثل كان الشيخ زايد -رحمه الله- يمتدح إتقان العمل والإخلاص فيه، ويكافئ الذين أدوا الواجبات المنوطة بهم بكفاءة وتفان»(96).

وتطورت الأنظمة الإدارية في عهد الشيخ زايد -رحمه الله- الذي انحاز بلا تردد لتحديث الإدارة والاعتماد على الكفاءات الوطنية، وقرّب منه الكوادر الوطنية المؤهلة منذ وقت مبكر، ووضعهم في مناصب مرموقة تبعاً لتخصصاتهم العلمية وخبراتهم. ومع الوقت اتضح أن كل ما كان يقوم به وما يتخذه من اجراءات كانت تصب في خانة تفعيل الفكر الاتحادي وزراعته في العقول، لكي يتحول إلى سلوك وطني وإلى ممارسة تخدم بناء الدولة.

الشيخ زايد عمل على تفعيل الاتحاد وأبرز خطوة نفذها إدماج التجمعات السكانية البدوية في النسيج الاجتماعي الجديد.
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يفتتح مجمع الرويس السكني (10 مارس 1982).

وحظي جيل الشباب الإماراتي باهتمام خاص في عهد مؤسس الاتحاد، الذي كان _ رحمه الله _ يركز على الاهتمام بالتعليم والابتعاث إلى الخارج لرفد الإمارات بالكوادر الوطنية المحلية، وتطوير الموارد البشرية لتسهم في صناعة مستقبل الإمارات، على قاعدة الفكر الاتحادي الأصيل. و»كان بناء الإحساس بالانتماء الوطني والإيمان بأهمية دور الحكومة بين جموع الشعب مسألة ضرورية، وحتى تصبح الدولة الاتحادية فاعلة في نظر الشعب فإنه يجب عليها أن تلبي احتياجاته الأساسية، لذا صار من الضروري أن تحقق الحكومة الجديدة سلسلة من النجاحات السريعة»(97). فتحقق ذلك لأن الشيخ زايد -رحمه الله- كان مصمماً على النجاح دائماً، وعلى جعل الاتحاد جالباً للخير والرفاهية لكل الإماراتيين.

لقد منح الشيخ زايد -رحمه الله- الفكر الاتحادي بعد قيام الاتحاد فاعلية وحيوية أخرى إضافية، جعلته يتحول إلى برنامج عمل شامل للتطوير وإقامة البنية التحتية، من مشاريع شق طرق حديثة تربط بين الإمارات على أحدث المواصفات الفنية،

إلى مشاريع التعليم والصحة والإسكان، بالتزامن مع التطوير المستمر للقطاع الإداري ولمؤسسات الدولة الاتحادية، وتوفير المناخات ذات البيئة الآمنة للاستثمار والازدهار الاقتصادي. كما صار حكام الإمارات أعضاء المجلس الأعلى شركاء فاعلين يسيرون على نهج زايد، الذي رسّخ في ضمائرهم الفكر الاتحادي بإخلاصه وسعيه الجاد والمثمر دائماً، الذي جعل المشروعات تشمل كل مناطق الإمارات وشعبها على مستوى خريطة الدولة.

وحتى الآن لاتزال عزيمة زايد وهمته تقود الإماراتيين، الذين منحهم القدر قائداً ملهماً، كان يحمل فكراً اتحادياً ينبض بالحياة وقابلية التطبيق عملياً، عبر توفر قوة الإرادة والتصميم. ولم يكن الشيخ زايد طيب الله ثراه «رجل عصره فحسب، بل كان سابقاً له بكثير في جوانب عدة، وقد حظي بما حظي به من تقدير استثنائي وتفويض شعبي بقيادة الإمارات العربية المتحدة على طريق التقدم، ولم يغترّ مزهواً بذلك ويقعد عن العمل، بل واصل السعي لتحقيق رسالته في الحياة بروح لا تعرف الكلل. ولا شك أن احتفاظه برئاسة الإمارات العربية المتحدة دون منافسة، على مدار حقبة متواصلة مدة ثلاث وثلاثين سنة حافلة بالإنجازات حتى وفاته عام 2004 – تعطي أكبر دليل على شخصيته الفذة وقيادته الحكيمة ورؤيته السديدة»(98).

فلسفة الشيخ زايد -رحمه الله- للحكم كما وردت في بعض أقواله

لم يكن الشيخ زايد طيب الله ثراه يقول ويصرح إلا بما يقتنع به ويسعى لتطبيقه وتحفيز المسؤولين في الدولة على الالتزام به كمنهج غايته الاهتمام بمصلحة المواطنين الإماراتيين في كافة ربوع الدولة. ونستعرض فيما يلي مجموعة من أقوال الشيخ زايد -رحمه الله- التي كانت تتصف بالصدق والحماس الوطني الذي يعكس روح القائد الوفي لشعبه، والذي يمتلك فلسفة للحكم ارتقت بالإمارات منذ انطلاق اتحادها إلى النهضة والشموخ.

أقوال الشيخ زايد -رحمه الله- كثيرة، ومن سماتها أيضاً التلقائية والثقة بالذات وبالتفاف الشعب واستعداده للسير في الطريق الذي رسمه مؤسس الاتحاد. الذي وضع نصب عينيه إسعاد شعب الإمارات وتحقيق العزة والسيادة والمكانة العالية لدولة الاتحاد، بما يتناسب مع تاريخها العريق وآمال شعبها المتطلع، الذي كان يتوق للاتحاد وإنهاء عهود تشظي الوطن الإماراتي.

وفي فهم وإدارك الشيخ زايد -رحمه الله- للديمقراطية والشورى ما يشير إلى أن هذه المفاهيم ليست غريبة عن ممارسته كحاكم اعتاد على التواصل مع أبناء شعبه كبيرهم وصغيرهم، فيقول: «إن الديمقراطية في دولة الإمارات العربية المتحدة ليست شعارات. وليست مجرد نصوص في الدستور، إنها واقع عملي، سواء على مستوى السلطة العليا للبلاد، أو على المستوى الشعبي».

ولقد كانت لديه رؤيته الحكيمة للتنمية والتحديث التدريجي الذي لا يسلب من المجتمع هويته وعاداته وارتباطه بأرضه وتضاريسها وتنوع مصادر الرزق والعيش فيها، لذلك قال الشيخ زايد -رحمه الله- جملة ذكية تشي برغبته في تمدين المجتمع الإماراتي مع الاحتفاظ بمعالم أصالته حين قال: «إنني لا أرغب في نقل البدو إلى المدنية بل سوف أنقل المدنية إلى البدو». وفي هذا القول حكمة ورؤية عميقة. فبعد عقود من تسويق المنظمات والقوى الدولية لمفاهيم مغلوطة للتنمية، صارت أحدث المؤتمرات واللقاءات حول التنمية البشرية تتجه إلى التأكيد على أهمية مصادر وخصوصيات القوة الذاتية للشعوب بما تمتلكه من موروث ووسائل وطرق في الزراعة والحياة والتفكير. لكن الشيخ زايد طيب الله ثراه تنبه منذ وقت مبكر إلى هذه المسألة الجوهرية وعقد العزم على الموازنة بين الأصالة والمعاصرة، بحيث يظل الجوهر الإماراتي للمواطن في الدولة الاتحادية غنياً بطاقته الروحية التي اكتسبها من الأجداد، وأن يكون التحديث إضافة لا تسلب

الشيخ زايد كانت لديه فلسفة خاصة للحكم ورؤية حكيمة للتنمية والتحديث التدريجي.
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في طريقة لإفتتاح مشروع الشركة الفرنسية بالعين (1973).

منه تلك الروح الغنية والتقاليد الايجابية.

حول نفس المعنى السابق ذكره في مقولة الشيخ زايد -رحمه الله-، يقول في مناسبة أخرى ما يعزز هذا التوجه: «ومن المهم أن نعتز بالماضي إذا أردنا أن ننجح في مواجهة الغد».

أقوال الشيخ زايد طيب الله ثراه كثيرة، وتعكس في مجملها وعي ذلك القائد البارز والحكيم ومقدرته على صياغة رؤية سياسية للدولة الاتحادية. تلك الرؤية التي كانت بمثابة جسر لوصل الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل بعين ثاقبة.

وكان قيام دولة الاتحاد وتفعيل الفكر الاتحادي خطوة بارزة على المستوى العربي، وترافق انطلاقها بالتزامن مع حراك سياسي عربي كان يستهلك العديد من المصطلحات السياسية مثل الديمقراطية، ولم يكن الشيخ زايد -رحمه الله- بعيداً عن مواكبة كل التفاعلات وإبراز خط دولة الإمارات العربية المتحدة وبرنامج قيادة الدولة لاستيعاب طموح الشعب الإماراتي. فقال الشيخ زايد -رحمه الله- في إحدى المناسبات:

«إن بعض الناس يظنون أن هذا المجتمع لم يعرف النظام الديمقراطي من قبل، وهذا خطأ لأن الآباء والأجداد عرفوا الشورى وآمنوا بها من قبلنا. لقد فعلوا ما نفعله نحن الآن لكن بطريقتهم ومفاهيم عصرهم، وسوف يظل مبدأ الشورى من أهم أسس حياتنا إلى الأبد، وأنا أتطلع إلى المستقبل عندما يأتي الأبناء ويستمرون في تطبيق هذا المبدأ بما يتلاءم وحياتهم وعصرهم ونظمهم».

وفي لقاء مع صحفيين أجانب بعد أشهر قليلة من إعلان قيام الدولة الاتحادية، قال الشيخ زايد -رحمه الله-: «إننا نرى أن تحقيق العدالة هو الطريق إلى الديمقراطية، وأي إنقاص من العدالة هو ضد الديمقراطية..».

وفي المقولة السابقة بُعد نظر وأفق استراتيجي مبكر امتلكه الوالد القائد المؤسس الشيخ زايد -رحمه الله-. فلم يكن أحد من المنظرين والمتكلمين عن الديمقراطية في ذلك الوقت يتحدث عن أبعادها الشاملة، وكان الحديث عن هذا المبدأ يختصره في شكليات ومظاهر سطحية، وبعد عقود من الزمن مع مطلع الألفية الثالثة بدأت تقارير التنمية الإنسانية تفرد مساحات كبيرة للمفاهيم الشاملة التي تُعنى بعموم هذا المصطلح وتمظهراته وما ينبغي أن ترافقه من ممارسات في ظل الدولة الرشيدة.

وصار الحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان حالياً في المؤسسات الدولية مقترناً بالتنمية والعدالة وتكافؤ الفرص والحق في التعليم والحياة الكريمة، وهذا ما كان يقوله الشيخ زايد -رحمه الله- مؤسس اتحادنا منذ وقت مبكر، والذي سعى بجهد وإخلاص إلى جعل مؤسسات الدولة الاتحادية معنية بخدمة المواطن الإماراتي وإسعاده وتيسير سبل معيشته وتعليم أولاده. كما كان لمسائل السكن أهمية بالغة عند الشيخ زايد -رحمه الله-، فهو الذي دشن منذ بداية عهد الدولة الاتحادية توفير المساكن للمواطنين وتوزيع قطع الأرض لبناء المساكن مجاناً، مما وفر منذ بداية الاتحاد حالة من الاندماج الاجتماعي والاستقرار والشعور المكتمل بحقوق المواطنة والانتماء لدى عموم الشعب الإماراتي في كل مناطق الدولة.

ومن المرتكزات الأخرى لفلسفة الشيخ زايد -رحمه الله- للحكم وإدارة الدولة، تركيزه على ما يسمى بلغة اليوم تطوير التنمية البشرية والاعتناء بتخريج الكادر المؤهل المقتدر. ولطالما اهتم الشيخ زايد -رحمه الله- بالتعليم وحث الأجيال على تحصيله، وكان يفتتح بنفسه المدارس والمعاهد الجديدة، وله العديد من الأقوال في هذا المنحى، إذ يقول: « .. كان عملنا مركزاً حالياً على تطوير وتنمية قوانا البشرية، وعلى الاهتمام بالخدمات الاجتماعية في مجال التعليم والصحة، وإعداد الأجيال التي تتحمل مسؤولية المستقبل، فنحن نهتم بالتحضير للمستقبل، وتذليل كل العقبات مهما كانت».

وعن إدارك سموه لمحورية وأهمية التعليم عبّر قائلاً: «إن العلم والثقافة أساس تقدم الأمة، وأساس الحضارة، وحجر الأساس في بناء الأمم، إنه لولا التقدم العلمي لما كانت حضارات وصناعات متقدمة أو زراعة تفي بحاجة المواطن. إنه بالتعليم الممتاز نستطيع أن نوفر جيلاً من المواطنين يشرف على بناء المصانع، ويدير المشروعات التي بدأت تقام في مختلف أنحاء الدولة، إذ لا يمكن أن تقوم صناعة وطنية دائمة وقوية إلا على أكتاف أبناء البلد، وواجبنا لتحقيق هذا الهدف أن نتيح سبل التعليم والثقافة لكل فرد من أبناء هذا البلد».

وتحقق للشيخ زايد ما أراده بالفعل ورسمه وآمن به، فتخرجت أجيال من الإماراتيين الذين كان لهم شرف الإسهام في تنمية الإمارات في قطاعات متعددة، وها نحن نشهد ثمار النهضة التي تتحدث عن نفسها بوضوح، على هيئة إنجازات مؤسسية طموحة في المجالات المختلفة.

وسبق أن أشرنا إلى ثقة الشيخ زايد -رحمه الله- بالشباب وتعويله على جهودهم وحماسهم، فخاطب هذه الفئة أكثر من

من مرتكزات فلسفة الشيخ زايد للحكم وإدارة الدولة ، تركيزة على الصناعات المتقدمة.
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، أثناء افتتاحهما لمحطة الأقمارالصناعية بجبل علي – دبي (8 نوفمبر1975).

من أقوال القائد: إن الآباء هم الرعيل الأول الذي لولا جلدهم على خطوب الزمان وقساوة العيش لما كتب لجيلنا الوجود على هذه الأرض التي ننعم اليوم بخيراتها.

مجموعة من رجال السيب يتلقون إشارة من الغواص بواسطة حبل اليد الواصل بينه وبين الغواص.

مرة، إذ قال سموه: «إننا نطلب من الشباب دائماً ان يكونوا قدوة وأن يعملوا بجد لأن العمل هو الذي يقودنا إلى التقدم». كما خاطب الشباب مباشرة في نداء موجه إليهم قائلاً: «أيها الشباب أنتم أمل المستقبل الذي نتطلع إليه. إنكم تتعلمون الآن ما يعود عليكم بالفائدة والخير على بلدكم وأهلكم ومستقبلكم».

حكمة الشيخ زايد -رحمه الله- وشخصيته القيادية تجلت في مواقفه وأقواله، وفيها خلاصة تجاربه كزعيم عربي كبير قاد شعب الإمارات نحو الاتحاد والرقي والنهضة وبناء الدولة المنيعة ذات الأعمدة الراسخة البنيان، لذلك ليس غريباً أن يوصف هذا القائد الفذ بحكيم العرب، وأن تحظى شخصيته حتى اليوم بالإجلال والتقدير على مستوى الأمتين العربية والإسلامية، بل وعلى ألسنة قادة العالم الذين لا يتسع المجال لسرد شهاداتهم وآرائهم عن الشيخ زايد -رحمه الله-.

ونختتم هذا المحور بسرد طائفة من أبرز أقوال الشيخ زايد -رحمه الله-، التي هي كثيرة ومتنوعة ومليئة بالنضج الفكري والحكمة وفهم الواقع ومحبة شعب الإمارات والسعي الدائم لرفعة هذا الوطن وازدهاره. ورغم أن أقوال زايد الخالدة كثيرة إلا أننا سنختم بنماذج منها على سبيل المثال لا الحصر، وندع للقارئ اللبيب قراءة ما بين سطورها وما ترمي إليه، وما تكشف عنه من عمق وفطنة تحلى بها قائد استثنائي سبق عصره وقدم الكثير لشعبه ولأمته.

كما إن في أقوال الشيخ زايد -رحمه الله- وأسلوب قيادته للدولة الاتحادية منذ تأسيسها ما يترجم رؤيته للفكر الاتحادي وريادته لهذا الفكر في الإمارات، فقد كان يطبق الفكر الاتحادي بشكل عملي ويقدم دروساً بالممارسة والفعل والتحرك الميداني، ولا يزال يشهد بذلك كل من عاصر سموه وعمل معه وتلقى توجيهاته التي كانت في مجملها تمثل تحفيزاً مباشراً للفكر الاتحادي في العقول وفي ميادين البناء والعمل.

يقول الشيخ زايد -رحمه الله- بكلمات حكيمة لا تزال متداولة حتى اليوم وتلخص أهمية الاتحاد كما تسجل ملامح الفكر الاتحادي في وعي القائد الذي حول حلم الاتحاد إلى حقيقة:

- إن الآباء هم الرعيل الأول الذي لولا جلدهم على خطوب الزمان وقساوة العيش لما كتب لجيلنا الوجود على هذه الأرض التي ننعم اليوم بخيراتها.
- إن الاتحاد ما قام إلا تجسيداً عملياً لرغبات وأماني وتطلعات شعب الإمارات الواحد في بناء مجتمع حر كريم، يتمتع

بالمنعة والعزة وبناء مستقبل مشرق وضاح ترفرف فوقه راية العدالة والحق، وليكون رائداً ونواة لوحدة عربية شاملة.

- إن الحاضر الذي نعيشه الآن على هذه الأرض الطيبة هو انتصار على معاناة الماضي وقسوة ظروفه.
- نؤمن بضرورة توفر المناخ الحر الذي لابد منه لكي تخصب الأفكار وتتفاعل الآراء وصولاً للأفضل، غير أن الأفضل الذي نراه كمسؤولين ومواطنين مرة ثانية هو تعزيز المسيرة الاتحادية وتعميق مدلولاتها وتمتين أواصرها ليس لمصلحتنا نحن أبناء هذا الجيل فقط وإنما لمصلحة كل جيل قادم.
- إذا كان الله عز وجل قد منّ علينا بالثروة فإن أول ما نلتزم به أن نوّجه هذه الثروة لإصلاح البلاد، ولسوق الخير إلى شعبها.
- إن الجيل الجديد يجب أن يعرف كم قاسى الجيل الذي سبقه؛ لأن ذلك يزيده صلابة وصبراً وجهاداً لمواصلة المسيرة التي بدأها الآباء والأجداد، وهي المسيرة التي جسدت في النهاية الأماني القومية بعد فترة طويلة من المعاناة ضد التجزئة والتخلف والحرمان.
- لقد أكدّت السنوات الماضية أهمية الاتحاد وضرورته لتوفير الحياة الأفضل للمواطنين، وتأمين الاستقرار في البلاد. وتحقيق آمال شعبنا في التقدم والعزة والرخاء.
- لقد علمتنا الصحراء أن نصبر طويلاً حتى ينبت الخير، وعلينا أن نصبر ونواصل مسيرة البناء حتى نحقق الخير لوطننا.
- إن رفع مستوى المواطن والدولة ككل هو رائدنا وفوق كل شيء، والدولة مثل الشجرة التي يجب أن تحظى بعناية مواطنيها وحرصهم على تنميتها، وكل مواطن عليه أن يحترم وطنه.
- إن تعليم الناس وتثقيفهم في حدّ ذاته ثروة كبيرة نعتز بها، فالعلم ثروة ونحن نبني المستقبل على أساس علمي.
- إن عملية التنمية والبناء والتطوير لا تعتمد على من هم في مواقع المسؤولية فقط، بل تحتاج إلى تضافر كل الجهود لكل مواطن على أرض هذه الدولة.
- لابد من الحفاظ على تراثنا؛ لأنه الأصل والجذور، وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة.

ومن الأقوال التي اشتهرت على لسان الشيخ زايد (طيب الله ثراه) متحدثاً عن أهمية العلم والثقافة نستحضر بعضها فيما

من أقوال القائد: لابد من الحفاظ على تراثنا، لأنه الأصل والجذور،وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة،
صورة لمواطن يصنع سفينة شراعية.

من أقوال القائد: إن نشر التعليم هو واجب قومي،والدولة وفرت كل الإمكانات من أجل بناء جيل الغد وتعويض ما فاتنا، وهذا الأمر يضع العلم في أعز مكانة وأرفع قدر.

صورة المدرسة النهيانية- مدينة العين (1963)، حيث تم تأسيسها في عام (1955).

يلي، وهي من الأقوال التي تثبت نظرته العميقة للمستقبل وارتباطه بالتعليم:

- إنني أريد أن يتعلم كل أبناء الخليج. أريد أن يبني ابن الخليج بلاده بنفسه وبعلمه. إننا نرسل بعثاتنا من الطلبة إلى كل مكان من الأرض ليتعلموا. وعندما يعود هؤلاء إلى بلادهم سأكون قد حققت أكبر أمل يراود نفسي لرفعة الخليج وأرض الخليج.
- إن المسيرة التعليمية والتربوية تقوم على أساس ربط الدين بالدنيا في تربية النشء، وإعداد وتأهيل الشباب.
- إن رصيد أية أمة متقدمة هو أبناؤها المتعلمون، وإن تقدم الشعوب والأمم إنما يقاس بمستوى التعليم وانتشاره.
- إن نشر التعليم هو واجب قومي، والدولة وفرت كل الإمكانات من أجل بناء جيل الغد وتعويض ما فاتنا، وهذا الأمر يضع العلم في أعز مكانة وأرفع قدر.
- بدون الأخلاق وبدون حسن السلوك وبدون العلم لا تستطيع الأمم أن تبني أجيالها والقيام بواجبها، وإنما حضارات الأمم بالعلم وحسن الخلق والشهامة ومعرفة الماضي والتطلع للحاضر والمستقبل.
- لقد آن لنا أن نستعيد عزتنا ومجدنا، ولن يكون ذلك بالمال وحده، وما لم يقترن المال بعلم يخطط له وعقول مستنيرة ترشده، فإن مصير المال إلى الإقلال والضياع. إن أكبر استثمار للمال هو استثماره في خلق الأجيال من المتعلمين والمثقفين.
- كانت الجامعات وستظل دائماً المشاعل التي ستنير طريق المدنية، وتمهد السبل للرقي والتقدم.
- إن الثروة ليست في الإمكانات المادية وحدها، وإنما الثروة الحقيقية للأمة هي في رجالها، وإن الرجال هم الذين يصنعون مستقبل أمتهم.
- إن أسوأ الصفات هي التكبر والتعالي. وهي صفات منبوذة في القرآن، التكبر يعني احتقار الآخرين. والمتكبرون والمتعالون مصيرهم النار. ويجب أن يكون الإنسان متواضعاً محباً لإخوانه متعاوناً معهم.
- إن حجم الدول لا يقاس بالثروة والمال، وإن المال ما هو إلا وسيلة لغايات عظيمة لا يحققها إلا العلم، وقدرة الدول على توفير الحياة الكريمة والآمنة لأبنائها، ونحن هنا في دولة الإمارات نعطي أهمية للعلم والعلماء في شتى المجالات.

- إن على كل المسؤولين تشجيع العمل الجماعي، والكشف عن الطاقات الخلاقة عند الشباب، وتوجيهه بما يفيده ويفيد المجتمع.
- الإنسان السوي إذا لم يستخدم طاقاته الفكرية والعقلية ويعمل على تسخيرها في كل ما أمرنا الخالق سبحانه وتعالى، فإنه لن يحصد إلا الأمراض والمتاعب النفسية والاجتماعية.
- إن الأسلوب الأمثل لبناء المجتمع يبدأ ببناء المواطن المتعلم لأن العلم يؤدي إلى تحقيق المستوى المطلوب، وواجب كل مواطن هو العمل على تنمية قدراته ورفع مستواه العلمي ليشارك في بناء مسيرة الاتحاد من أجل حياة أفضل.
- العلم كالنور يضيء المستقبل وحياة الإنسان، لأنه ليس له نهاية، ولا بد أن نحرص عليه، فالجاهل هو الذي يعتقد أنه تعلم واكتمل في علمه، أما العاقل، فهو الذي لا يشبع من العلم، إذ إننا نمضي حياتنا كلها نتعلم.
- إنني أذكر الشباب بأن العلم وحده لا يكفي، فلا بد من التجربة والعمل، وعلى خريجي الجامعات أن يتدرجوا في السلم الوظيفي وفي المناصب؛ ليكسبوا الخبرة كما اكتسبوا العلم، إذ إن اكتساب الخبرة يتم من بعضهم البعض، ومن الذين سبقوهم في العمل حتى يصبحوا مؤهلين للعمل بكفاءة.
- العلم كالمال لا بد أن نحسن استعماله، وكالذخيرة لعقل الإنسان ولا بد من تنمية ذخيرتنا.
- الثروة ليست ثروة المال، بل هي ثروة الرجال.
- إن العلم هو الطريق الوحيد للنهضة والتقدم ومواجهة تحديات العصر وخدمة التنمية في الدول النامية. ودولة الإمارات حريصة على المشاركة قولاً وعملاً في دعم استراتيجية التنمية ونقل التكنولوجيا إلى دول العالم الثالث.
- إن العلم والثقافة أساس تقدم الأمة وأساس الحضارة وحجر الأساس في بناء الأمم، إنه لولا التقدم العلمي، لما كانت هناك حضارات ولا صناعة متقدمة أو زراعة تفي بحاجة المواطنين.
- إن المرأة نصف المجتمع، وهي ربة البيت ولا ينبغي لدولة تبنى نفسها أن تبقي على المرأة نصف مجتمعها غارقة في ظلام الجهل، أسيرة لأغلال القهر، مقيدة مشلولة الحركة.
- إن مصلحة الوطن العليا فوق كل اعتبار ويجب أن تسبق في الأولوية والاهتمام والغاية أية مصلحة أخرى، وذلك مواصلة للمسيرة الاتحادية للدولة وتحقيقاً للمزيد من الإنجازات والخدمات، في سبيل توطيد أركان دولة الاتحاد و تحقيق رفاهية المجتمع وتقدمه.

من أقوال القائد إن العلم كالمال لا بد أن نحسن استعماله،وكالذخيرة لعقل الإنسان ولابد من تنمية ذخيرتنا.
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أثناء تجوله في معرض دائرة المعارف، حيث يطلع سموّه على معروضات الطلاب المشاركين في جناح مدرسة جابر بن حيان ويظهر مع سموّه نجله "الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان" أبوظبي (12 يونيو 1970).

الأفق الاقليمي والعربي للفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله-

كان حلم الشيخ زايد -رحمه الله- وفكره الاتحادي وطموحه الإنساني كبيراً جداً ويتسع لوطنه الإمارات والخليج، بل وللعالم العربي الذي شهد حكمة زايد والحضور القوي لشخصيته وآرائه الشجاعة في المحافل والقمم والمؤتمرات، من خلال سعيه الذي لم ينقطع في حياته _ رحمه الله _ لرأب الصدع العربي ولملمة الصفوف وإزالة الخلافات، إلى جانب تقديمه الدعم المباشر للتنمية في الدول العربية والإسلامية، عبر مساعدات إماراتية ومشروعات عديدة، يؤرخ بنيانها القائم في بلدان كثيرة لمحبة زايد لأمته الكبيرة وللإنسانية كلها، مما جعل شخصيته حاضرة بقوة عند شعبه، وفي وجدان الآخرين على امتداد الوطن العربي والإسلامي.

وما من بلد عربي على امتداد الخريطة إلا وللشيخ زايد -رحمه الله- مواقف شجاعة وداعمه له في اللحظات الحرجة والمواقف الصعبة. ويلخص أحد الباحثين(99) دور زايد في دعم التضامن العربي بالتذكير بجهوده التي كانت تتصف بروح الوفاق والتضامن وتقديم المساعدات الإنسانية السخية، والقيام بالأعمال الخيرية الكبرى من دون التدخل في شؤون الآخرين.

وأول المواقف الحرجة التي ذللها الشيخ زايد -رحمه الله- كانت في أكتوبر من عام 1973م وما تحقق من نجاح سياسي باهر للتضامن العربي نتيجة استخدام سلاح النفط، إنفاذاً لقول زايد الشهير: «النفط العربي ليس أغلى من الدم العربي».

وعُرف الشيخ زايد -رحمه الله- إجمالاً في حياته وأدائه كقائد للإمارات وكزعيم عربي كبير اشتهر بالتصدي الشجاع للأخطار التي تهدد الأمة، فعندما تدلهم الخطوب ويسود الصمت والركود، يُطل في جرأة واقتدار بالكلم والفعل، وبالتصريحات والبيانات الواضحة، وبالقرارات الحاسمة، ويترجم أحاسيس الشارع العربي، ويعبر عنها بصدق. وهو في تلك الحال أشبه بالربان الماهر الذي لا يخشى الزوابع والعواصف، بل يقتحمها ببسالة عندما يقتضي الأمر.. (100).

وعلى ذات الصعيد وفي إطار بروز الأفق الاقليمي والعربي للفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله-، فقد دارت الأيام واستطاع رائد الفكر الاتحادي في الإمارات والخليج أن يعوض حلمه الأساسي بإقامة كيان اتحادي كبير في الخليج، من خلال تحقيقه لمنجز آخر هو مجلس التعاون الخليجي. فبعد انسحاب قطر والبحرين من مشروع زايد للاتحاد الأكبر

كان للشيخ زايد حلم بإقامة كيان اتحادي في الخليج ما يدل على الأفق الاقليمي والعربي للفكر الاتحادي عند الشيخ زايد.
إعلان اتحاد الإمارات التسع27- فبراير 1968.

والأشمل، ظل زايد لفترة مكتفياً بخطوة توحيد وطنه بعد قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، وتفرغه لتدعيم بنيانها. لكنه بعد أن أرسى دعائم وحدة بلده الإمارات، حقق نجاحاً جديداً يحسب لتاريخه المشرق على المستوى الإقليمي، عندما تمكن من بلورة فكرة إطار خليجي واسع للتنسيق والتعاون، هو مجلس التعاون لدول الخليج العربي.

لقد كان لمفهوم وممارسة الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- آفاقاً إقليمية وعربية فسيحة، تتسق مع رؤيته وبعد نظره تجاه المستقبل ومع شخصيته القيادية ذات الأفق العربي والإسلامي، فكان لقاء وزراء خارجية دول الخليج العربية في عامي 1973 و1974 بتشجيع ودعم كامل من الشيخ زايد -رحمه الله-.

ثم اتحد التشجيع المبكر من قبل الشيخ زايد -رحمه الله- للتعاون بين دول الخليج، مع جهود لاحقة قامت بها دولة الكويت ممثلة بالمرحوم الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي السابق رحمه الله، الذي عقد في ديسمبر 1978 سلسلة لقاءات مع المسؤولين في دول الخليج، توجت ببيان ختامي صدر بعد اللقاء الذي تم عقده في أبوظبي، وعبّر ذلك البيان عن العديد من الرؤى التي كان الشيخ زايد -رحمه الله- قد طرحها وظل متمسكاً بها منذ وقت طويل. ثم تحقق حلم وفكر زايد الاتحادي على مستوى الخليج العربي، وبالتحديد يوم 25 مايو 1981 بالتوقيع في أبوظبي على النظام الأساسي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، وتضمنت أهداف المجلس في المادة الرابعة المبادئ والأسس التي نادى بها الشيخ زايد -رحمه الله- في العمل الواقعي المثمر، فقد التزم المجلس بتحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولاً إلى وحدتها. ولم تكن المصادفة وراء اختيار الشيخ زايد -رحمه الله- بالإجماع أول رئيس للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، وأن يكون أول رئيس يوقع على ميثاق المجلس(101).

ومن المواقف الكبيرة للشيخ زايد (طيب الله ثراه) على مستوى الأفق العربي انطلاقاً من إيمانه الراسخ بالفكر الاتحادي ومنحه بعداً عربياً يتجاوز الإمارات، سبق أن ذكرنا قرار سموه يرحمه الله بوقف ضخ النفط في حرب أكتوبر عام 1973م تضامناً مع مصر في عهد عبدالناصر، في الوقت الذي لم يكن قد مضى على قيام دولة الاتحاد ورئاسة زايد للإمارات سوى فترة قصيرة.

ومن مواقفه الراسخة أيضاً: دعمه للقضية الفلسطينية. وحرص سموه على وحدة الصف العربي وتنقية الأجواء بين الأشقاء العرب. وموقفه الثابت من ضرورة وقف الحرب العراقية الإيرانية. ثم دوره المشهود في عودة مصر إلى الصف العربي بعد فترة من القطيعة. تلا ذلك موقف سموه المتضامن مع الكويت أثناء الغزو العراقي وما بذله من جهود وأنشطة دبلوماسية للوقوف إلى جانب الأشقاء في الكويت(102).

وستبقى شخصية الشيخ زايد طيب الله ثراه والفكر الاتحادي صنوان وعاملان لتحفيز الأجيال الإماراتية بل والعربية القادمة، وتشجيعها على التلاحم وتوحيد الإمكانيات واستيعاب معاني وقيم الوحدة، التي لم تعد مجرد أفكار لم يختبرها أحد، لأن زايداً منح الفكر الاتحادي شواهد عملية وأدلة واقعية تعكس قيمة الاتحاد وثماره وجدواه.

من ثمار الفكر الاتحادي في الإمارات(103)

ليس من السهولة إحصاء كل ثمار الفكر الاتحادي في دولة الإمارات العربية المتحدة، ذلك الفكر والتوجه النبيل الذي أرساه وعمل على تفعيله وتطبيقه الراحل الكبير قائد مسيرة نهضة الإمارات المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، فتحول الفكر والحلم والأمل تحت قيادته ورئاسته للدولة إلى ممارسة وعمل جاد، فأثمر منجزات عظيمة وكبيرة بحق، صارت ملموسة في الواقع، ويشهد لها كما يعيشها وينعم بها المواطن الإماراتي وكل وافد يقيم على أرض الدولة أو زائر عابر يمر بها، وما أكثر من يطيب لهم المقام بأرض الإمارات التي تنعم بالأمن والأمان والرخاء والاستقرار. هذا بالإضافة إلى المؤشرات والإحصائيات العالمية التي تتوالى من دون توقف، والتي يصعب تتبعها ومواكبة جديدها الذي ينهمر كل يوم ليشهد أن الإمارات تسجّل باستمرار أرقاماً قياسية، وتتقدم مراتب عالية، فيما تسجل المراكز الأولى وتحافظ عليها في مجالات عديدة. ولا تستطيع المؤشرات العالمية باختلافها أن تتجاهل دولة الإمارات واقتصادها القوي وتنميتها ونهضتها الصاعدة التي تحتل أرقاماً عالمية قياسية في نواحٍ كثيرة.

وثمار الفكر الاتحادي بعد قيام الدولة الاتحادية كثيرة وغنية بالدلالات والمعاني، ويمكن تناول نماذج منها في محورين:

أولاً: ثمار الفكر الاتحادي في المجال السياسي العام:

لقد أنجز الفكر الاتحادي من حيث عمقه وتجذره التاريخي في الإمارات مهمة حيوية وضرورية جداً، وهي غرس مبدأ وحدة الإمارات ومصيرها المشترك في الوجدان العام للإماراتيين، وذلك ما ترسخ بالفعل منذ البواكير الأولى لتفتح الفكر الاتحادي، أي منذ ما قبل الإعلان عن قيام الدولة الاتحادية بسنين طويلة.

وبعد قيام الدولة قطف الإماراتيون الكثير من مكتسبات وثمار الفكر الاتحادي في مجالات متعددة، ومن بينها المجال السياسي العام والصورة التي استقرت عليها شخصية الدولة والمجتمع. وفُتحت الأبواب أمام الانطلاق بالتنمية والتطوير في آفاق كانت من قبل مستحيلة وغير متوقعة أو متاحة، لولا شخصية القائد زايد الذي جعل المستحيل ممكناً بفضل قوة الاتحاد وطاقاته الخلّاقة والمبدعة.

من ثمار الفكر الاتحادي في المجال السياسي هو استقرار شخصية الدولة و أصبحت ذات أفق عالمي.
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أثناء توقيع معاهدة الصداقة بين دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة المتحدة ديسمبر1971.

ويمكن إجمال ثمار الفكر الاتحادي في الإمارات على المستوى العام في النقاط السريعة التالية:

لعل أهم حصاد للفكر الاتحادي بعد قيام الاتحاد هو أن مداميك الدولة الإماراتية الحديثة قد ترسخت، وباتت تمتلك الأطر المؤسسية والآليات التنفيذية التي تستوعب حاجة المجتمع للتنمية والإدارة الحديثة، ذات الجودة والمهارات العالية والمقدرة على الابتكار والتطوير المستمر للأداء.

حدوث تحول هام تمثل في الانتقال المدهش للمجتمع الإماراتي من نسق القبيلة إلى نسق الدولة، ومن التشظي والولاءات الضيقة إلى الاتحاد والولاء للوطن، وما ترتب على ذلك من حضور لشخصية الدولة وهيبتها القانونية، وبالتالي توفير الأمن والاستقرار الاجتماعي، الذي انعكس إيجابياً على التفرغ للتنمية والتحديث والاندماج في أنشطة اقتصادية ذات أفق عالمي.

ولن يكون بوسع أي باحث في العلوم الإنسانية إلا الاندهاش والانحناء إجلالاً لهذا التحول القياسي الذي جعل الإمارات من بين الدول التي حققت اندماجاً متوازناً في ظل العولمة، بحيث لم تخسر هويتها ولم تنغلق في الوقت نفسه على ذاتها، وهذا تحد كبير نجحت فيه الإمارات، بفضل الفكر الاتحادي الذي أرسى كيان الدولة وحافظ على هويتها دون أن تكون هناك أية عوائق أمام التطور ومواكبة العصر.

من ثمار قيام الاتحاد وتفعيل الفكر الاتحادي أيضاً أنه منح الهوية الإماراتية الواحدة زخماً قوياً، مما جعل مبدأ المواطنة يكتسب بعد الاتحاد متانةً وصلابةً. كما ترسخت على مدى العقود الأربعة التي مضت من عمر الاتحاد مشاعر الولاء الوطني والاعتزاز بالانتماء للإمارات كوطن وهوية واحدة تبعث على الفخر.

أصبحت وحدة الإمارات تمتلك حصانة شعبية وحماية ذاتية، لأن الاتحاد بات يمثل مصلحة حيوية لكافة المواطنين الإماراتيين. وتوالد الأجيال الجديدة ونشأتها في ظل الاتحاد يعزز من الهوية الواحدة ومن قيم الولاء والحرص العام على التلاحم الوطني والاجتماعي.

حدثت تحولات بنيوية كبرى في النسيج الاجتماعي الإماراتي الذي حافظ على أصالته، وفي الوقت ذاته لم يجعلها عائقاً أمام التحديث. وجاء الانتقال من الصيغة القبلية الانقسامية وذات الولاء الضيق، إلى صيغة المجتمع الحديث، فتعزز

حضور البنية الحديثة للمجتمع المتحد داخل الوطن الواحد، وأصبح المزاج الشعبي العام السائد هو الذي يعطي أولوية الانتماء للدولة الحديثة، فصار الفرد ينخرط في مؤسسات الدولة ويقوم بدوره وواجبه الوطني من هذا المنطلق وبدافع من الشعور بالارتباط بالإمارات كهوية وطنية جامعة.

ولعل في تدافع الشباب الإماراتي استجابة للالتحاق بالخدمة العسكرية الإلزامية ما يشير إلى مدى تنامي الشعور الوطني لدى المجتمع ممثلاً بفئة الشباب، الذين يمثلون جيل المستقبل القادر على الارتقاء بالإمارات إلى مراحل أكثر تقدماً بفضل جودة التعليم وتزايد أعداد الخريجين المبتعثين للدراسة في الخارج، أو الدارسين في جامعات عالمية أصبحت لها فروع في الإمارات، ناهيك عن الجامعات المحلية التي يتم التدريس فيها بجودة مشهود لها.

حققت المرأة الإماراتية إلى جانب شقيقها الرجل حضوراً مشرفاً، وتواجدت بفعل تأهيلها العالي في كافة مجالات الإنتاج والإدارة الحكومية في مختلف مستوياتها القيادية، وصولاً إلى تقلدها مناصب وزارية ودبلوماسية وقيادية رفيعة في مواقع ومؤسسات عديدة، بالإضافة إلى المساهمة الحيوية للمرأة في القطاع الخاص والمؤسسات الأهلية.

ثانياً: من ثمار الفكر الاتحادي في المجالات الاقتصادية والعلمية والنهضة الشاملة:

في هذا المحور الهام لا نملك إلا أن نختصر بقدر الإمكان، لأن الثمار التي تحققت بفضل الفكر الاتحادي في المجال الاقتصادي أكبر من أن يتم حصرها في عجالة أو تحت عنوان فرعي.

ومنذ قيام الاتحاد والإمارات تخوض غمار التحدي وتسابق الزمن. فإلى جانب الاهتمام الحكومي بمجالات الإسكان والصحة والتعليم والطاقة والخدمات والبنية التحتية، هناك مشروعات عملاقة أقيمت، وأخرى في طور البناء أو الاستعداد والتخطيط لإقامتها. ومن ضمنها:

- تدشين الاستعدادات لاستكمال أول مفاعل نووي إماراتي لتوليد الطاقة الكهربائية.
- استكمال الأعمال الجارية لإقامة انشاءات ضخمة ومتعددة الأغراض، بالتزامن مع ترتيبات التهيئة لاستضافة الإمارات لمعرض اكسبو الدولي عام 2020.

- استمرار تنفيذ الخطط الاستراتيجية للدولة والموجهة للتنمية الشاملة والتوسع في البنى التحتية واستضافة الفعاليات والمهرجانات والمؤتمرات والقمم العالمية والمعارض الدولية الكبرى.

ومن المشروعات العملاقة والطموحة في الإمارات أيضاً يمكن رصد نماذج تمثل الأهم أو الأحدث منها:

مشروع إطلاق أول مسبار عربي لكوكب المريخ تحت إشراف فريق عمل وطني إماراتي

هذا منجز حضاري جديد يضاف إلى منجزات الإمارات الرائدة، لكن هذه المرة لم تتسع الأرض لتلك المنجزات فكان الفضاء كفيلاً بتحقيق هذا الطموح الجديد، الذي يمثل انتقالة كبيرة وتأكيداً على أن الإمارات أصبحت من الدول الرائدة التي تقود الاكتشافات والبحوث العلمية، أسوة بدول الغرب المتقدم. فالمساهمة في الفتح العلمي تعطي للدولة مكانة على مستوى العالم ودوراً في تطور البشرية. والآن مع انطلاق الخطوات العلمية لتنفيذ وبناء وإطلاق أول مسبار عربي لكوكب المريخ تحت إشراف فريق عمل وطني إماراتي لتنفيذ مشروع المسبار ومتابعة إنجاز كافة مراحله، تكون الإمارات قد انتقلت رسمياً إلى مرحلة جديدة ومختلفة تماماً، وبخاصة أن من سيقوم بهذا المنجز هي كوادر إماراتية يتم تدريبها على يد أفضل الخبرات لتشكل أهم منجز للدولة ضمن مخرجات بناء وإطلاق المسبار، وما هي إلا مجرد سنوات ونكون قد خطونا في الإمارات خطوات رائدة في هذا المجال، ليكون الفتح العلمي هدفاً أمام الشباب الإماراتي.

وبحسب الخطة من المقرر أن يصل المسبار الإماراتي إلى كوكب المريخ في العام 2021 تزامناً مع الذكرى الخمسين لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، وسينطلق المسبار في رحلة تستغرق 9 أشهر، وستكون دولة الإمارات ضمن 9 دول في العالم فقط لها برامج فضائية لاستكشاف الكوكب الأحمر.

وبذلك تكون دولة الإمارات قد دخلت بشكل رسمي السباق العالمي لاستكشاف الفضاء الخارجي، عبر إعلان الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان -رحمه الله- عن إنشاء وكالة الفضاء الإماراتية، وبدء العمل على مشروع لإرسال أول مسبار عربي لكوكب المريخ بقيادة فريق عمل إماراتي في رحلة استكشافية علمية تصل للكوكب الأحمر خلال السبع سنوات القادمة، وتحديداً في العام 2021، وهذا الإعلان التاريخي يشكل منعطفاً تنموياً في مسيرة الدولة عبر دخولها قطاع تكنولوجيا الفضاء واعتباره أحد المستهدفات لتضمينه في الاقتصاد الوطني خلال السنوات القادمة، بالإضافة إلى العمل على بناء رأس

من أهم ثمار الفكر الاتحادي ازدهار المجال التعليمي.

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يشهد حفل تخريج الدفعة الأولى من طلبة جامعة الإمارات – العين (1982).

مال إماراتي بشري في مجال تكنولوجيا الفضاء، والمساهمة في زيادة المعرفة البشرية فيما يخص استكشاف الفضاء الخارجي والأجرام السماوية البعيدة.

نجاحات الإمارات في سيادة القانون

كان الثاني من ديسمبر 1971م فاتحة خير على الإمارات، وكان قيام الدولة الاتحادية خطوة تدشين ومقدمة لعمل من أجل تقدم مستمر للإمارات في كافة المجالات. وعلى مستوى البنية الدستورية والقانونية يمثل دستور الإمارات علامة مضيئة في الحقوق وتنظيم أداء المؤسسات السيادية والاهتمام بالمواطن الإماراتي.

ومع مرور الوقت شهدت المؤشرات العالمية بأن دولة الإمارات العربية المتحدة الأولى عربياً في سيادة القانون.

ولا تعتمد الإمارات على الشعارات أو على الاستهلاك الإعلامي بل تعتمد على الواقع والتنفيذ والممارسة. وجاء تصنيف الإمارات في المرتبة الأولى عربياً من حيث سيادة القانون دولياً ومن خارج الإمارات. أي أنه ليس تصنيفاً محلياً من قبل الحكومة أو إحدى الوزارات. فالشهادة جاءت من الخارج وطبقاً لمعايير عالمية ضمن رصيد «مشروع العدالة الدولية» الذي اعتبر الإمارات متصدرة للدول العربية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في سيادة القانون، وجاءت التفاصيل بالأرقام في نتائج التقرير الدولي السنوي لسيادة القانون لعام 2015م، وهي النتيجة المرموقة التي حصدتها الإمارات للعام الثاني على التوالي، بينما تصدرت الدنمارك المرتبة الأولى في سيادة القانون عالمياً. وهذا فخر كبير لكل مواطن إماراتي، وإثبات أن حصاد الفكر الاتحادي والأسس القانونية التي تسير عليها الإمارات تمضي في الطريق الصحيح وتتفوق باستمرار.

ومن المكتسبات الحضارية التي أنجزتها الإمارات على الصعيد القانوني ونحن في طور إعداد هذا العمل صدور قانون مكافحة التمييز والكراهية، الذي يقضي بتجريم الأفعال المرتبطة بازدراء الأديان ومقدساتها، ومكافحة أشكال التمييز كافة، ونبذ خطاب الكراهية، عبر مختلف وسائل التعبير وطرقه.

ولا يمكن للإمارات إلا أن تسابق العصر وتتسق مع واقعها المزدهر ومع احتضانها لأطياف وجنسيات متعددة تعمل في القطاعات الانتاجية والخدمية. وجاء صدور هذا القانون لقطع الطريق أمام كل من تسول له نفسه إثارة النعرات أو بث

خطاب الكراهية الذي لا مكان له على أرض الإمارات التي انتهجت التسامح والانفتاح باعتبار أن أخلاق الشعب الإماراتي وعاداته الأصيلة قائمة على أبعاد حضارية تثق بجذور الهوية الإماراتية، وهذا ما يجعل من التسامح والرقي في التعامل من أسس الشخصية الإماراتية، وجاء القانون الجديد ليؤكد على هذا الاتجاه ويحميه ويعززه.

في الاتجاه ذاته كانت الإمارات قد أقرت في وقت سابق قانون مكافحة الإرهاب، كما حققت سبقاً جعل الآخرين يحذون حذوها عندما أدرجت كافة المنظمات والجماعات المتطرفة على لائحة الإرهاب، وهي خطوة استباقية تهدف لمحاصرة القوى المتطرفة وحرمانها من أي تعاطف، وكل ذلك يتسق مع التوجه الرسمي الإماراتي لمكافحة كافة أشكال الإرهاب التي تهدد الأمن والاستقرار في منطقتنا.

إنجازات مستمرة وصعود لا يتوقف

وبفضل الفكر الاتحادي والاستمرار في السير على نهج القائد زايد المؤسس، تستمر إنجازات الإمارات التي يصعب إحصاء ثمارها، والتي تحققت في وقت قياسي بالنظر إلى تجارب أخرى في العالم تطلب نضجها عقوداً طويلة. لكن الإمارات عودت شعبها على اختصار الزمن والمسافات في قطاعات التنمية والاستثمار والرفاهية وإسعاد المواطن وتسهيل الإجراءات التي تمس حياته اليومية. وتنطبق التسهيلات على كل من يقيم بأرض الإمارات. ولا ننسى كذلك أن بلدنا يتصدر الدول في أعمال الإغاثة والمساعدات الإنسانية التي تشير خريطتها إلى أنها تغطي مساحات شاسعة، وخير الإمارات يصل إلى كل مكان، وبخاصة في البلدان التي تتعرض لكوارث طبيعية تكون الإمارات الأولى في حضورها الإنساني.

وبالعودة إلى الإنجازات التي تحققها الإمارات، لا يمكننا رصد كافة المؤشرات والأرقام القياسية، ولكن بصورة إجمالية تحكي الأرقام في كل عام أن دولة الإمارات تمثل نموذجاً عالمياً في حقل التنمية الشاملة، ودائما ما تكون في مرتبة متقدمة وهي في العديد من المؤشرات الأولى عربياً، وعلى وجه الخصوص في تقارير التنمية البشرية العالمية، ومن حيث قفزات الناتج المحلي الإجمالي عاماً بعد آخر، بفضل التخطيط الجيد وتنوع مصادر الاستثمار ونمو القطاع الصناعي وارتفاع عدد المنشآت الصناعية، مما ينعكس إيجابياً وبمعدلات مرتفعة في مؤشرات النمو الاقتصادي.

وأغلب تقارير المنتديات الاقتصادية العالمية تضع الإمارات في المرتبة الأولى عربياً وخليجياً. وتحتل بلادنا مرتبة متقدمة في مؤشرات «الاقتصادات القائمة على الإبداع والابتكار»، ومنذ دخول الإمارات مرحلة الاقتصاد المعتمد على الابداع والابتكار في العام 2006 وهي تتفوق على تجارب دول عالمية مثل استراليا وإيطاليا واسبانيا ونيوزيلندا. ولدى قيادة الإمارات عزم للوصول إلى تحقيق رؤية شاملة تهدف إلى أن تكون الإمارات من أفضل دول العالم بحلول عام 2021.

ومن ضمن سلسلة طويلة من الإنجازات والأرقام القياسية والمراتب الأولى التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة في ظل الاتحاد وفي ظل تفعيل الفكر الاتحادي وتحويله إلى برنامج عمل، يمكن رصد بعض أو أحدث ما أوردته التقارير الدولية من المراكز المرموقة بهذا الشأن.

ففي أحدث تقرير دولي بشأن تصنيف الوجهات المفضلة للإقامة والمواطنة على مستوى العالم، حلّت دولة الإمارات العربية المتحدة في المركز الأول في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وفي المركز الخامس عشر عالمياً، وذلك ضمن التقرير الذي أطلقته مؤسسة «هينلي وشركاه»، الذي يحمل عنوان «تقرير الإقامة والمواطنة العالمية 2015».

ولم يكن هذا الإنجاز المشهود له عالمياً سهلاً، لأن دولة الإمارات العربية المتحدة تتمتع بالفعل ببنية تحتية متطورة في مجال الطيران، ومطاراتها اكتسبت المزيد من الشهرة على صعيد تطويع التكنولوجيا الأكثر تطوراً في العالم من أجل تسهيل حركة المسافرين في الدخول والخروج، ما جعل سفرهم تجربة رائعة، وليس أدل على هذه الحقيقة من النمو السريع والمتزايد في أعداد المسافرين عبر مطارات الدولة، فضلاً عن أن الإمارات لم تُغفِل ضمن خططها الاستثمارية قط التركيز على تطوير مشروعات البنى التحتية، التي تُعَدُّ واحدة من أفضل البنى التحتية في العالم، والتي كانت أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت إلى اختيارها لاستضافة «معرض إكسبو الدولي 2020».

كما لا ننسى أن تأهل الإمارات لهذا المستوى العالمي يأتي في ظل سنّ وتشريع القوانين والقرارات ذات العلاقة بحقوق الإنسان والمساواة وسيادة القانون، فضلاً عن خلق بيئة استثمارية نموذجية، بغية الوصول إلى المراتب الأولى المتقدمة في العالم خلال السنوات القليلة المقبلة.

ومن أحدث التقارير العالمية التي أشارت باهتمام إلى دولة الإمارات، التقرير الصادر مؤخراً، عن مؤتمر الأمم المتحدة

للتجارة والتنمية المعروف بـ»الأنكتاد»، بشأن تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر إلى الدول العربية، الذي وضع دولة الإمارات العربية المتحدة في المرتبة الأولى عربياً، كأكبر وجهة مستقبِلة للاستثمار المباشر خلال العام الماضي 2014، مما يدل على المكانة المتميزة التي باتت تحتلها دولة الإمارات العربية المتحدة كمركز إقليمي للاستثمار والأعمال، وهي المكانة التي تحققت لها من خلال جهد كبير بذلته على مدار السنوات والعقود الماضية، إلى أن نجحت في تطوير بناها التحتية وأطرها التشريعية، ومناخها الاستثماري بشكل عام، فأصبحت أكثر وجهات الاستثمار جاذبية على المستوى الإقليمي، وإحدى أكثرها تنافسية على المستوى العالمي.

وطبقاً لذلك التقرير الدولي فإن استحواذ دولة الإمارات العربية المتحدة على ما يناهز ربع الاستثمارات الأجنبية المتدفقة على العالم العربي يتسق مع تفوقها على جميع الدول العربية، واحتلالها المراتب الأولى في العديد من المؤشرات ذات العلاقة بالمناخ الاستثماري، وعلى رأسها بطبيعة الحال، مؤشرات «سهولة ممارسة الأعمال»، التي تصدر عن البنك الدولي ومؤسسة التمويل الدولية والمنتدى الاقتصادي العالمي، ومؤشرات التنافسية الدولية، التي تصدر عن كل من مركز التنافسية العالمي التابع لـلمعهد الدولي للتنمية الإدارية والمنتدى الاقتصادي العالمي. كما تحتل دولة الإمارات العربية المتحدة المرتبة الأولى عربياً في مؤشرات الابتكار وتمكين التجارة وكفاءة البنى التحتية وشبكات الطرق وكفاءة السياسات المالية الحكومية، إلى غير ذلك من مؤشرات عديدة.

ومن ضمنها كذلك ما أحرزته دولة الإمارات خلال السنوات الماضية من قفزات نوعية في تحسين مؤشراتها البيئية، الأمر الذي يأتي في إطار استحقاق تتويج أبوظبي عاصمة للبيئة العربية 2015.

ملخص القسم الثاني

كل كتابة تتأمل أبعاد شخصية المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، تبقى قاصرة وغير قادرة على الإحاطة بكل إنجازات هذا القائد الفذ. أما الكتابة عن الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- فتكون أكثر صعوبة، لأن علاقة زايد وتجربته العملية في إقامة كيان دولة الإمارات العربية المتحدة ستظل إعجازاً وقصة عظيمة تتوارثها الأجيال، وتحكي عن بطل أنجبته الإمارات، فكان وفياً لشعبها ولشواطئها وبواديها وصحاريها وجبالها، ولم يهدأ له بال إلا بعد أن أرسى اتحادها، ووضع الوطن على سكة السير بأمان نحو المستقبل.

وإذا كان الآخرون يشهدون بعظمة شخصية زايد باندهاش، فلا يملك شعب زايد وأبناؤه إلا الفخر بأنه مؤسس دولتهم وقائد مسيرتهم، والأب الذي نظر إلى الإماراتيين جميعاً بعدل ومحبة لأنه جعلهم في منزلة الأبناء، ولا بد أن يبادلوا ويخلدوا ذكراه بالوفاء وباستذكار جهوده العظيمة التي تكللت بتحقيق نهضة الإمارات وامتلاكها الروح التي تجعلها دوماً تسابق الزمن، لتحقيق المزيد من الازدهار والرخاء والسلام والاستقرار.

وقد تناولنا في هذا القسم الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد طيب الله ثراه، مؤسس الاتحاد الذي حمل على عاتقه تحويل الفكر النظري والحلم إلى حقيقة يعيشها الإماراتيون وينعمون بخيراتها منذ قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971. التاريخ الذي صنعه زايد وحافظ عليه إلى أن سلّم الراية برحيله يرحمه الله، وتسلمها من بعده خير خلف لخير سلف.

وفي مستهل القسم الثاني آثرنا تثبيت حقائق أساسية عن الإنجاز الاتحادي للشيخ زايد، واهتدينا بها في بقية أجزاء القسم ونحن نرصد تجليات ومظاهر الفكر الاتحادي عند القائد زايد. فتناولنا الفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله- والعوامل التي شكلت شخصيته. ثم مرحلة التمهيد للاتحاد والمواقف والخطوات العملية التي أوصلت إلى قيام الاتحاد، وصولاً إلى جهود تفعيل الفكر الاتحادي بعد قيام الدولة، وما امتازت به شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- وفلسفته للحكم والأقوال البارزة التي تسجل رؤيته للفكر الاتحادي، ثم الأفق الإقليمي والعربي للفكر الاتحادي عند الشيخ زايد -رحمه الله-، ذلك الأفق الذي أثمر سياسة خارجية متوازنة وعلاقات تعاون وحضور إماراتي في المحافل العربية والدولية جسّده

الشيخ زايد -رحمه الله- بحكمته وفكره الاتحادي العميق، وهو ما أفضى إلى قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

وأخيرا تطرقنا لنماذج من ثمار الفكر الاتحادي في الإمارات، والتي ستظل تذكرنا بأن كل ما تحقق هو بفضل الله ثم بفضل الشيخ زايد -رحمه الله- الذي زرع بذرة الاتحاد في تربة الإمارات وفي عقول أبنائها، فأثمرت شموخاً ومكتسبات وإنجازات، لم ولن تتوقف عن الارتقاء بالإمارات في كافة مجالات الحياة.

اتفاقيات الاتحاد بين الحكام

الأرشيف الوطني
NATIONAL ARCHIVES
وزارة شؤون الرئاسة
Ministry of Presidential Affairs

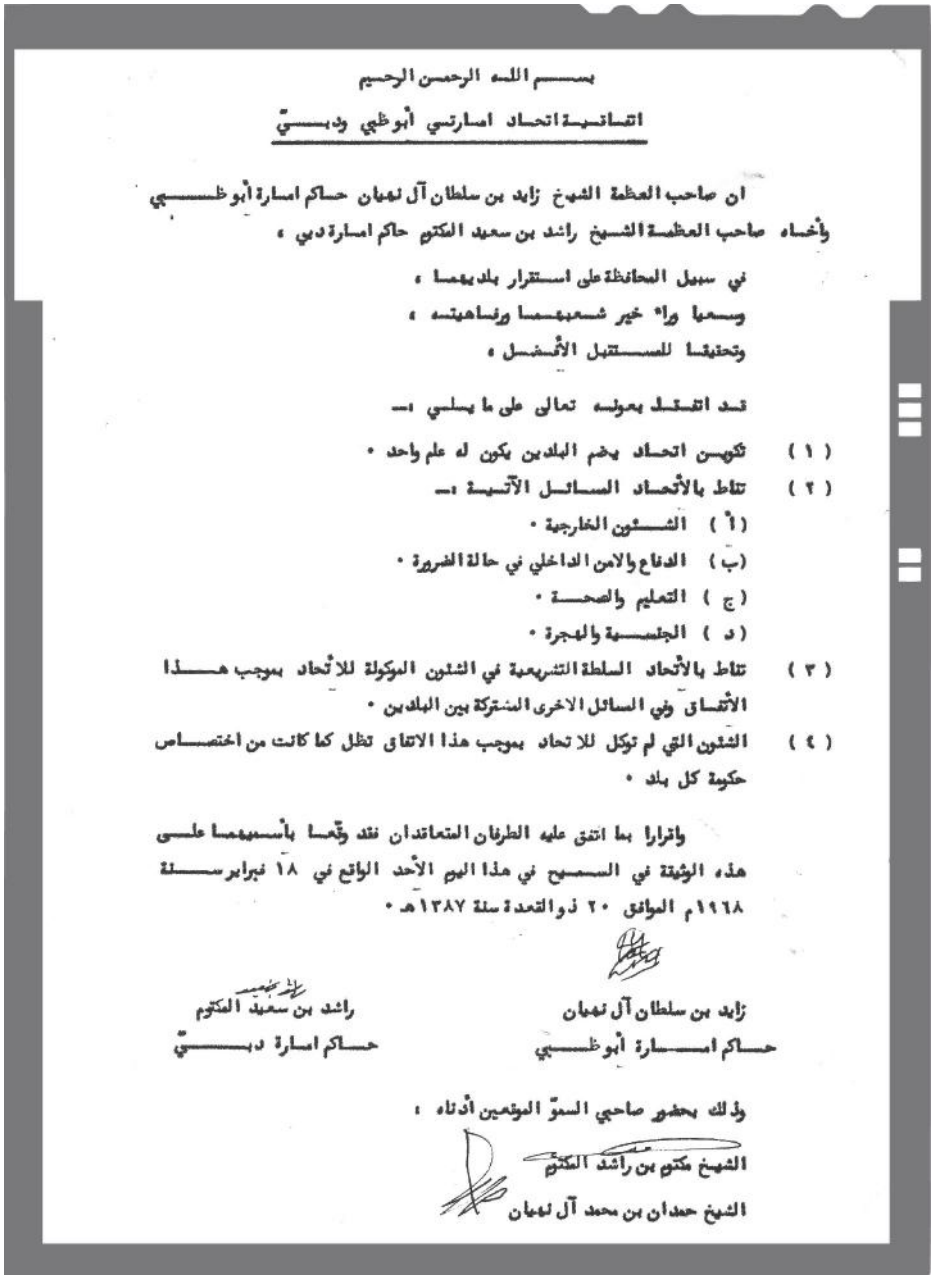

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاقية اتحاد امارتي أبوظبي ودبي

ان صاحب العظمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة أبوظبي
وأخاه صاحب العظمة الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم امارة دبي ،

في سبيل المحافظة على استقرار بلديهما ،
وسعيا وراء خير شعبيهما ورفاهيته ،
وتحقيقا للمستقبل الأفضل ،

قد اتفقا بعونه تعالى على ما يلي :-

(١) تكون اتحاد بين البلدين يكون له علم واحد .
(٢) تناط بالأتحاد المسائل الآتية :-
(أ) الشئون الخارجية .
(ب) الدفاع والامن الداخلي في حالة الضرورة .
(ج) التعليم والصحة .
(د) الجنسية والهجرة .
(٣) تناط بالأتحاد السلطة التشريعية في الشئون الموكولة للأتحاد بموجب هذا الأتفاق وفي المسائل الاخرى المشتركة بين البلدين .
(٤) الشئون التي لم توكل للاتحاد بموجب هذا الاتفاق تظل كما كانت من اختصاص حكومة كل بلد .

واقرارا بما اتفق عليه الطرفان المتعاقدان فقد وقّعا بأسميهما على هذه الوثيقة في السبت في هذا اليوم الأحد الواقع في ١٨ فبراير سنة ١٩٦٨م الموافق ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٨٧هـ .

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم امارة أبوظبي

راشد بن سعيد المكتوم
حاكم امارة دبي

وذلك بحضور صاحبي السمو الموقعين أدناه ،

الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم

الشيخ حمدان بن محمد آل نهيان

اتفاقية اتحاد بين إمارتي أبوظبي ودبي بتاريخ 18 فبراير 1968 الموافق 20 ذو القعدة سنة 1387هـ، بين الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم إمارة دبي -رحمهما الله-.

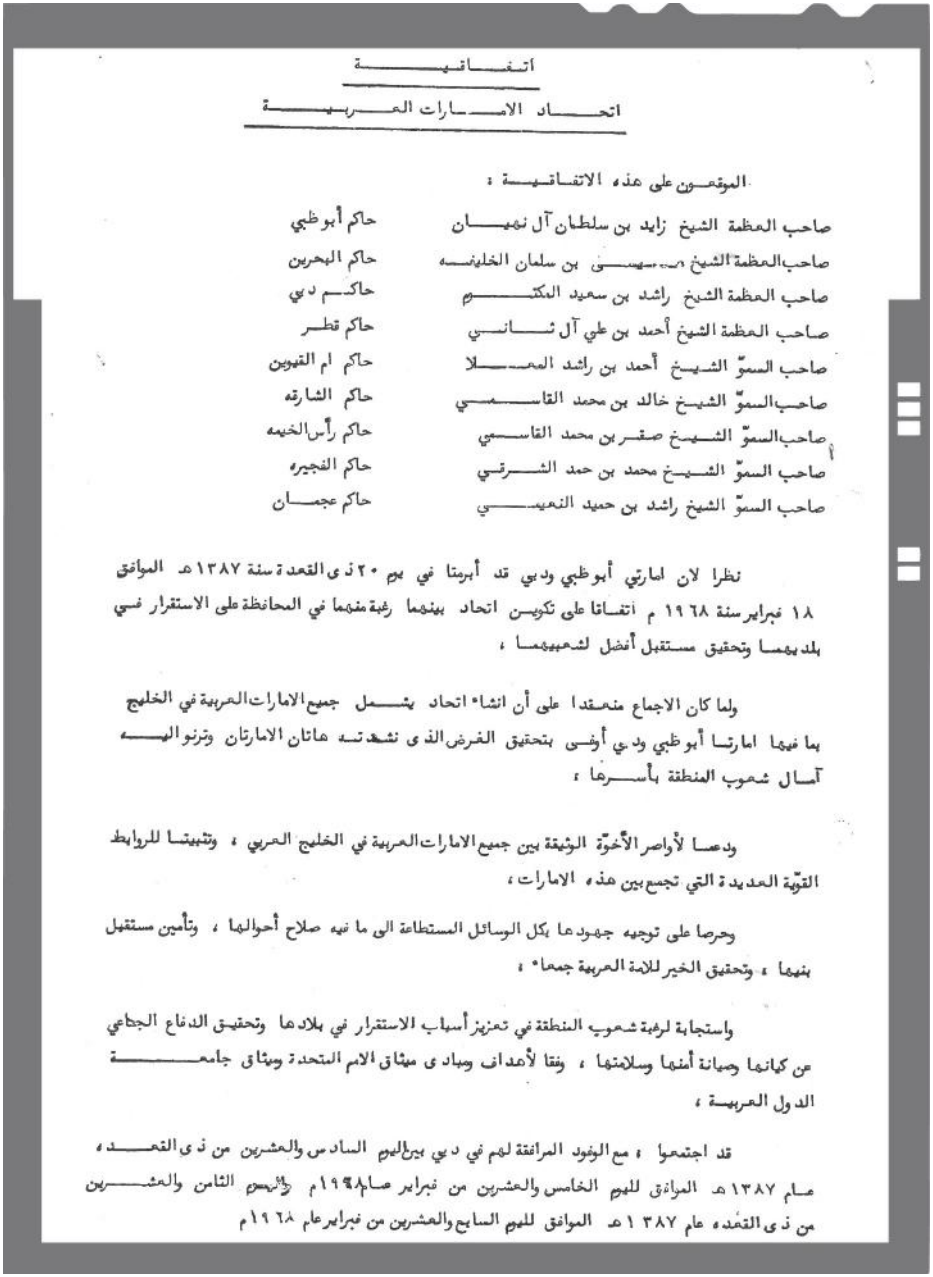

اتفاقيـــــة

اتحـــاد الامـــارات العـــربيـــة

الموقعـون على هذه الاتفـاقيـة :

صاحب العظمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيـــان	حاكم أبو ظبي
صاحب العظمة الشيخ عيســـى بن سلمان الخليفـه	حاكم البحرين
صاحب العظمة الشيخ راشد بن سعيد المكتـــوم	حاكـم دبي
صاحب العظمة الشيخ أحمد بن علي آل ثـــانـي	حاكم قطـر
صاحب السموّ الشيـخ أحمد بن راشد المعـــلا	حاكم ام القيوين
صاحب السموّ الشيـخ خالد بن محمد القاســمي	حاكم الشارقه
صاحب السموّ الشيـخ صقـر بن محمد القاسـمي	حاكم رأس الخيمه
صاحب السموّ الشيـخ محمد بن حمد الشـرقـي	حاكم الفجيره
صاحب السموّ الشيخ راشد بن حميد النعيمـــي	حاكم عجمـــان

نظرا لان امارتي أبوظبي ودبي قد أبرمتا في يوم ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ١٨ فبراير سنة ١٩٦٨ م اتفاقا على تكوين اتحاد بينهما رغبة منهما في المحافظة على الاستقرار في بلديهما وتحقيق مستقبل أفضل لشعبيهما ،

ولما كان الاجماع منعقدا على أن انشاء اتحاد يشـمل جميع الامارات العربية في الخليج بما فيها امارتا أبوظبي ودبي أوفى بتحقيق الغرض الذى نشدته هاتان الامارتان وترنو اليـه آمال شعوب المنطقة بأسـرها ،

ودعما لأواصر الأخوّة الوثيقة بين جميع الامارات العربية في الخليج العربي ، وتثبيتا للروابط القوّية العديدة التي تجمع بين هذه الامارات ،

وحرصا على توجيه جهودها بكل الوسائل المستطاعة الى ما فيه صلاح أحوالها ، وتأمين مستقبل بنيها ، وتحقيق الخير للامة العربية جمعاء ،

واستجابة لرغبة شعوب المنطقة في تعزيز أسباب الاستقرار في بلادها وتحقيق الدفاع الجماعي عن كيانها وصيانة أمنها وسلامتها ، وفقا لأهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة وميثاق جامعـــة الدول العربيـة ،

قد اجتمعوا ، مع الوفود المرافقة لهم في دبي بيرالبوم السادس والعشرين من ذى القعـــد ، عـام ١٣٨٧ هـ الموافق لليوم الخامس والعشرين من فبراير عام ١٩٦٨م والبوم الثامن والعشـــرين من ذى القعده عام ١٣٨٧ هـ الموافق لليوم السابع والعشرين من فبراير عام ١٩٦٨م

اتفاقية اتحاد الإمارات العربية سنة 1968 الموقعون عليها، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي، الشيخ عيسى بن سلمان الخليفة حاكم البحرين، الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي، الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر، الشيخ أحمد بن راشد المعلا حاكم أم القيوين، الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم الشارقة، الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة، الشيخ محمد بن حمد الشرقي حاكم الفجيرة، الشيخ راشد بن حميد النعيمي حاكم عجمان.

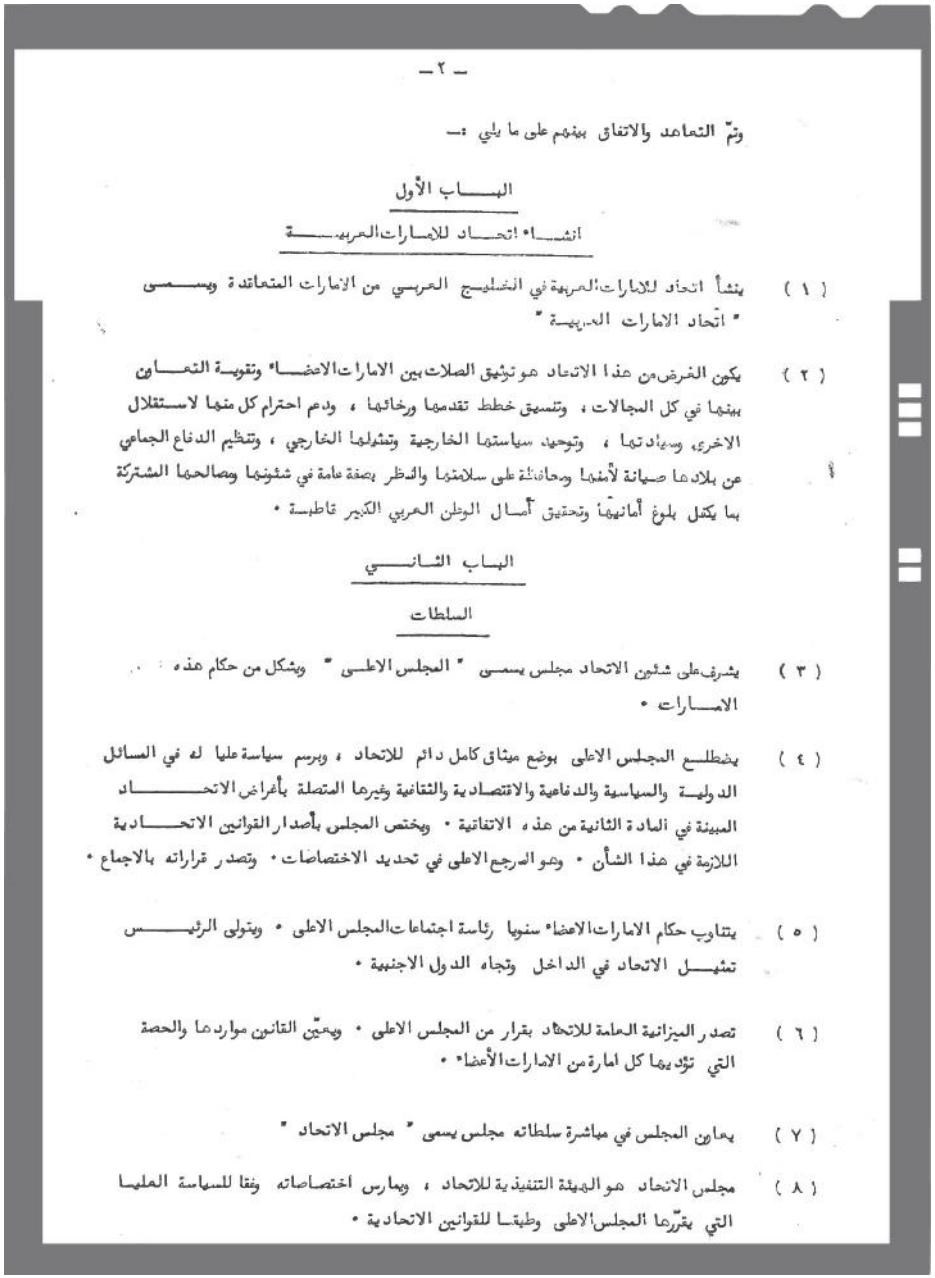

— ٢ —

وتمّ التعاهد والاتفاق بينهم على ما يلي :—

الباب الأول

انشاء اتحاد للامارات العربية

(١) ينشأ اتحاد للامارات العربية في الخليج العربي من الامارات المتعاقدة ويسمى " اتحاد الامارات العربية "

(٢) يكون الغرض من هذا الاتحاد هو توثيق الصلات بين الامارات الاعضاء وتقوية التعاون بينها في كل المجالات ، وتنسيق خطط تقدمها ورخائها ، ودعم احترام كل منها لاستقلال الاخرى وسيادتها ، وتوحيد سياستها الخارجية وتمثيلها الخارجي ، وتنظيم الدفاع الجماعي عن بلادها صيانة لأمنها ومحافظة على سلامتها والنظر بصفة عامة في شئونها ومصالحها المشتركة بما يكفل بلوغ أمانيها وتحقيق آمال الوطن العربي الكبير قاطبة .

الباب الثاني

السلطات

(٣) يشرف على شئون الاتحاد مجلس يسمى " المجلس الاعلى " ويشكل من حكام هذه الامارات .

(٤) يضطلع المجلس الاعلى بوضع ميثاق كامل دائم للاتحاد ، ويرسم سياسة عليا له في المسائل الدولية والسياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية وغيرها المتصلة بأغراض الاتحاد المبينة في المادة الثانية من هذه الاتفاقية . ويختص المجلس بأصدار القوانين الاتحادية اللازمة في هذا الشأن . وهو المرجع الاعلى في تحديد الاختصاصات . وتصدر قراراته بالاجماع .

(٥) يتناوب حكام الامارات الاعضاء سنويا رئاسة اجتماعات المجلس الاعلى . ويتولى الرئيس تمثيل الاتحاد في الداخل وتجاه الدول الاجنبية .

(٦) تصدر الميزانية العامة للاتحاد بقرار من المجلس الاعلى . ويعيّن القانون موارده والحصة التي تؤديها كل امارة من الامارات الأعضاء .

(٧) يعاون المجلس في مباشرة سلطاته مجلس يسمى " مجلس الاتحاد "

(٨) مجلس الاتحاد هو الهيئة التنفيذية للاتحاد ، ويمارس اختصاصاته وفقا للسياسة العليا التي يقررها المجلس الاعلى وطبقا للقوانين الاتحادية .

اتفاقية اتحاد الإمارات العربية
سنة 1968

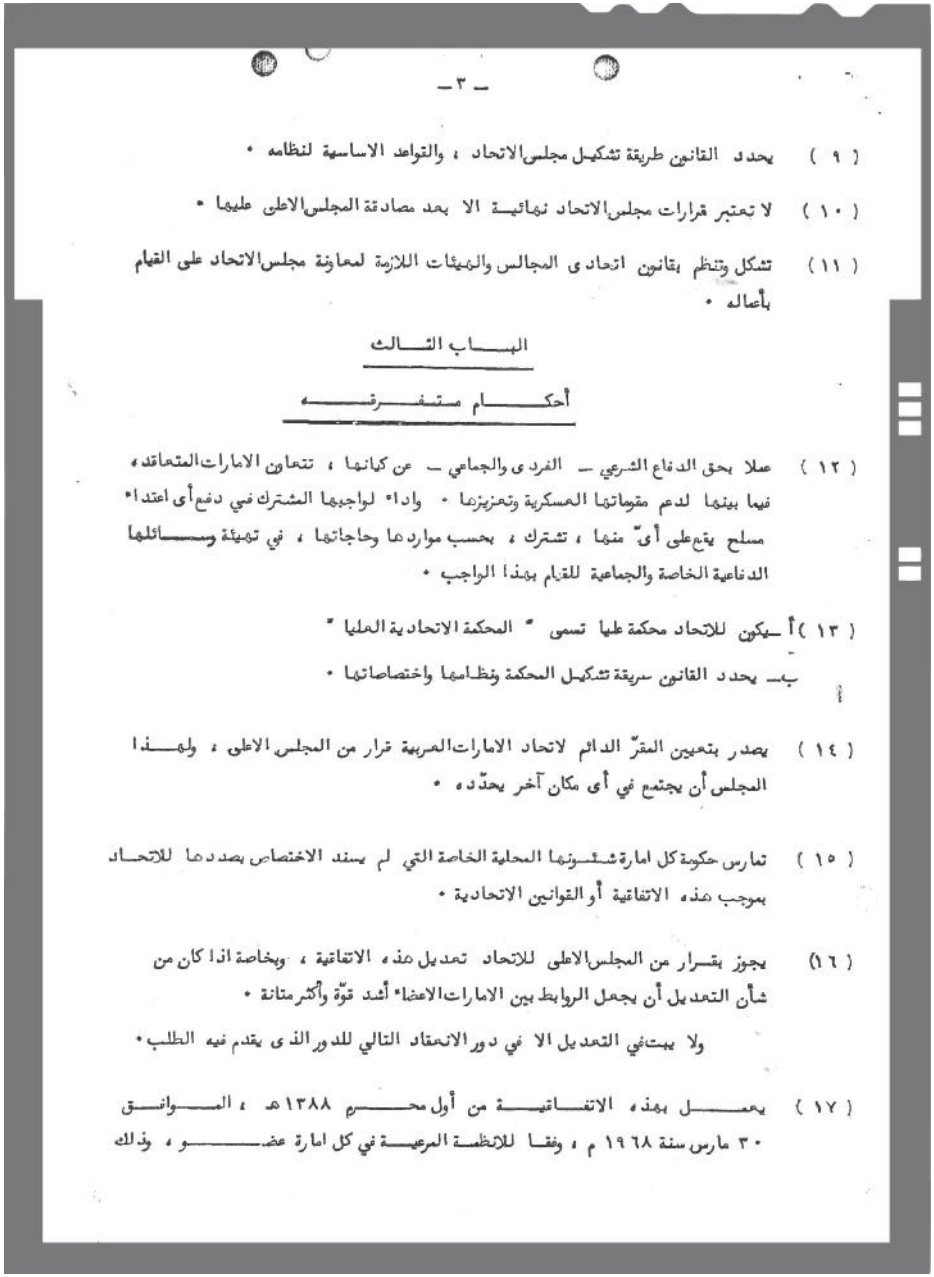

ـ ٣ ـ

(٩) يحدد القانون طريقة تشكيل مجلس الاتحاد ، والقواعد الاساسية لنظامه .

(١٠) لا تعتبر قرارات مجلس الاتحاد نهائية الا بعد مصادقة المجلس الاعلى عليها .

(١١) تشكل وتنظم بقانون اتحادي المجالس واللجان اللازمة لمعاونة مجلس الاتحاد على القيام بأعماله .

الباب الثالث

أحكام متفرقة

(١٢) عملا بحق الدفاع الشرعي ـ الفردي والجماعي ـ عن كيانها ، تتعاون الامارات المتعاقدة فيما بينها لدعم مقوماتها العسكرية وتعزيزها . وادا، لواجبها المشترك في دفع أي اعتداء مسلح يقع على أي منها ، تشترك ، بحسب مواردها وحاجاتها ، في تهيئة وسائلها الدفاعية الخاصة والجماعية للقيام بهذا الواجب .

(١٣) أ ـ يكون للاتحاد محكمة عليا تسمى " المحكمة الاتحادية العليا "

ب ـ يحدد القانون طريقة تشكيل المحكمة ونظامها واختصاصاتها .

(١٤) يصدر بتعيين المقر الدائم لاتحاد الامارات العربية قرار من المجلس الاعلى ، ولهذا المجلس أن يجتمع في أي مكان آخر يحدده .

(١٥) تمارس حكومة كل امارة شئونها المحلية الخاصة التي لم يسند الاختصاص بصددها للاتحاد بموجب هذه الاتفاقية أو القوانين الاتحادية .

(١٦) يجوز بقرار من المجلس الاعلى للاتحاد تعديل هذه الاتفاقية ، وبخاصة اذا كان من شأن التعديل أن يجعل الروابط بين الامارات الاعضاء أشد قوة وأكثر متانة .

ولا يبت في التعديل الا في دور الانعقاد التالي للدور الذي يقدم فيه الطلب .

(١٧) يعمل بهذه الاتفاقية من أول محرم ١٣٨٨ هـ ، الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ م ، وفقا للانظمة المرعية في كل امارة عضو ، وذلك

اتفاقية اتحاد الإمارات العربية
سنة 1968

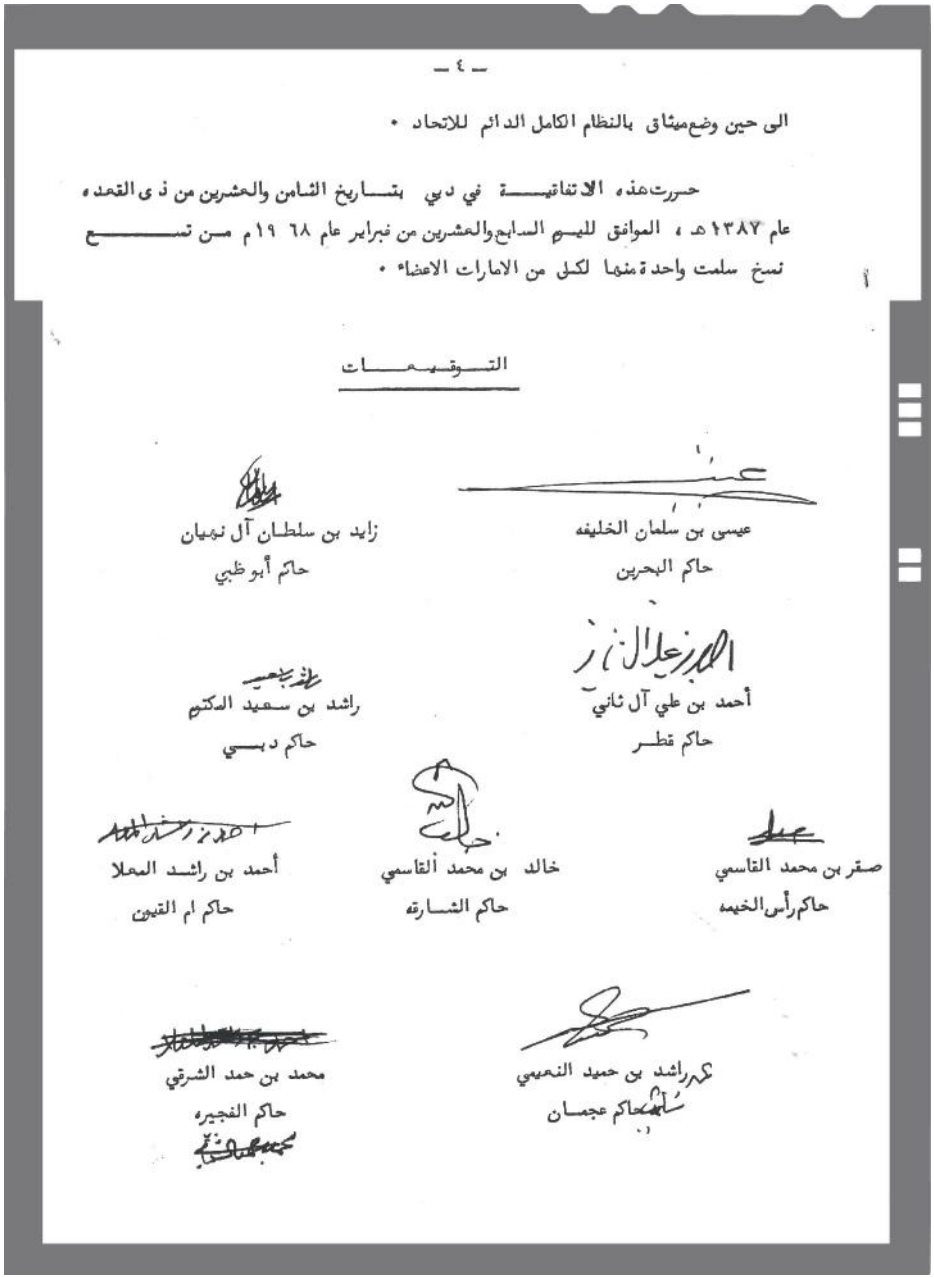

ـ ٤ ـ

الى حين وضع ميثاق بالنظام الكامل الدائم للاتحاد .

حررت هذه الاتفاقية في دبي بتاريخ الثامن والعشرين من ذى القعده عام ١٣٨٧ هـ ، الموافق لليوم السابع والعشرين من فبراير عام ١٩٦٨ م من تسع نسخ سلمت واحدة منها لكل من الامارات الاعضاء .

التوقيعات

عيسى بن سلمان الخليفه
حاكم البحرين

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم أبو ظبي

أحمد بن علي آل ثاني
حاكم قطر

راشد بن سعيد المكتوم
حاكم دبي

صقر بن محمد القاسمي
حاكم رأس الخيمه

خالد بن محمد القاسمي
حاكم الشارقه

أحمد بن راشد المعلا
حاكم ام القيوين

راشد بن حميد النعيمي
حاكم عجمان

محمد بن حمد الشرقي
حاكم الفجيره

اتفاقية اتحاد الإمارات العربية
سنة 1968

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاقية اتحاد امارتي ابوظبي والشارقة.

ان صاحب العظمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة ابوظبي واخاه صاحب العظمة الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم امارة الشارقة ،

في سبيل المحافظة على استقرار بلديهما.

وسعيا وراء خير شعبيهما ورفاهيته .

وتحقيقا لمستقبل افضل.

قد اتفقا بعونه تعالى على مايلي:

١ ـ تكوين اتحاد يضم البلدين يكون له علم واحد.

٢ ـ تناط بالاتحاد المسائل الاتية: ـ

أ ـ الشئون الخارجية

ب ـ الدفاع والامن الداخلي في حالة الضرورة.

ج ـ التعليم والصحة.

د ـ الجنسية والهجرة.

٣ ـ تناط بالاتحاد السلطة التشريعية في الشئون الموكولة للاتحاد بموجب هذا الاتفاق وفي المسائل الاخرى المشتركة بين البلدين.

٤ ـ الشئون التي لم توكل للاتحاد بموجب هذا الاتفاق تظل كما كانت من اختصاص حكومة كل بلد.

واقرارا بما اتفق عليه الطرفان المتعاقدان فقد وقعا باسميهما على هذه الوثيقة في اليوم الثامن والعشرين ذو الحجة ١٣٨٧ الموافق لليوم التاسع والعشرين مارس سنة ١٩٦٨.

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم ابوظبي

خالد بن محمد القاسمي
حاكم الشارقة

وشهد بذلك:

اتفاقية اتحاد بين إمارتي أبوظبي والشارقة بتاريخ 28 مارس 1968 الموافق 29 ذو الحجة 1387هـ، بين الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي والشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة -رحمهما الله-.

بسم الله الرحمن الرحيم

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم ابوظبي

الرقم .....
التاريخ .....

اتفاقية اتحاد امارتي ابوظبي وام القيوين .

ان صاحب العظمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة ابوظبي
واخاه صاحب العظمة الشيخ احمد بن راشد المعلا حاكم امارة ام القيوين،
في سبيل المحافظة على استقرار بلديهما ،
وسعيا وراء خير شعبيهما ورفاهيتهما ،
وتحقيقا للمستقبل الافضل ،
قد اتفقا بحوله تعالى على ما يلي :

١ ـ تكوين اتحاد يضم البلدين يكون له علم واحد

٢ ـ تناط بالاتحاد المسائل الاتية :

أ ـ الشئون الخارجية

ب ـ الدفاع والامن الداخلي في حالة الضرورة

ج ـ التعليم والصحة .

د ـ الجنسية والهجرة .

٣ ـ تناط بالاتحاد السلطة التشريعية في الشئون الموكلة للاتحاد بموجب
هذا الاتفاق وفي المسائل الاخرى المشتركة بين البلدين .

٤ ـ الشئون التي لم توكل للاتحاد بموجب هذا الاتفاق تظل كما كانت من
اختصاص حكومة كل بلد .

صدر بهذا اليوم الاربعاء الرابع والعشرين من ابريل عام ١٩٦٨م
الموافق للسادس والعشرين من شهر محرم ١٣٨٨ هـ .

احمد بن راشد المعلا
نائب حاكم ام القيوين

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم ابوظبي

التعليق: اتفاقية اتحاد بين إمارتي أبوظبي وام القيوين بتاريخ 24 ابريل 1968 الموافق 26 محرم 1388هـ، بين الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي والشيخ أحمد بن راشد المعلا نائب حاكم إمارة ام القيوين -رحمهما الله-.

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاقية اتحاد امارتي
ابوظبي والفجيرة

ان صاحب الحظة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة ابوظبي واخاه صاحب الحظة الشيخ محمد بن حمد الشرقي حاكم امارة الفجيرة ،

في سبيل المحافظه على استقرار بلديهما

وسعيا وراء خير شعبيهما ورفاهيته .

وتحقيقا لمستقبل افضل .

قد اتفقا بعون تعالى على مايلي :

١ ـ تكوين اتحاد يضم البلدين ويكون له علم واحد .

٢ ـ تناط بالاتحاد المسائل الاتية : ـ

أ ـ الشئون الخارجية التي اوكلها الشيخ محمد بن حمد الشرقي لاخية الشيخ زايد بن سلطان .

ب ـ الدفاع والامن الداخلي في حالة الضرورة .

ج ـ التعليم والصحة .

د ـ الجنسية والهجرة .

٣ ـ تناط بالاتحاد السلطة التشريعية في الشئون الموكولة للاتحاد بموجب هذا الاتفاق وفي المسائل الاخرى المشتركة بين البلدين .

٤ ـ الشئون التي لم توكل للاتحاد بموجب هذا الاتفاق تظل كما كانت من اختصاص حكومة كل بلد .

واقرارا بما اتفق عليه الطرفان المتعاقدان فقد وقعا باسميهما على هذه الوثيقة في مدينة العين في هذا اليوم السبت الثالث والعشرين من مارس ١٩٦٨ الموافق لليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة ١٣٨٧ هـ .

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم امارة ابوظبي

محمد بن حمد الشرقي
حاكم امارة الفجيرة

اتفاقية اتحاد بين إمارتي أبوظبي والفجيرة بتاريخ 23 مارس 1968 الموافق 24 ذي الحجة 1387هـ، بين الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي والشيخ محمد بن حمد الشرقي حاكم إمارة الفجيرة -رحمهما الله-.

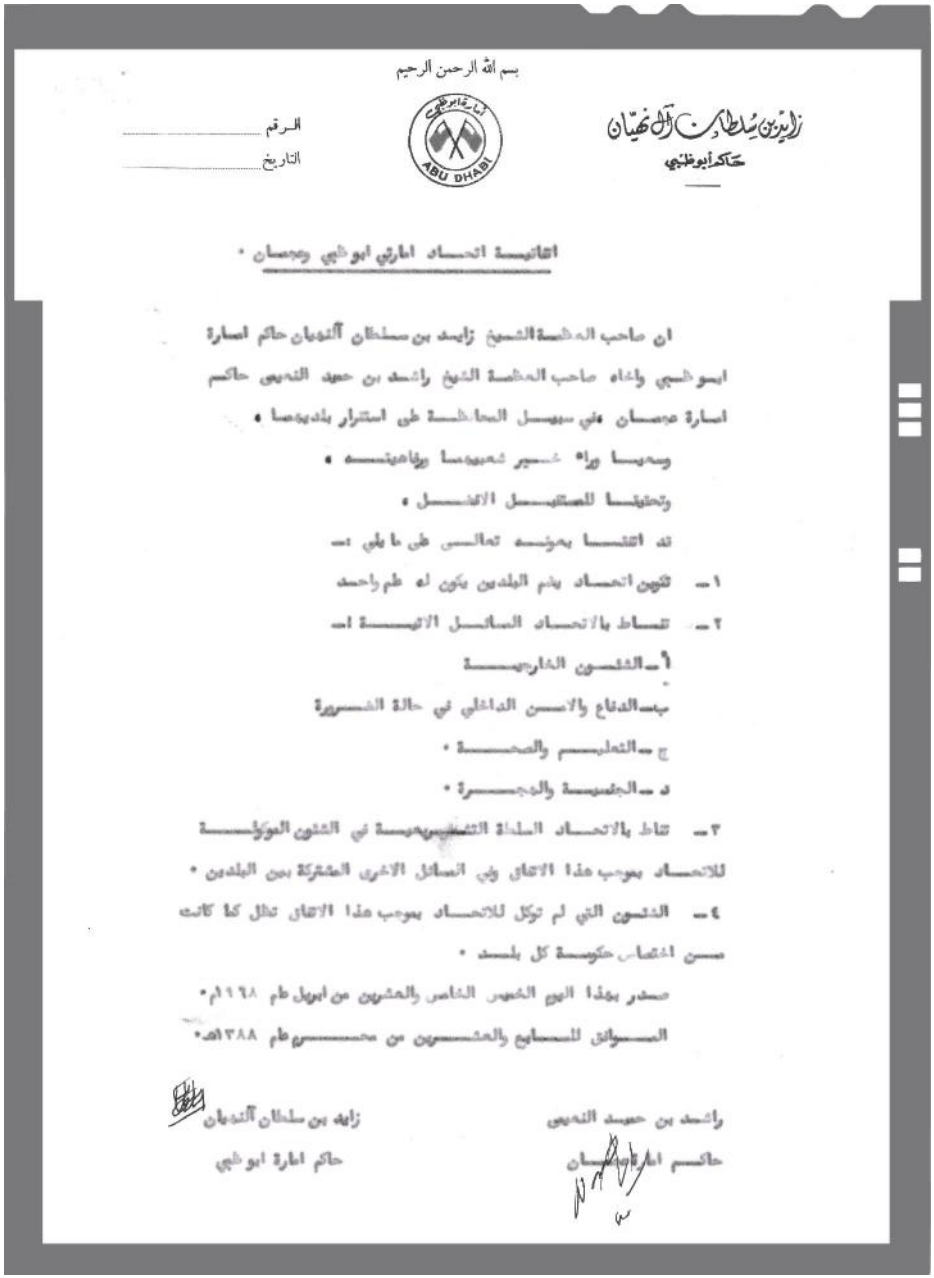

بسم الله الرحمن الرحيم

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم أبوظبي

الرقم .....
التاريخ .....

اتفاقية اتحاد امارتي ابو ظبي وعجمان .

ان صاحب المعظمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة ابو ظبي واخاه صاحب المعظمة الشيخ راشد بن حميد النعيمي حاكم امارة عجمان ،في سبيل المحافظة على استقرار بلديهما ،

وحبا وراء خير شعبيهما ورفاهيته ،

وتحقيقا للمستقبل الافضل ،

قد اتفقا بعونه تعالى على ما يلي :-

١- تكون اتحاد بين البلدين يكون له علم واحد

٢- تناط بالاتحاد المسائل الاتية :-

أ- الشئون الخارجية

ب- الدفاع والامن الداخلي في حالة الضرورة

ج- التعليم والصحة .

د- الجنسية والهجرة .

٣- تناط بالاتحاد السلطة التشريعية في الشئون الموكلة للاتحاد بموجب هذا الاتفاق وفي المسائل الاخرى المشتركة بين البلدين .

٤- الشئون التي لم توكل للاتحاد بموجب هذا الاتفاق تظل كما كانت من اختصاص حكومة كل بلد .

صدر بهذا اليوم الخمس الخامس والعشرين من ابريل عام ١٩٦٨م .

الموافق للسابع والعشرين من محرم عام ١٣٨٨هـ .

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم امارة ابو ظبي

راشد بن حميد النعيمي
حاكم امارة عجمان

اتفاقية اتحاد بين إمارتي أبوظبي وعجمان بتاريخ 25 ابريل 1968 الموافق 27 محرم 1388هـ، بين الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي والشيخ راشد بن حميد النعيمي حاكم إمارة عجمان -رحمهما الله-.

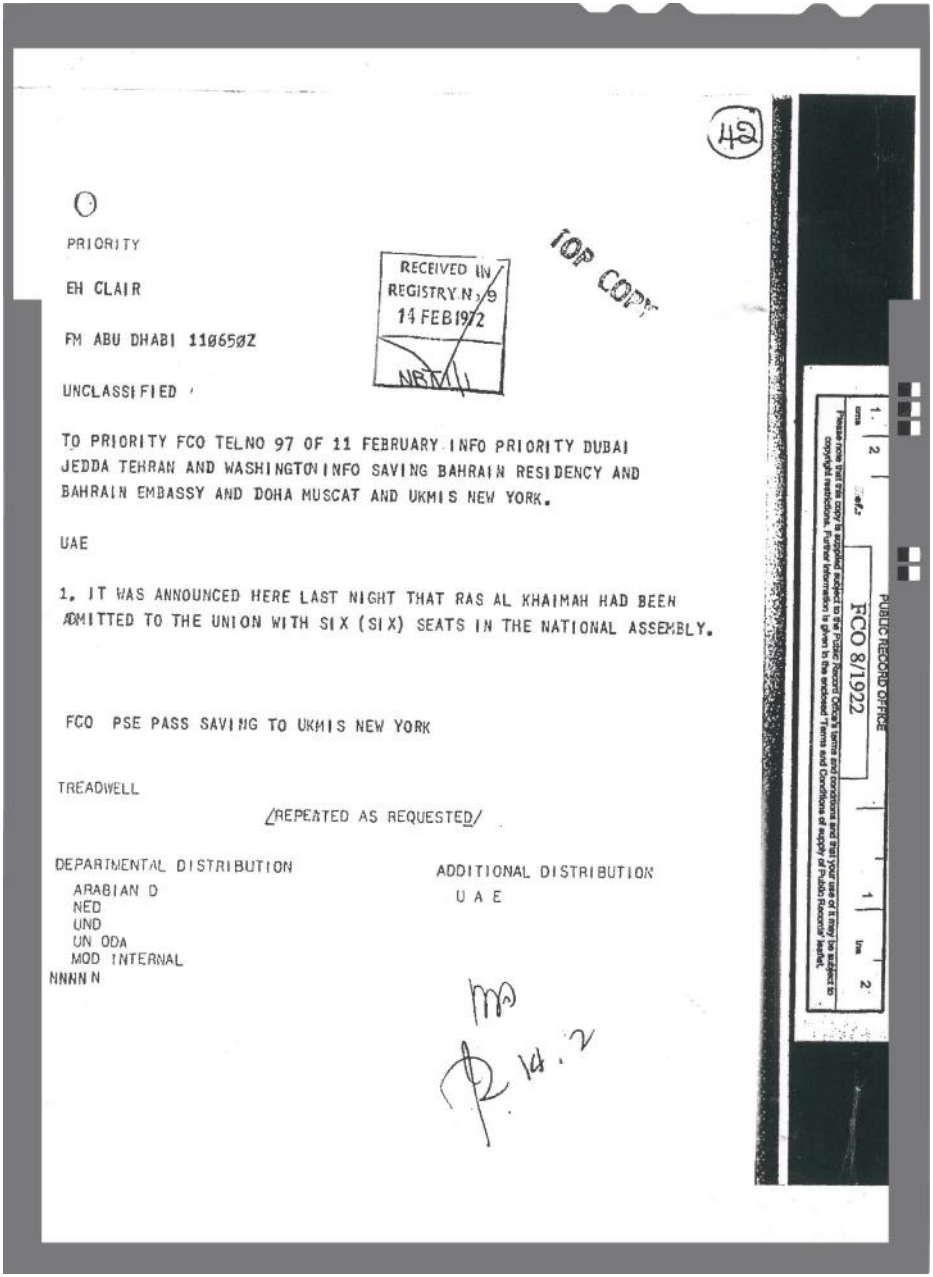

42

PRIORITY

TOP COPY

RECEIVED IN REGISTRY N:9 14 FEB 1972

EH CLAIR

FM ABU DHABI 110650Z

UNCLASSIFIED

TO PRIORITY FCO TELNO 97 OF 11 FEBRUARY INFO PRIORITY DUBAI JEDDA TEHRAN AND WASHINGTON INFO SAVING BAHRAIN RESIDENCY AND BAHRAIN EMBASSY AND DOHA MUSCAT AND UKMIS NEW YORK.

UAE

1. IT WAS ANNOUNCED HERE LAST NIGHT THAT RAS AL KHAIMAH HAD BEEN ADMITTED TO THE UNION WITH SIX (SIX) SEATS IN THE NATIONAL ASSEMBLY.

FCO PSE PASS SAVING TO UKMIS NEW YORK

TREADWELL

/REPEATED AS REQUESTED/

DEPARTMENTAL DISTRIBUTION
ARABIAN D
NED
UND
UN ODA
MOD INTERNAL
NNNN N

ADDITIONAL DISTRIBUTION
U A E

14.2

PUBLIC RECORD OFFICE FCO 8/1922

انضمام رأس الخيمة إلى الاتحاد عام 1972

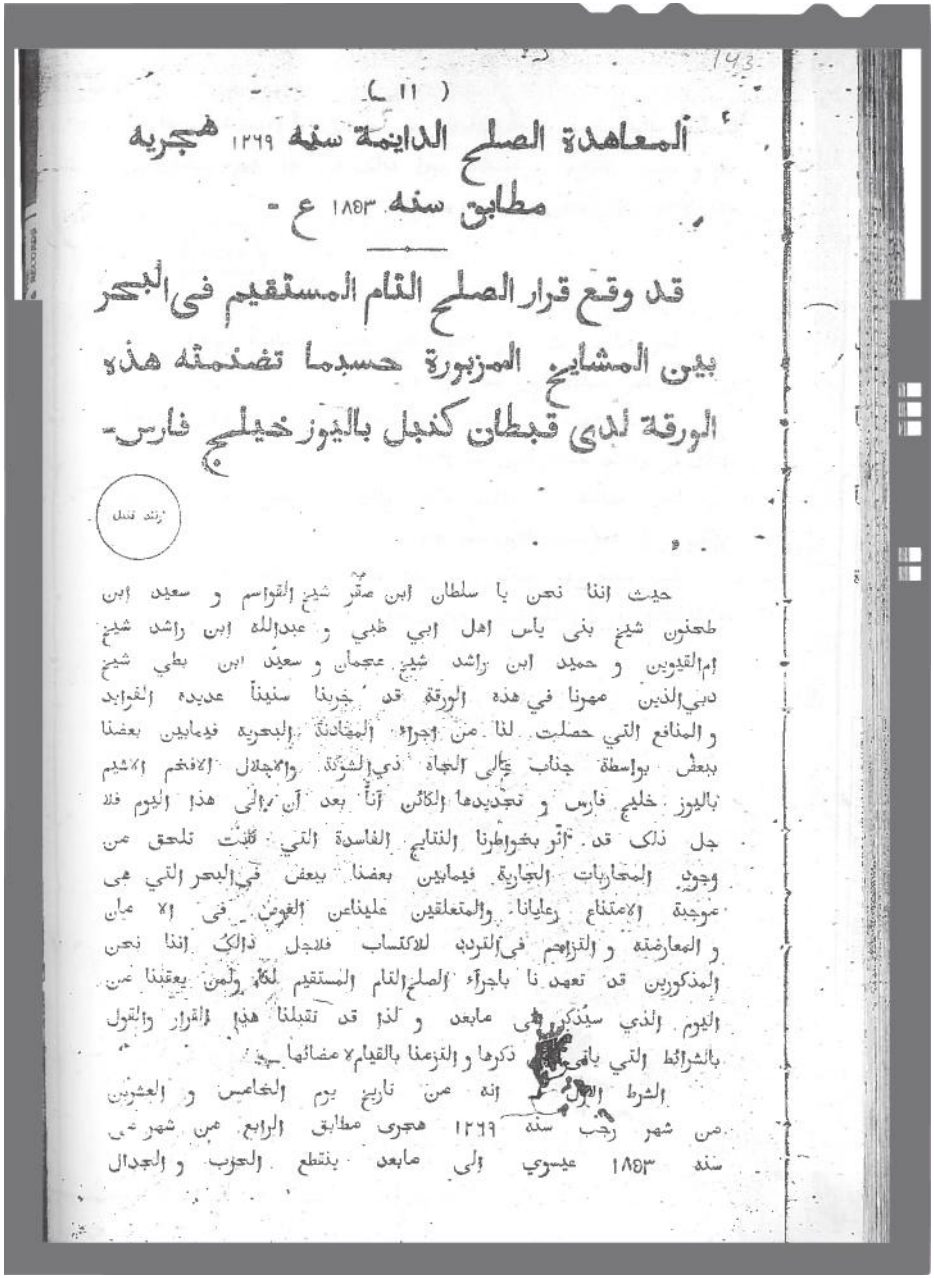

(١١)

المعاهدة الصلح الدايمة سنه ١٢٦٩ هجريه
مطابق سنه ١٨٥٣ ع -

قد وقع قرار الصلح التام المستقيم فى البحر
بين المشايخ المزبورة حسبما تضمنته هذه
الورقة لدى قبطان كنبل باليوز خيلج فارس-

حيث اننا نحن با سلطان ابن صقر شيخ القواسم و سعيد ابن
طحنون شيخ بنى ياس اهل ابي ظبي و عبدالله ابن راشد شيخ
ام القيوين و حميد ابن راشد شيخ عجمان و سعيد ابن بطي شيخ
دبي الذين ممرنا في هذه الورقة قد خبرنا سنيناً عديده الفوايد
و المنافع التي حصلت لنا من اجراء المهادنة البحريه فيمابين بعضنا
ببعض بواسطة جناب عالى الجاه ذي الشوكة والاجلال الافخم الاشيم
باليوز خليج فارس و تجديدها الكائن آناً بعد آن والى هذا اليوم فلا
جل ذلك قد اثر بخواطرنا النتايج الفاسدة التي قلبت تلحق من
وجود المحاربات الجارية فيمابين بعضنا ببعض في البحر التي هى
موجبة الامتناع رعايانا والمتعلقين علينا من الغوص في الا مان
و المعارضته و التزاحم في التردد للاكتساب فلاجل ذالك اننا نحن
المذكورين قد تعهدنا باجراء الصلح التام المستقيم لكل ولمن يعقبنا من
اليوم الذي سيذكر الى مابعد و لذا قد تقبلنا هذا القرار والقول
بالشرائط التي باتى ذكرها و التزمنا بالقيام بمضامنها -

الشرط الاول انه من تاريخ يوم الخامس و العشرين
من شهر رجب سنه ١٢٦٩ هجرى مطابق الرابع من شهر ني
سنه ١٨٥٣ عيسوي الى مابعد ينقطع الحرب و الجدال

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

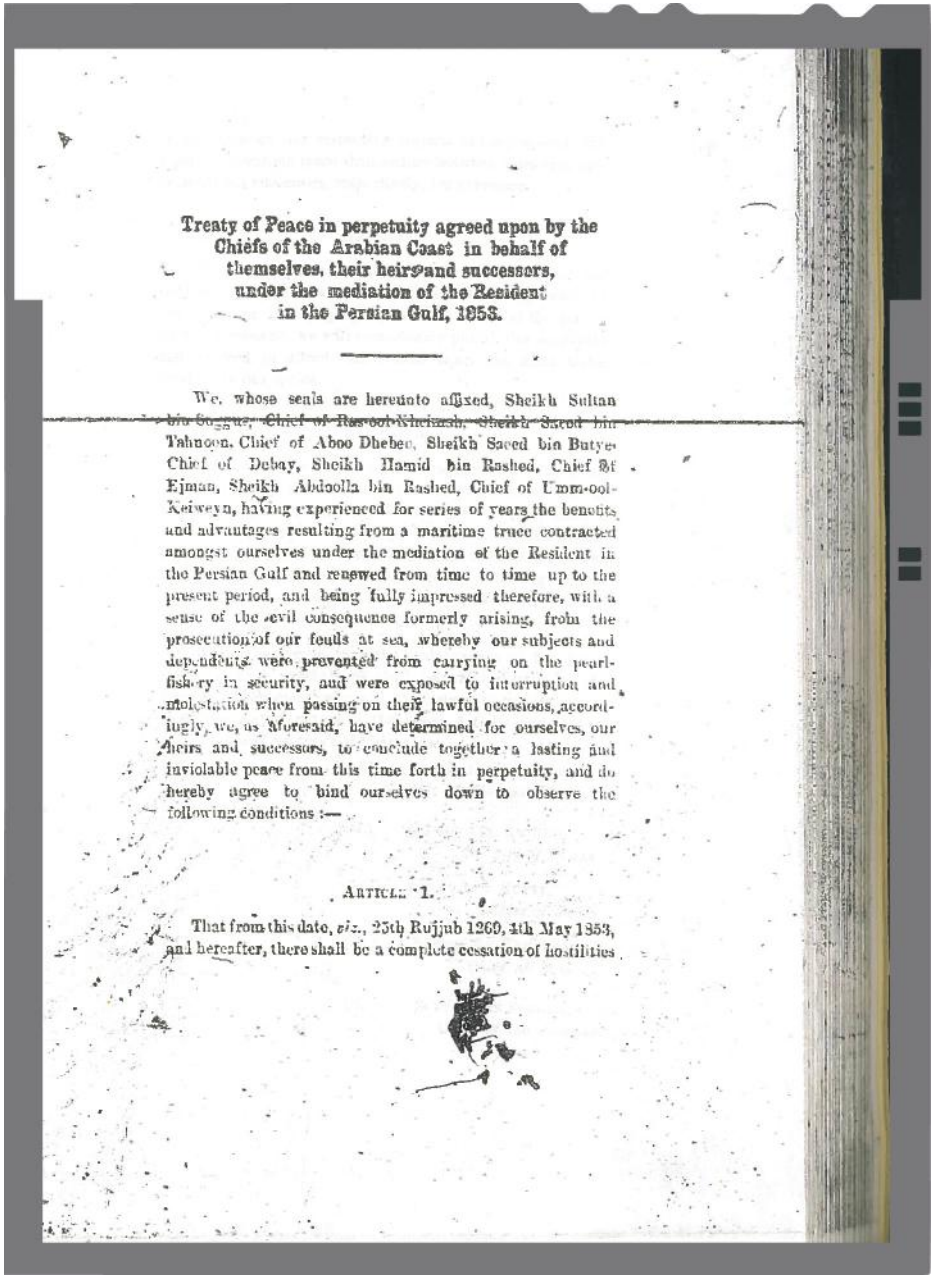

Treaty of Peace in perpetuity agreed upon by the Chiefs of the Arabian Coast in behalf of themselves, their heirs and successors, under the mediation of the Resident in the Persian Gulf, 1853.

We, whose seals are hereunto affixed, Sheikh Sultan bin Suggur, Chief of Ras-ool-Kheimah, Sheikh Saeed bin Tahnoon, Chief of Aboo Dhebee, Sheikh Saeed bin Butye Chief of Debay, Sheikh Hamid bin Rashed, Chief of Ejman, Sheikh Abdoolla bin Rashed, Chief of Umm-ool-Keiweyn, having experienced for series of years the benefits and advantages resulting from a maritime truce contracted amongst ourselves under the mediation of the Resident in the Persian Gulf and renewed from time to time up to the present period, and being fully impressed therefore, with a sense of the evil consequence formerly arising, from the prosecution of our feuds at sea, whereby our subjects and dependents were prevented from carrying on the pearl-fishery in security, and were exposed to interruption and molestation when passing on their lawful occasions, accordingly, we, as aforesaid, have determined for ourselves, our heirs and successors, to conclude together a lasting and inviolable peace from this time forth in perpetuity, and do hereby agree to bind ourselves down to observe the following conditions :—

ARTICLE 1.

That from this date, *viz.*, 25th Rujjub 1269, 4th May 1853, and hereafter, there shall be a complete cessation of hostilities

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

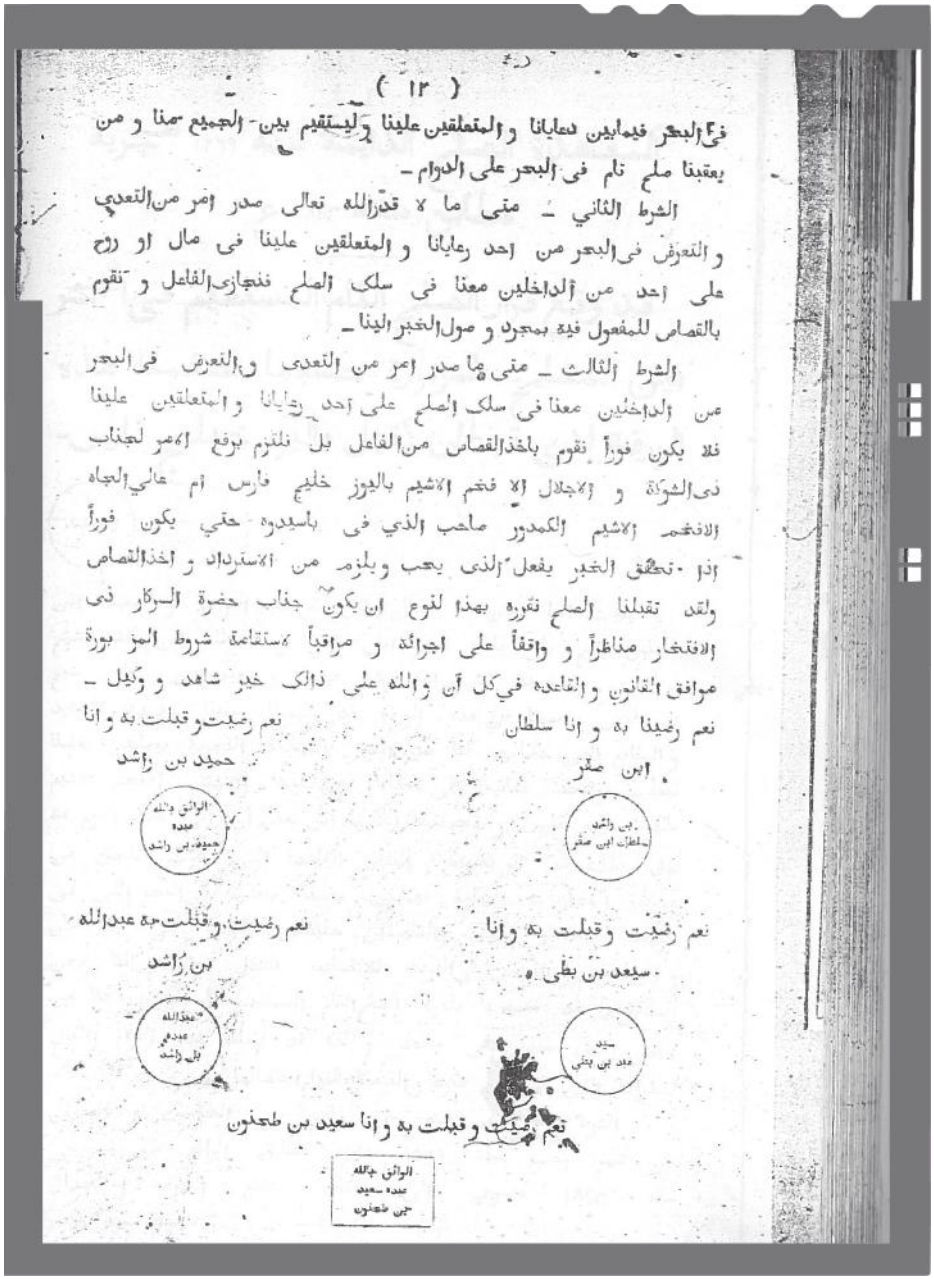

(١٢)

في البحر فيمابين رعايانا و المتعلقين علينا و ليستقيم بين الجميع منا و من يعقبنا صلح تام في البحر على الدوام -

الشرط الثاني - متى ما قدر الله تعالى صدر امر من التعدي و التعرض في البحر من احد رعايانا و المتعلقين علينا في مال او روح على احد من الداخلين معنا في سلك الصلح فنجازي الفاعل و نقوم بالقصاص للمفعول فيه بمجرد وصول الخبر الينا -

الشرط الثالث - متى ما صدر امر من التعدي و التعرض في البحر من الداخلين معنا في سلك الصلح على احد رعايانا و المتعلقين علينا فلا يكون فوراً نقوم باخذ القصاص من الفاعل بل نلتزم برفع الامر لجناب ذي الشوكة و الاجلال الا فخم الاشيم باليوز خليج فارس ام عالي الجاه الافخم الاشيم الكمدور صاحب الذي في باسيدوه حتي يكون فوراً اذا تحقق الخبر يفعل الذي يجب و يلزم من الاسترداد و اخذ القصاص ولقد تقبلنا الصلح نقرره بهذا النوع ان يكون جناب حضرة السركار ذي الافتخار مناظراً و واقفاً على اجرائه و مراقباً لاستقامة شروط المزبورة موافق القانون و القاعده في كل آن و الله على ذالك خير شاهد و وكيل -

نعم رضينا به و انا سلطان ابن صقر

نعم رضيت و قبلت به و انا حميد بن راشد

نعم رضيت و قبلت به و انا سعيد بن بطي

نعم رضيت و قبلت به عبدالله بن راشد

نعم رضيت و قبلت به و انا سعيد بن طحنون

المعاهدات بين الحكومة البريطانية وزعماء الساحل المتصالح

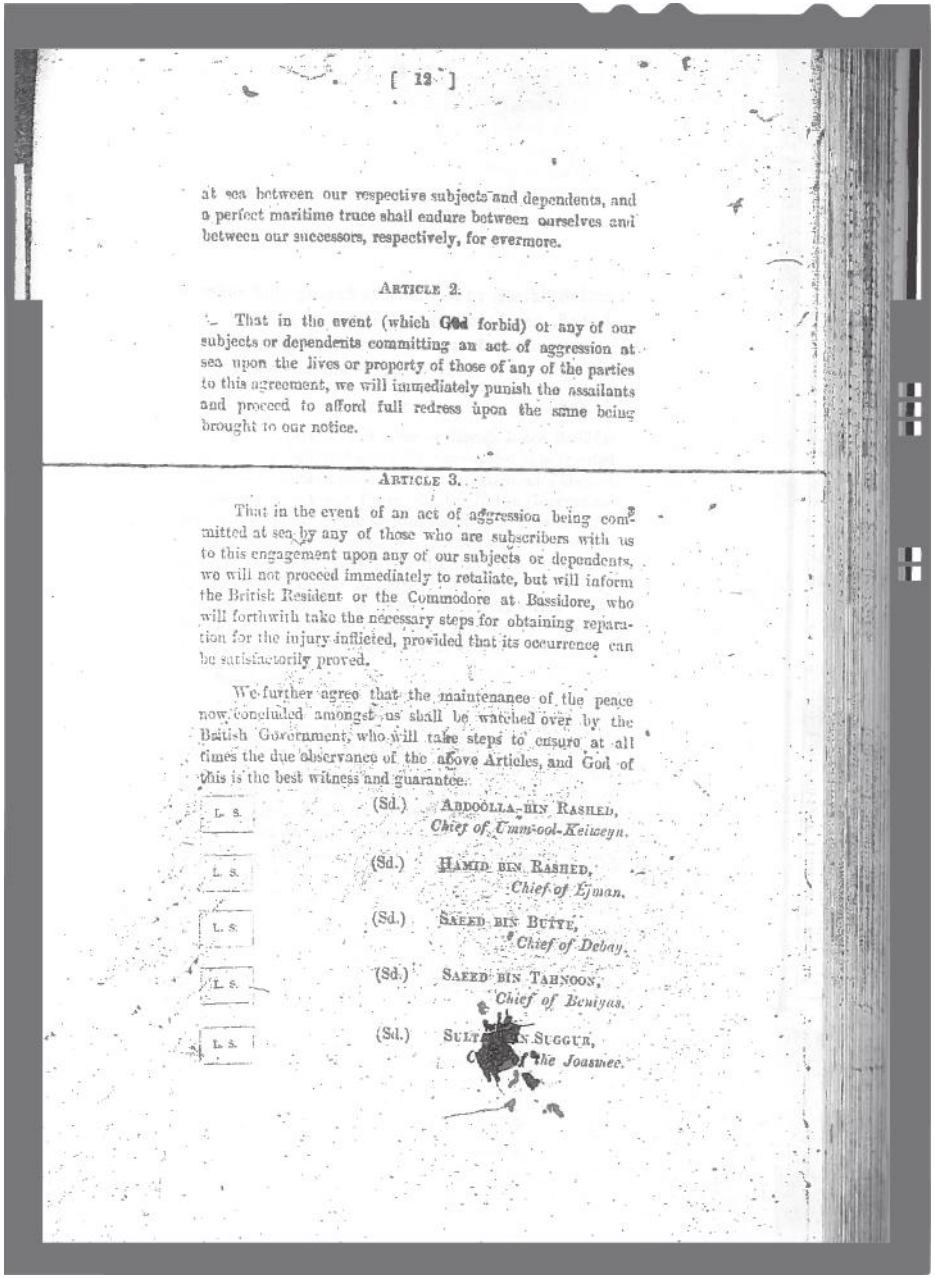

[12]

at sea between our respective subjects and dependents, and a perfect maritime truce shall endure between ourselves and between our successors, respectively, for evermore.

ARTICLE 2.

That in the event (which God forbid) of any of our subjects or dependents committing an act of aggression at sea upon the lives or property of those of any of the parties to this agreement, we will immediately punish the assailants and proceed to afford full redress upon the same being brought to our notice.

ARTICLE 3.

That in the event of an act of aggression being committed at sea by any of those who are subscribers with us to this engagement upon any of our subjects or dependents, we will not proceed immediately to retaliate, but will inform the British Resident or the Commodore at Bassidore, who will forthwith take the necessary steps for obtaining reparation for the injury inflicted, provided that its occurrence can be satisfactorily proved.

We further agree that the maintenance of the peace now concluded amongst us shall be watched over by the British Government, who will take steps to ensure at all times the due observance of the above Articles, and God of this is the best witness and guarantee.

L. S. (Sd.) ABDOOLLA BIN RASHED, *Chief of Umm-ool-Keiweyn.*

L. S. (Sd.) HAMID BIN RASHED, *Chief of Ejman.*

L. S. (Sd.) SAEED BIN BUTTE, *Chief of Debay.*

L. S. (Sd.) SAEED BIN TAHNOON, *Chief of Beniyas.*

L. S. (Sd.) SULT[illegible]N SUGGUR, *C[illegible] of the Joasmee.*

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

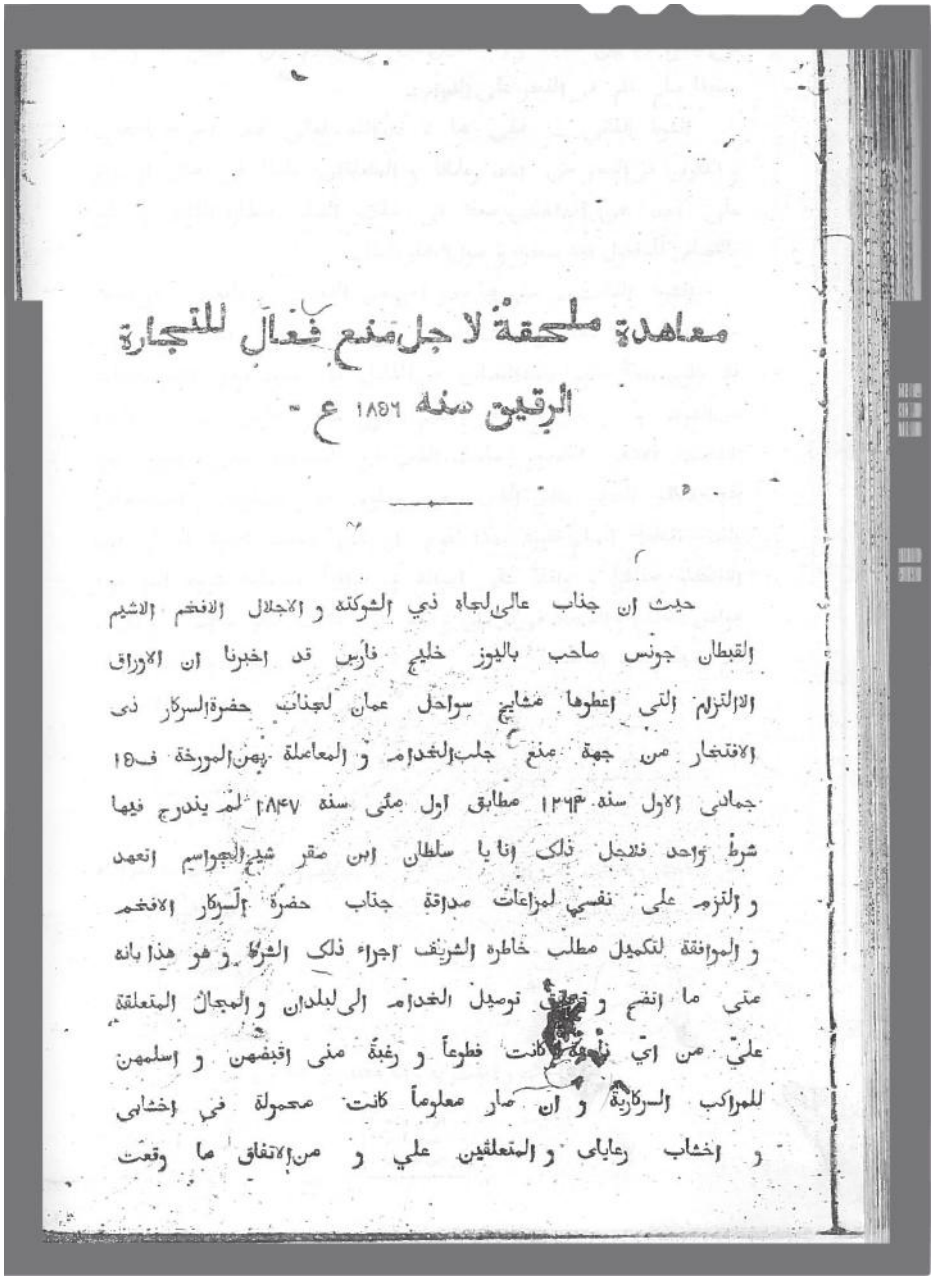

معاهدة ملحقة لاجل منع فعال للتجارة

الرقيق سنه ١٨٥٦ ع -

حيث ان جناب عالي الجاه ذي الشوكته و الاجلال الافخم الاشيم
القبطان جونس صاحب باليوز خليج فارس قد اخبرنا ان الاوراق
الالتزام التي اعطوها مشايخ سواحل عمان لجناب حضرة السركار ذى
الافتخار من جهة منع جلب الخدام و المعاملة بهن المورخة ف ١٥
جمادى الاول سنه ١٢٦٣ مطابق اول مئى سنه ١٨٤٧ لم يندرج فيها
شرط واحد فلاجل ذلك انا يا سلطان ابن صقر شيخ الجواسم اتعهد
و التزم على نفسي لمراعات صداقة جناب حضرة السركار الافخم
و الموافقة لتكميل مطلب خاطره الشريف اجراء ذلك الشرط و هو هذا بانه
متى ما اتضح و تحقق توصيل الخدام الى البلدان و المجان المتعلقة
علي من اي نوعة كانت فطوعاً و رغبة منى اقبضهن و اسلمهن
للمراكب السركارية و ان صار معلوماً كانت محمولة في اخشابى
و اخشاب رعاياى و المتعلقين علي و من الاتفاق ما وقعت

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

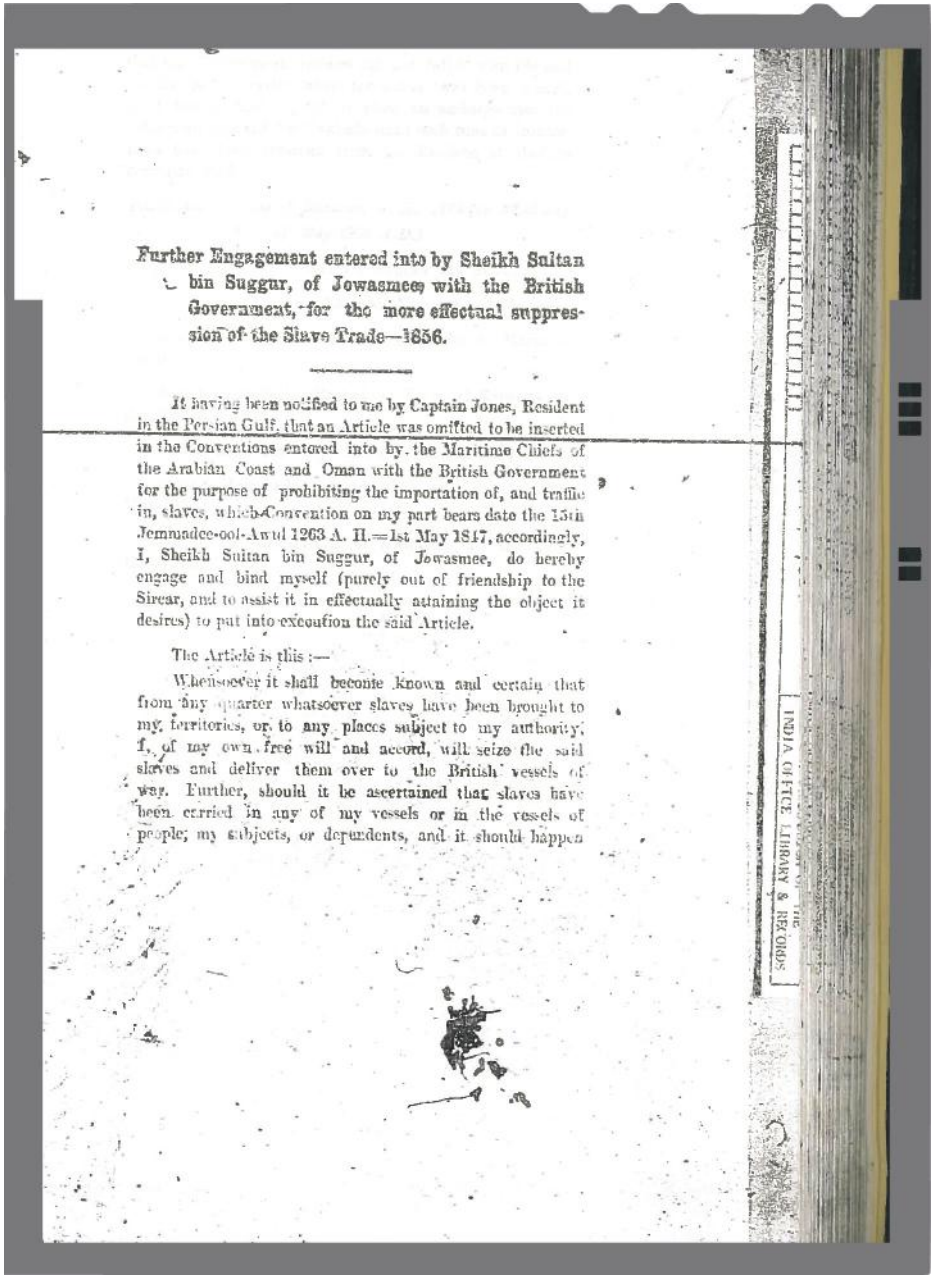

Further Engagement entered into by Sheikh Sultan bin Suggur, of Jowasmee, with the British Government, for the more effectual suppression of the Slave Trade—1856.

It having been notified to me by Captain Jones, Resident in the Persian Gulf, that an Article was omitted to be inserted in the Conventions entered into by the Maritime Chiefs of the Arabian Coast and Oman with the British Government for the purpose of prohibiting the importation of, and traffic in, slaves, which Convention on my part bears date the 15th Jemmadee-ool-Awul 1263 A. H.=1st May 1847, accordingly, I, Sheikh Sultan bin Suggur, of Jowasmee, do hereby engage and bind myself (purely out of friendship to the Sircar, and to assist it in effectually attaining the object it desires) to put into execution the said Article.

The Article is this:—

Whensoever it shall become known and certain that from any quarter whatsoever slaves have been brought to my territories, or to any places subject to my authority, I, of my own free will and accord, will seize the said slaves and deliver them over to the British vessels of war. Further, should it be ascertained that slaves have been carried in any of my vessels or in the vessels of people, my subjects, or dependents, and it should happen

INDIA OFFICE LIBRARY & RECORDS

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

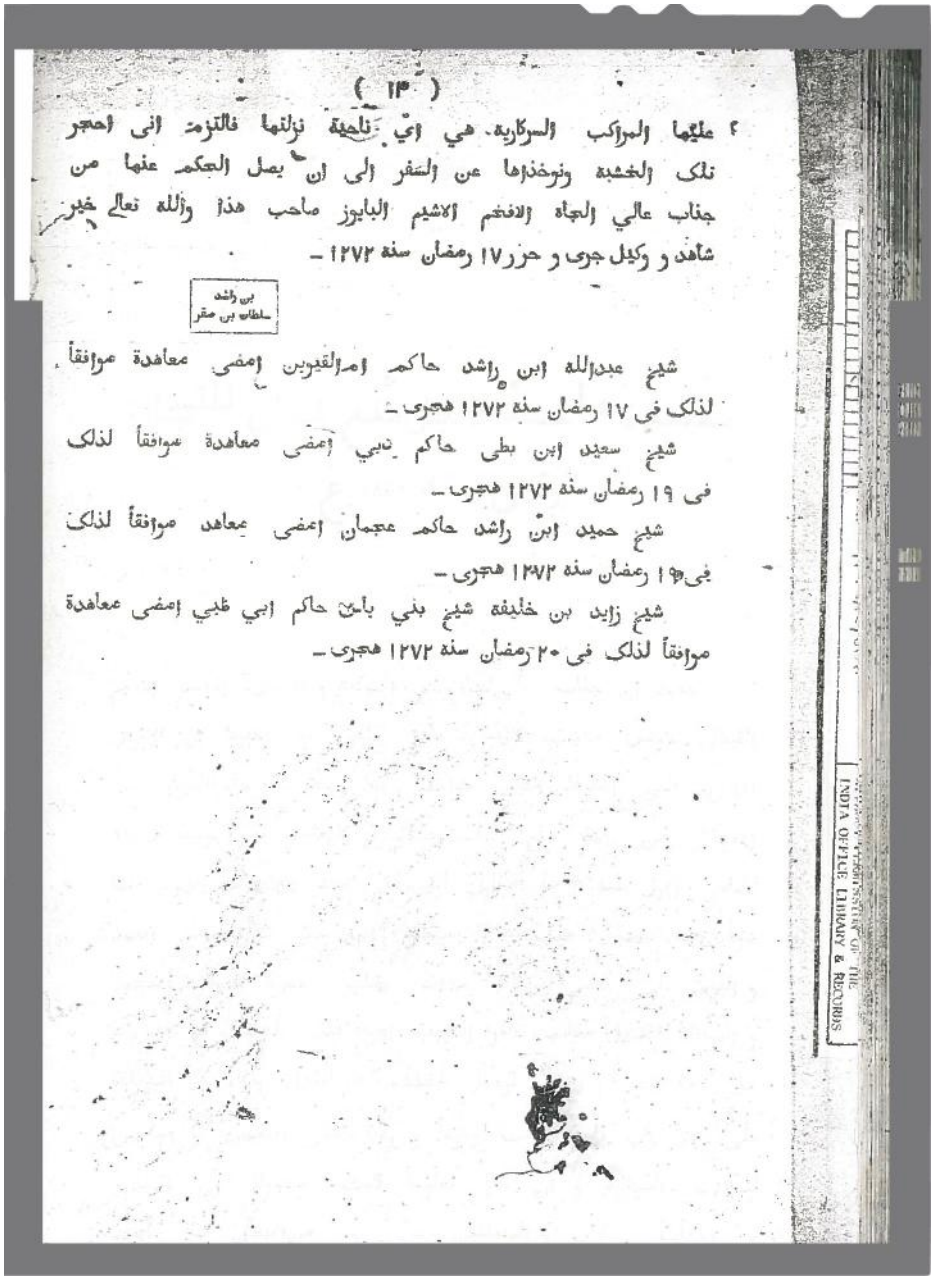

(١٣)

عليها المراكب السركارية هي اي ناحية نزلتها فالتزمت انى احجر تلك الخشبة ونوخذاها عن السفر الى ان يصل الحكم عنها من جناب عالي الجاه الافخم الاشيم البابوز صاحب هذا والله تعالى خير شاهد و وكيل جرى و حرر ١٧ رمضان سنه ١٢٧٢ -

بن راشد
سلطان بن صقر

شيخ عبدالله ابن راشد حاكم ام القيوين امضى معاهدة موافقاً لذلك في ١٧ رمضان سنه ١٢٧٢ هجرى -

شيخ سعيد ابن بطى حاكم دبي امضى معاهدة موافقاً لذلك في ١٩ رمضان سنه ١٢٧٢ هجرى -

شيخ حميد ابن راشد حاكم عجمان امضى معاهد موافقاً لذلك في ١٩ رمضان سنه ١٢٧٢ هجرى -

شيخ زايد بن خليفه شيخ بني ياس حاكم ابي ظبي امضى معاهدة موافقاً لذلك في ٢٠ رمضان سنه ١٢٧٢ هجرى -

INDIA OFFICE LIBRARY & RECORDS

المعاهدات بين الحكومة البريطانية وزعماء الساحل المتصالح

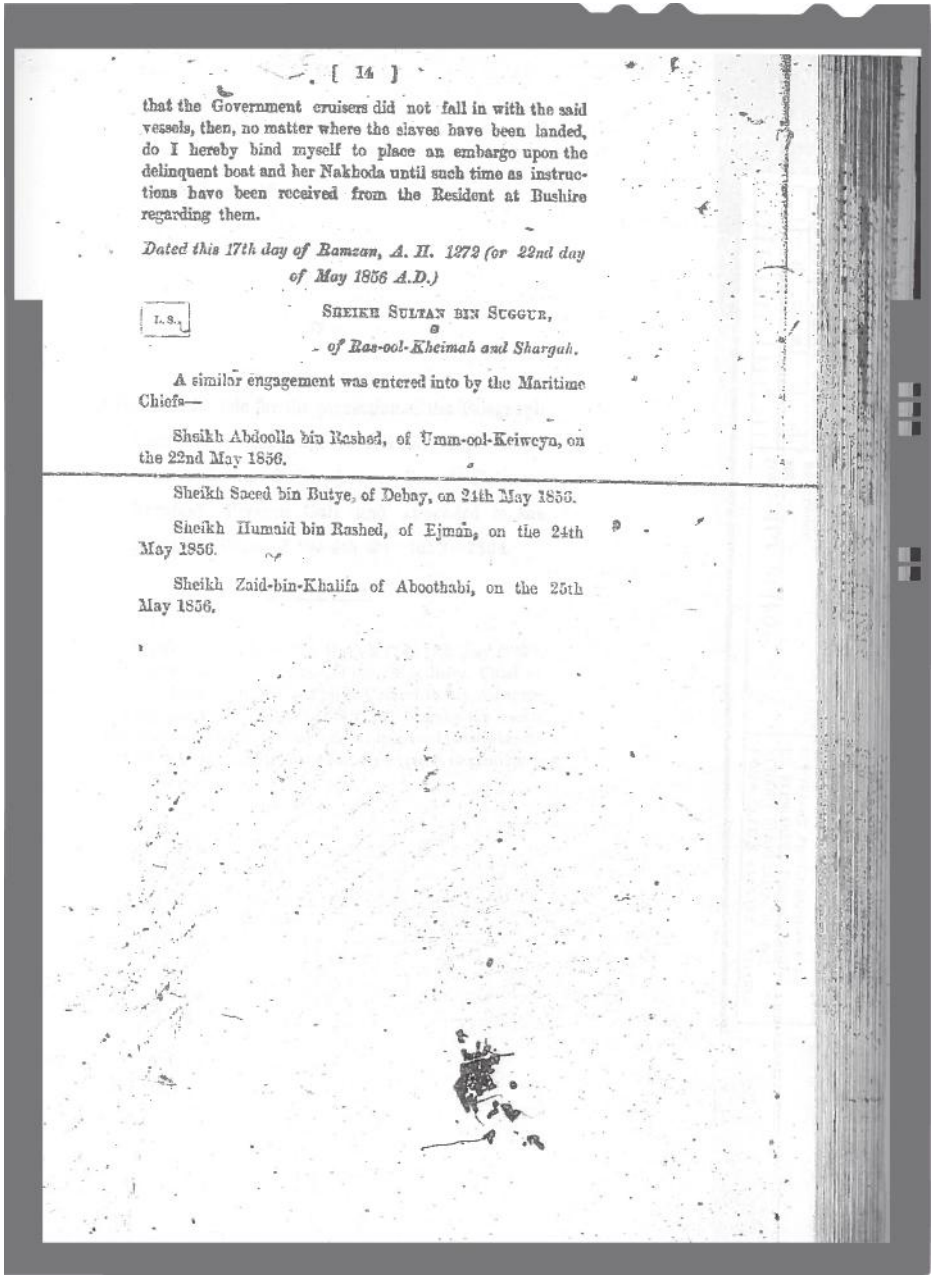

[14]

that the Government cruisers did not fall in with the said vessels, then, no matter where the slaves have been landed, do I hereby bind myself to place an embargo upon the delinquent boat and her Nakhoda until such time as instructions have been received from the Resident at Bushire regarding them.

Dated this 17th day of Ramzan, A. H. 1272 (or 22nd day of May 1856 A.D.)

L. S.

SHEIKH SULTAN BIN SUGGUR,
of Ras-ool-Kheimah and Shargah.

A similar engagement was entered into by the Maritime Chiefs—

Sheikh Abdoolla bin Rashed, of Umm-ool-Keiweyn, on the 22nd May 1856.

Sheikh Saeed bin Butye, of Debay, on 24th May 1856.

Sheikh Humaid bin Rashed, of Ejman, on the 24th May 1856.

Sheikh Zaid-bin-Khalifa of Aboothabi, on the 25th May 1856.

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

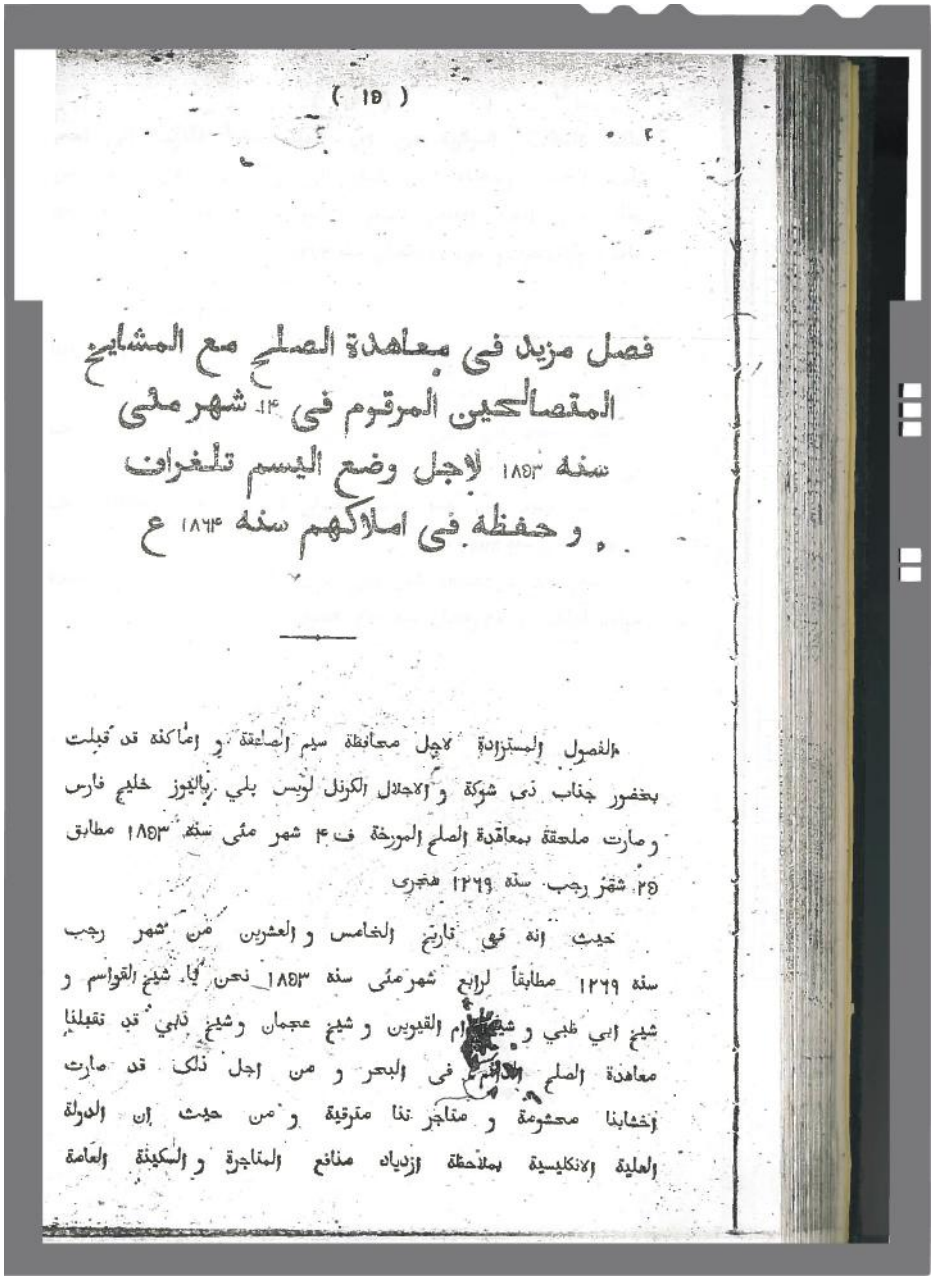

(١٥)

فصل مزيد فى معاهدة الصلح مع المشايخ
المتصالحين المرقوم فى ١٤ شهر مئى
سنه ١٨٥٣ لاجل وضع اليسم تلغراف
و حفظه فى املاكهم سنه ١٨٦٤ ع

الفصول المستزادة لاجل محافظة سلم الصلحة و اماكنه قد قبلت
بحضور جناب ذى شوكة و الاجلال الكرنل لويس بلي رئاليوز خليج فارس
و صارت ملحقة بمعاقدة الصلح المورخة ف ٤ شهر مئى سنه ١٨٥٣ مطابق
٢٥ شهر رجب سنه ١٢٦٩ هجرى

حيث انه فى تاريخ الخامس و العشرين من شهر رجب
سنه ١٢٦٩ مطابقاً لرابع شهر مئى سنه ١٨٥٣ نحن يا شيخ القواسم و
شيخ ابي ظبي و شيخ ام القيوين و شيخ عجمان و شيخ دبي قد تقبلنا
معاهدة الصلح الدائم فى البحر و من اجل ذلك قد صارت
اخشابنا محشومة و متاجر نا مترقية و من حيث ان الدولة
العلية الانكليسية بملاحظة ازدياد منافع المتاجرة و السكينة العامة

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

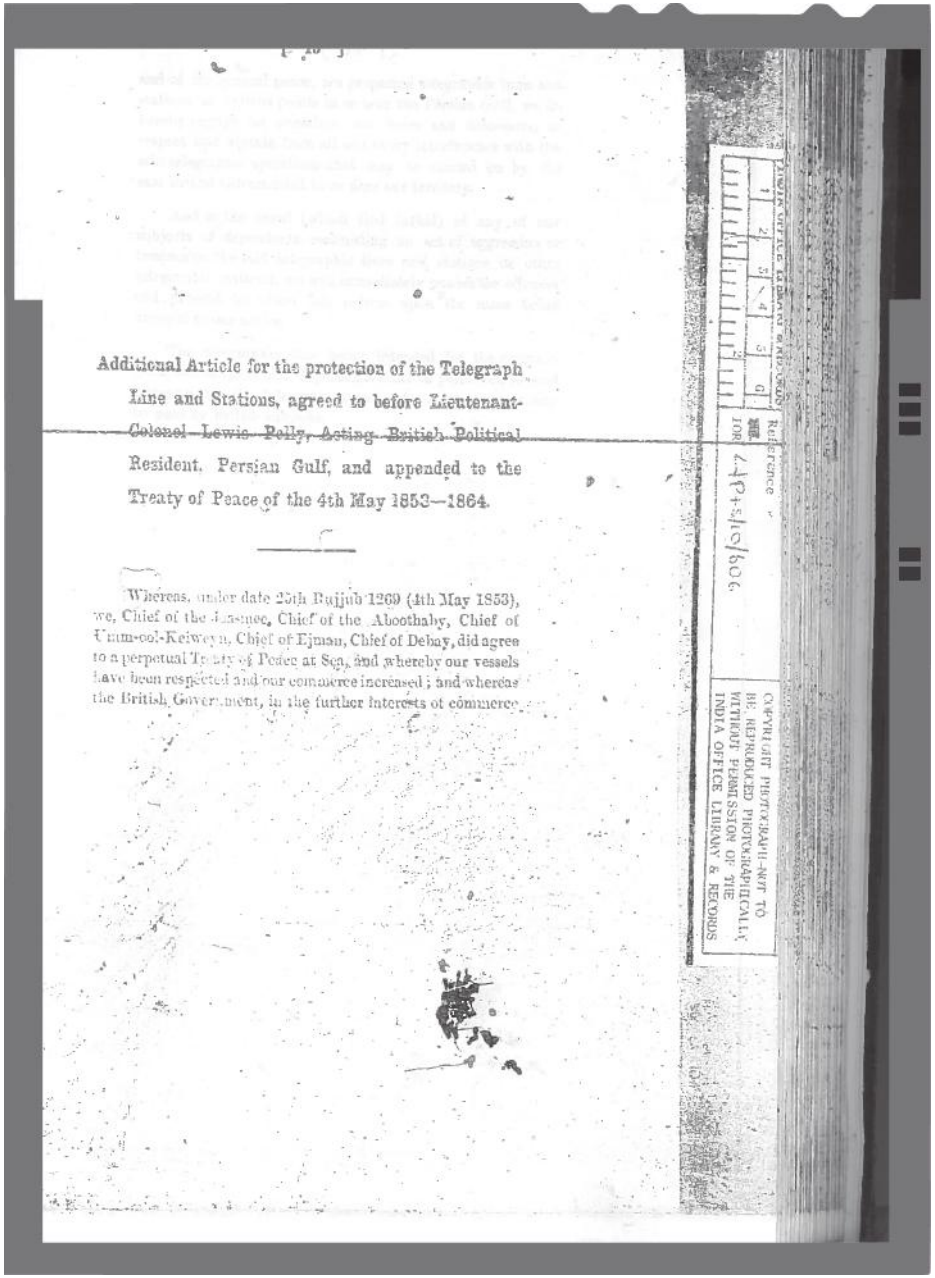

Additional Article for the protection of the Telegraph Line and Stations, agreed to before Lieutenant-Colonel Lewis Pelly, Acting British Political Resident, Persian Gulf, and appended to the Treaty of Peace of the 4th May 1853—1864.

Whereas, under date 25th Rujjub 1269 (4th May 1853), we, Chief of the Jasemee, Chief of the Aboothaby, Chief of Umm-ool-Keiweyn, Chief of Ejman, Chief of Debay, did agree to a perpetual Treaty of Peace at Sea, and whereby our vessels have been respected and our commerce increased; and whereas the British Government, in the further interests of commerce

INDIA OFFICE LIBRARY & RECORDS
Reference
FOR 4P+S/10/606
COPYRIGHT PHOTOGRAPH—NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE INDIA OFFICE LIBRARY & RECORDS

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

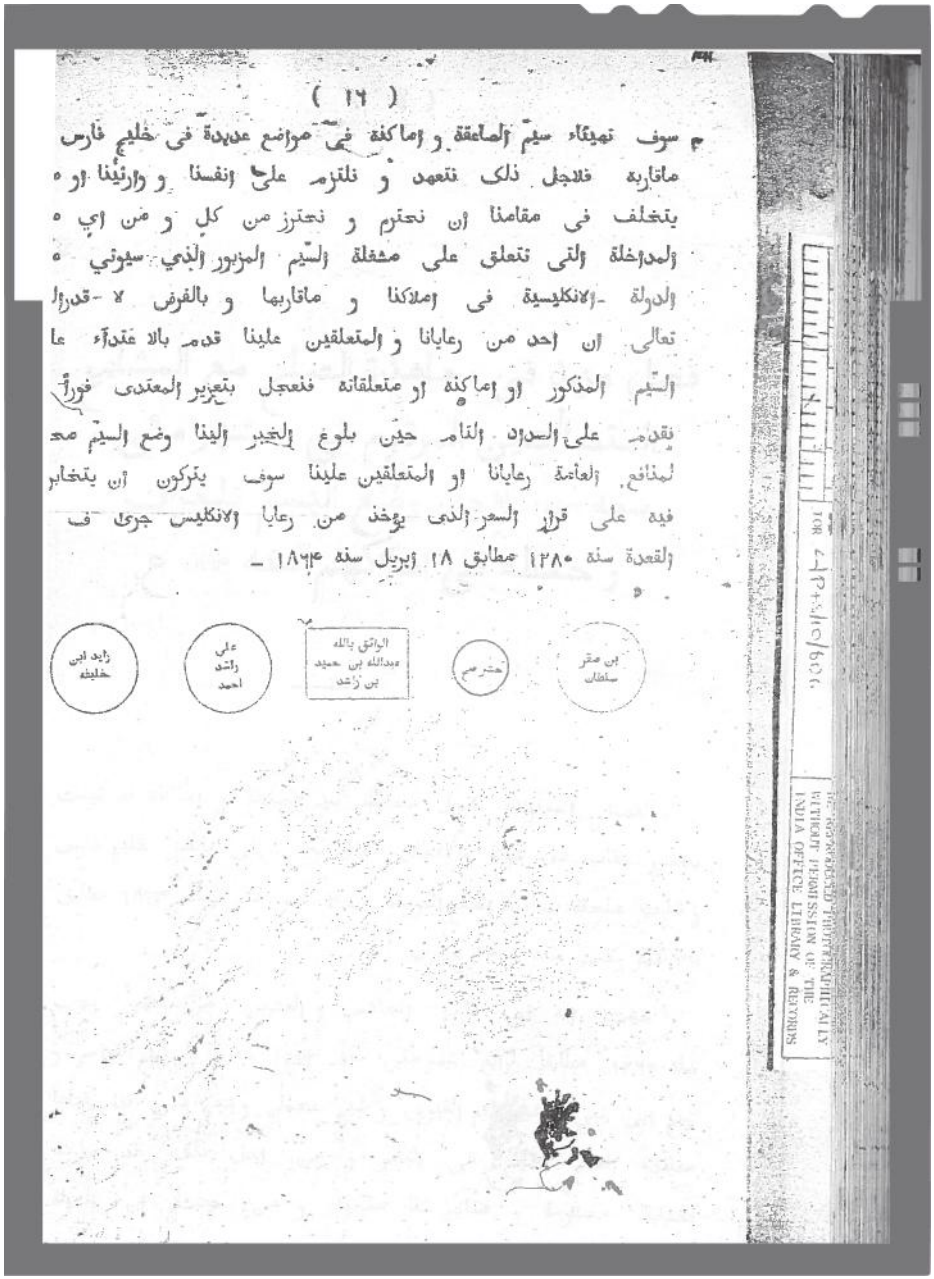

(١٦)

م سوف تميناء سيم الصاعقة و اماكنة في مواضع عديدة في خليج فارس
ماقاربه فلاجل ذلك نتعهد و نلتزم على انفسنا و وارثينا او ه
يتخلف في مقامنا ان نحترم و نحترز من كل و من اي ه
المداخلة التي تتعلق على مشغلة السيم المزبور الذي سيوتي ه
الدولة -الانكليسية في املاكنا و ماقاربها و بالفرض لا -قدرا
تعالى ان احد من رعايانا و المتعلقين علينا قدم بالا عتداء ما
السيم المذكور او اماكنه او متعلقاته فنعجل بتعزير المعتدى فورا
نقدم على الدوام التام حين بلوغ الخبر الينا وضع السيم مح
لمنافع العامة رعايانا او المتعلقين علينا سوف يتركون ان يتخاير
فيه على قرار السعر الذي يوخذ من رعايا الانكليس جرى ف
القعدة سنه ١٢٨٠ مطابق ١٨ ابريل سنه ١٨٦٤ -

زايد ابن خليفه

علي راشد احمد

الواثق بالله عبدالله بن حميد بن زاعد

حمد مع

بن صقر سلطان

PHOTOGRAPH PROVIDED THROUGH THE COURTESY OF THE BRITISH INDIA OFFICE LIBRARY & RECORDS

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

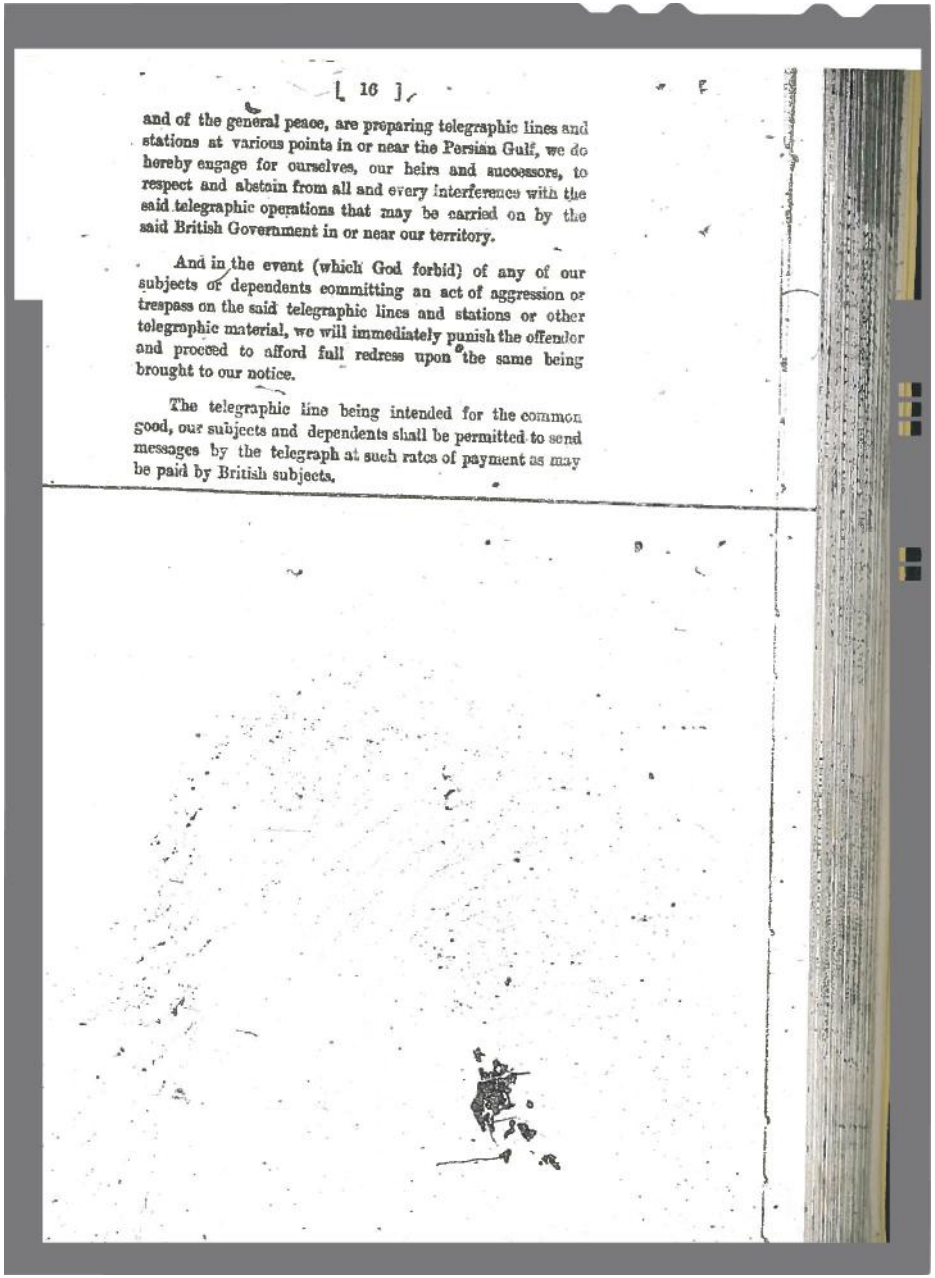

[16]

and of the general peace, are preparing telegraphic lines and stations at various points in or near the Persian Gulf, we do hereby engage for ourselves, our heirs and successors, to respect and abstain from all and every interference with the said telegraphic operations that may be carried on by the said British Government in or near our territory.

And in the event (which God forbid) of any of our subjects or dependents committing an act of aggression or trespass on the said telegraphic lines and stations or other telegraphic material, we will immediately punish the offender and proceed to afford full redress upon the same being brought to our notice.

The telegraphic line being intended for the common good, our subjects and dependents shall be permitted to send messages by the telegraph at such rates of payment as may be paid by British subjects.

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

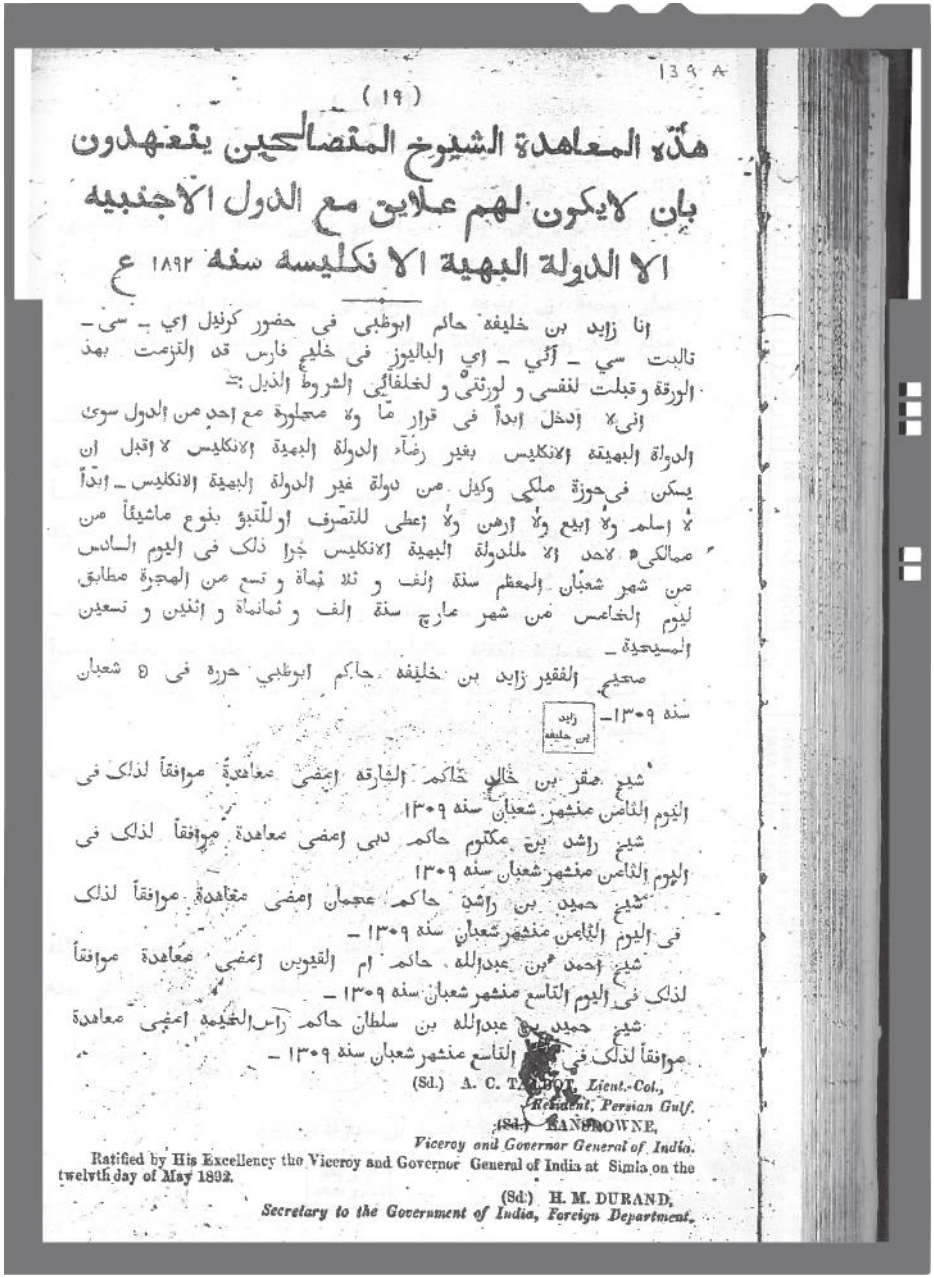

139 A

(١٩)

هذه المعاهدة الشيوخ المتصالحين يتعهدون بان لايكون لهم علاين مع الدول الاجنبيه الا الدولة البهية الا نكليسه سنه ١٨٩٢ ع

انا زايد بن خليفه حاكم ابوظبى فى حضور كرنيل اي ـ سى ـ تالبت سي ـ آئي ـ اي البالبوز فى خليج فارس قد التزمت بهذ الورقة و قبلت لنفسى و لورثتى و لخلفائى الشروط الذيل بت

إنى لا ادخل ابداً فى قرار مّا ولا معاورة مع احد من الدول سوى الدولة البهيته الانكليس بغير رضآء الدولة البهية الانكليس لا اقبل ان يسكن فى حوزة ملكى وكيل من دولة غير الدولة البهية الانكليس ـ ابداً لا اسلم ولا ابيع ولا ارهن ولا اعطى للتصرف او للتبؤ بنوع ماشيئاً من ممالكى لاحد الا للدولة البهية الانكليس جزا ذلك فى اليوم السادس من شهر شعبان المعظم سنة الف و ثلا ثماة و تسع من الهجرة مطابق ليوم الخامس من شهر مارچ سنة الف و ثمانماة و اثنين و تسعين المسيحية ـ

صحيح الفقير زايد بن خليفه حاكم ابوظبي حرره فى ٥ شعبان سنه ١٣٠٩ـ

زايد بن خليفه

شيخ صقر بن خالد حاكم الشارقه امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم الثامن منشهر شعبان سنه ١٣٠٩

شيخ راشد بن مكتوم حاكم دبى امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم الثامن منشهر شعبان سنه ١٣٠٩

شيخ حميد بن راشد حاكم عجمان امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم الثامن منشهر شعبان سنه ١٣٠٩ ـ

شيخ احمد بن عبدالله حاكم ام القيوين امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم التاسع منشهر شعبان سنه ١٣٠٩ ـ

شيخ حميد بن عبدالله بن سلطان حاكم راس الخيمه امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم التاسع منشهر شعبان سنه ١٣٠٩ ـ

(Sd.) A. C. TALBOT, *Lieut.-Col.,*
Resident, Persian Gulf.

(Sd.) LANSDOWNE,
Viceroy and Governor General of India.

Ratified by His Excellency the Viceroy and Governor General of India at Simla on the twelvth day of May 1892.

(Sd.) H. M. DURAND,
Secretary to the Government of India, Foreign Department.

المعاهدات بين الحكومة البريطانية وزعماء الساحل المتصالح

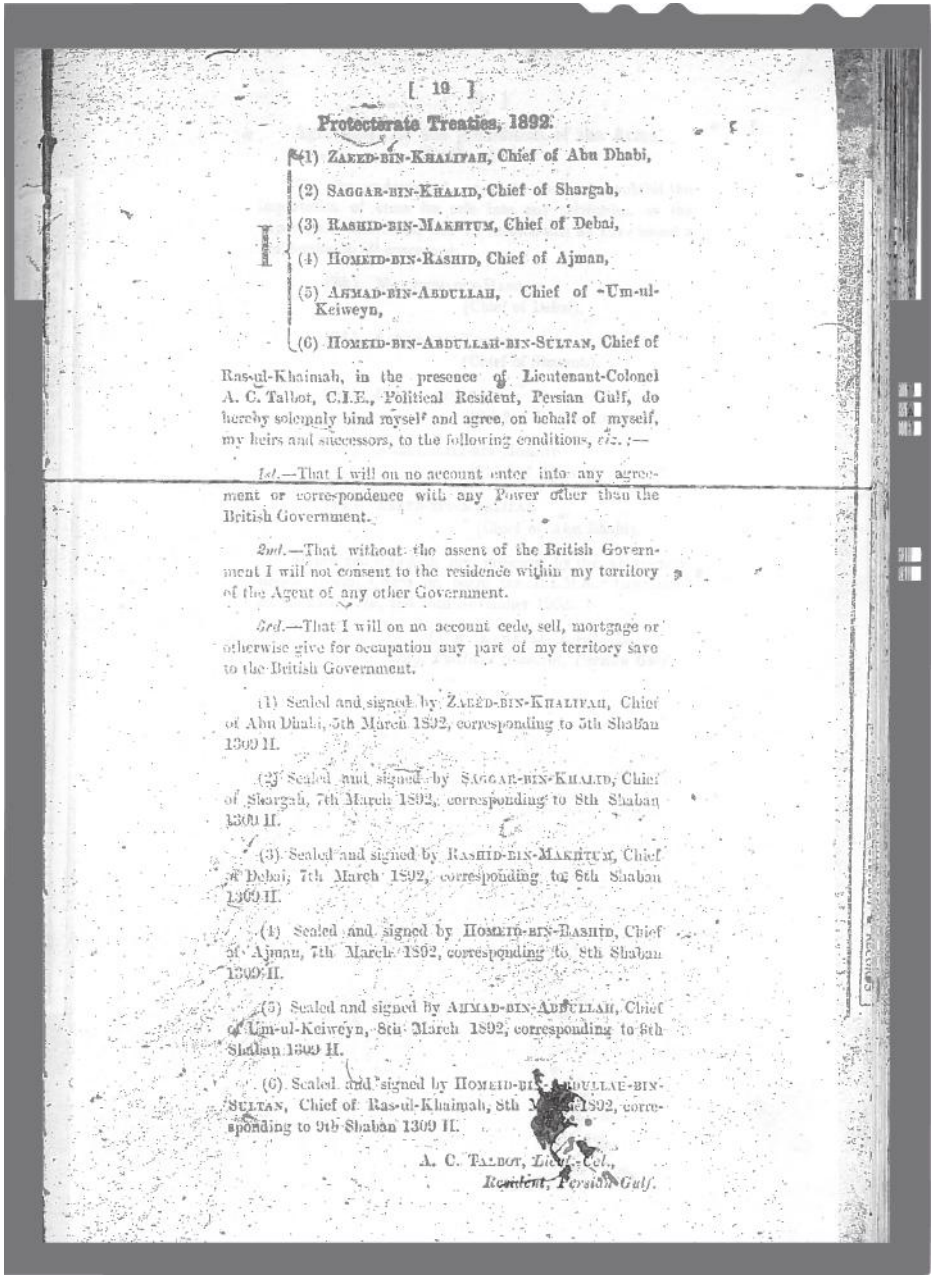

[19]

Protectorate Treaties, 1892.

(1) ZAEED-BIN-KHALIFAH, Chief of Abu Dhabi,

(2) SAGGAR-BIN-KHALID, Chief of Shargah,

(3) RASHID-BIN-MAKHTUM, Chief of Debai,

(4) HOMEID-BIN-RASHID, Chief of Ajman,

(5) AHMAD-BIN-ABDULLAH, Chief of Um-ul-Keiweyn,

(6) HOMEID-BIN-ABDULLAH-BIN-SULTAN, Chief of

Ras-ul-Khaimah, in the presence of Lieutenant-Colonel A. C. Talbot, C.I.E., Political Resident, Persian Gulf, do hereby solemnly bind myself and agree, on behalf of myself, my heirs and successors, to the following conditions, *viz.* :—

1st.—That I will on no account enter into any agreement or correspondence with any Power other than the British Government.

2nd.—That without the assent of the British Government I will not consent to the residence within my territory of the Agent of any other Government.

3rd.—That I will on no account cede, sell, mortgage or otherwise give for occupation any part of my territory save to the British Government.

(1) Sealed and signed by ZAEED-BIN-KHALIFAH, Chief of Abu Dhabi, 5th March 1892, corresponding to 5th Shaban 1309 H.

(2) Sealed and signed by SAGGAR-BIN-KHALID, Chief of Shargah, 7th March 1892, corresponding to 8th Shaban 1309 H.

(3) Sealed and signed by RASHID-BIN-MAKHTUM, Chief of Debai, 7th March 1892, corresponding to 8th Shaban 1309 H.

(4) Sealed and signed by HOMEID-BIN-RASHID, Chief of Ajman, 7th March 1892, corresponding to 8th Shaban 1309 H.

(5) Sealed and signed by AHMAD-BIN-ABDULLAH, Chief of Um-ul-Keiweyn, 8th March 1892, corresponding to 9th Shaban 1309 H.

(6) Sealed and signed by HOMEID-BIN-ABDULLAH-BIN-SULTAN, Chief of Ras-ul-Khaimah, 5th March 1892, corresponding to 9th Shaban 1309 H.

A. C. TALBOT, Lieut.-Col.,
Resident, Persian Gulf.

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

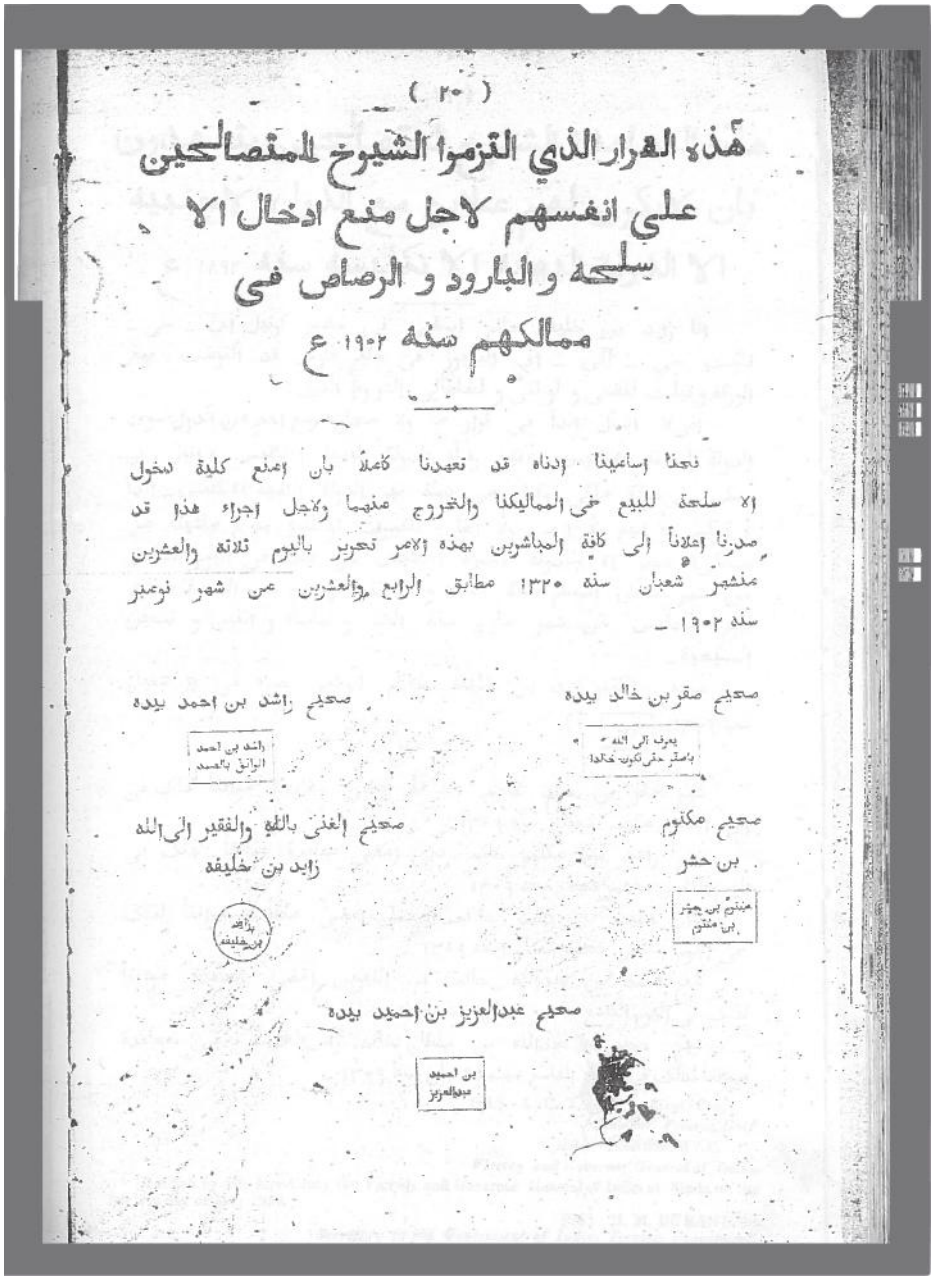

(٢٠)

هذا القرار الذي التزموا الشيوخ المتصالحين
على انفسهم لاجل منع ادخال الا
سلحه والبارود و الرصاص في
ممالكهم سنه ١٩٠٢ ع

نحن اسامينا ادناه قد تعهدنا كاملاً بان امنع كلية دخول
الا سلحة للبيع في المماليكنا والخروج منهما ولاجل اجراء هذا قد
صدرنا اعلاناً الى كافة المباشرين بهذه الامر تحرير باليوم ثلاثه والعشرين
منشهر شعبان سنه ١٣٢٠ مطابق الرابع والعشرين من شهر نومبر
سنه ١٩٠٢ ـ

صحيح صقر بن خالد بيده

صحيح راشد بن احمد بيده

صحيح مكتوم
بن حشر

صحيح الغني بالله والفقير الى الله
زايد بن خليفه

صحيح عبدالعزيز بن احمد بيده

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

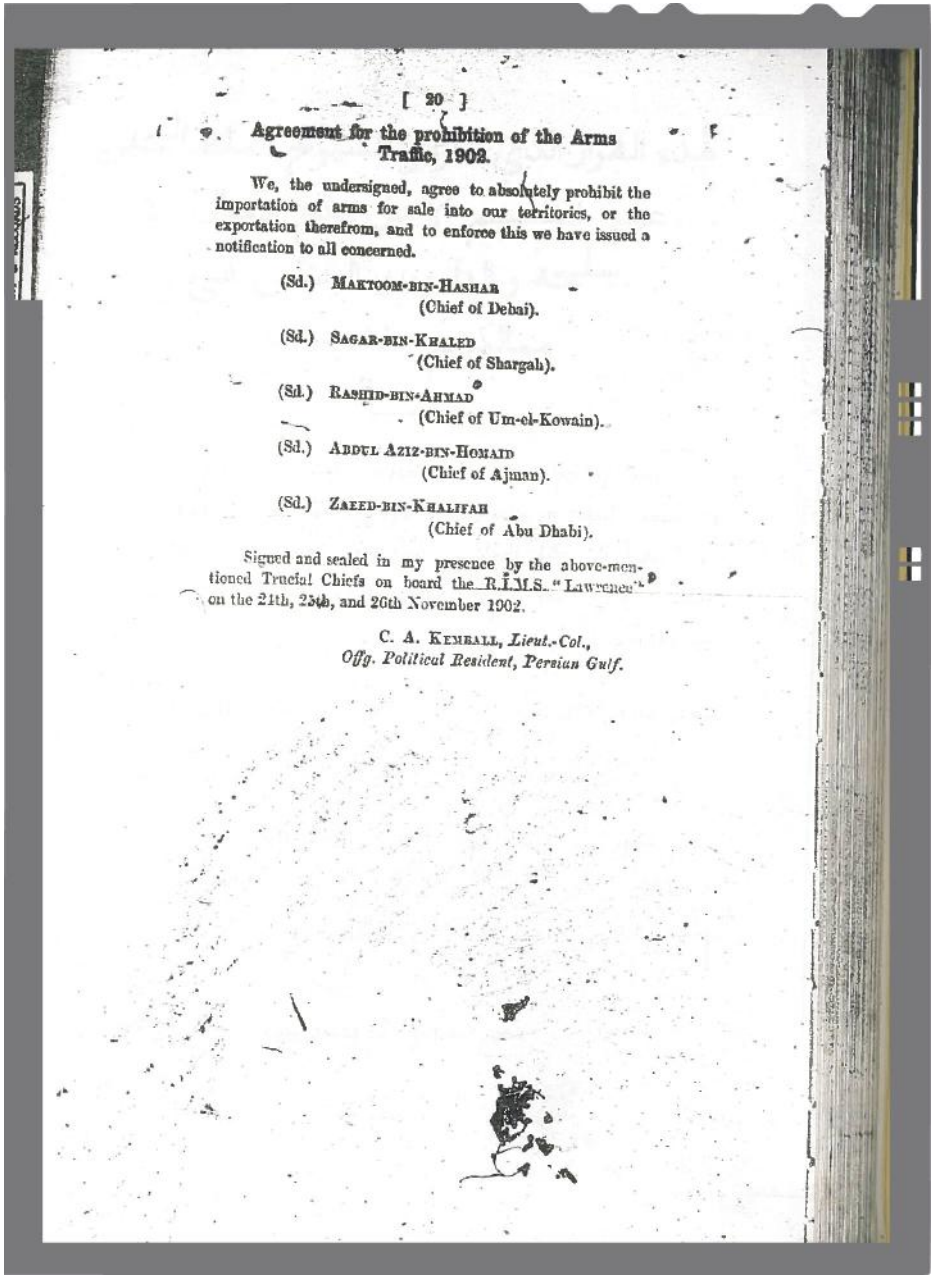

[20]

Agreement for the prohibition of the Arms Traffic, 1902.

We, the undersigned, agree to absolutely prohibit the importation of arms for sale into our territories, or the exportation therefrom, and to enforce this we have issued a notification to all concerned.

(Sd.) MAKTOOM-BIN-HASHAR
(Chief of Debai).

(Sd.) SAGAR-BIN-KHALED
(Chief of Shargah).

(Sd.) RASHID-BIN-AHMAD
(Chief of Um-el-Kowain).

(Sd.) ABDUL AZIZ-BIN-HOMAID
(Chief of Ajman).

(Sd.) ZAEED-BIN-KHALIFAH
(Chief of Abu Dhabi).

Signed and sealed in my presence by the above-mentioned Trucial Chiefs on board the R.I.M.S. "Lawrence" on the 24th, 25th, and 26th November 1902.

C. A. KEMBALL, *Lieut.-Col.*,
Offg. Political Resident, Persian Gulf.

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

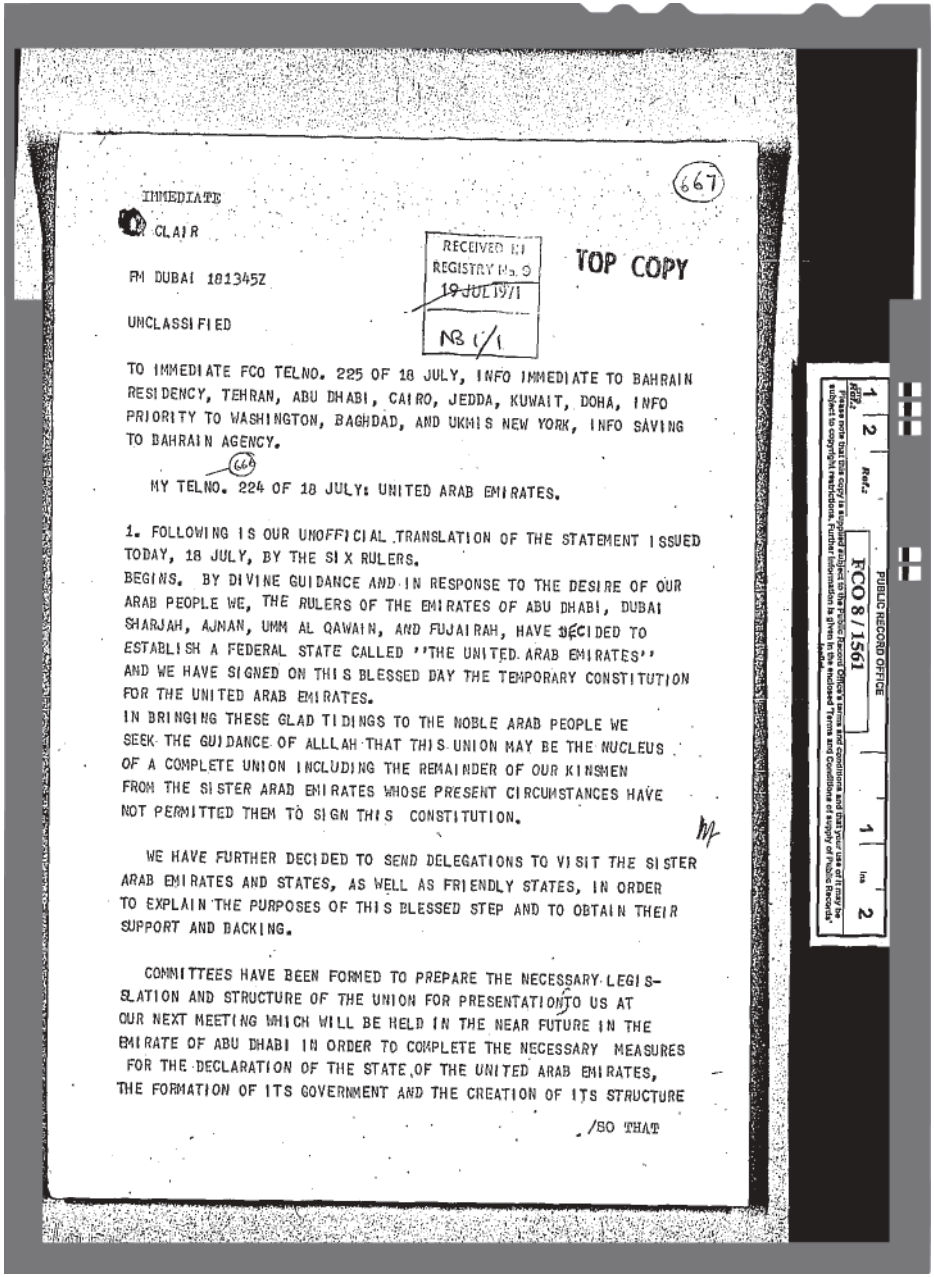

IMMEDIATE

CLAIR

FM DUBAI 181345Z

UNCLASSIFIED

RECEIVED IN REGISTRY No. 0 19 JUL 1971 NB 1/1

TOP COPY

667

TO IMMEDIATE FCO TELNO. 225 OF 18 JULY, INFO IMMEDIATE TO BAHRAIN RESIDENCY, TEHRAN, ABU DHABI, CAIRO, JEDDA, KUWAIT, DOHA, INFO PRIORITY TO WASHINGTON, BAGHDAD, AND UKMIS NEW YORK, INFO SAVING TO BAHRAIN AGENCY.

MY TELNO. 224 OF 18 JULY: UNITED ARAB EMIRATES.

1. FOLLOWING IS OUR UNOFFICIAL TRANSLATION OF THE STATEMENT ISSUED TODAY, 18 JULY, BY THE SIX RULERS.

BEGINS. BY DIVINE GUIDANCE AND IN RESPONSE TO THE DESIRE OF OUR ARAB PEOPLE WE, THE RULERS OF THE EMIRATES OF ABU DHABI, DUBAI SHARJAH, AJMAN, UMM AL QAWAIN, AND FUJAIRAH, HAVE DECIDED TO ESTABLISH A FEDERAL STATE CALLED "THE UNITED ARAB EMIRATES" AND WE HAVE SIGNED ON THIS BLESSED DAY THE TEMPORARY CONSTITUTION FOR THE UNITED ARAB EMIRATES.

IN BRINGING THESE GLAD TIDINGS TO THE NOBLE ARAB PEOPLE WE SEEK THE GUIDANCE OF ALLLAH THAT THIS UNION MAY BE THE NUCLEUS OF A COMPLETE UNION INCLUDING THE REMAINDER OF OUR KINSMEN FROM THE SISTER ARAD EMIRATES WHOSE PRESENT CIRCUMSTANCES HAVE NOT PERMITTED THEM TO SIGN THIS CONSTITUTION.

WE HAVE FURTHER DECIDED TO SEND DELEGATIONS TO VISIT THE SISTER ARAB EMIRATES AND STATES, AS WELL AS FRIENDLY STATES, IN ORDER TO EXPLAIN THE PURPOSES OF THIS BLESSED STEP AND TO OBTAIN THEIR SUPPORT AND BACKING.

COMMITTEES HAVE BEEN FORMED TO PREPARE THE NECESSARY LEGISLATION AND STRUCTURE OF THE UNION FOR PRESENTATION TO US AT OUR NEXT MEETING WHICH WILL BE HELD IN THE NEAR FUTURE IN THE EMIRATE OF ABU DHABI IN ORDER TO COMPLETE THE NECESSARY MEASURES FOR THE DECLARATION OF THE STATE OF THE UNITED ARAB EMIRATES, THE FORMATION OF ITS GOVERNMENT AND THE CREATION OF ITS STRUCTURE

/SO THAT

PUBLIC RECORD OFFICE FCO 8/1561

المعاهدات بين الحكومة البريطانية وزعماء الساحل المتصالح

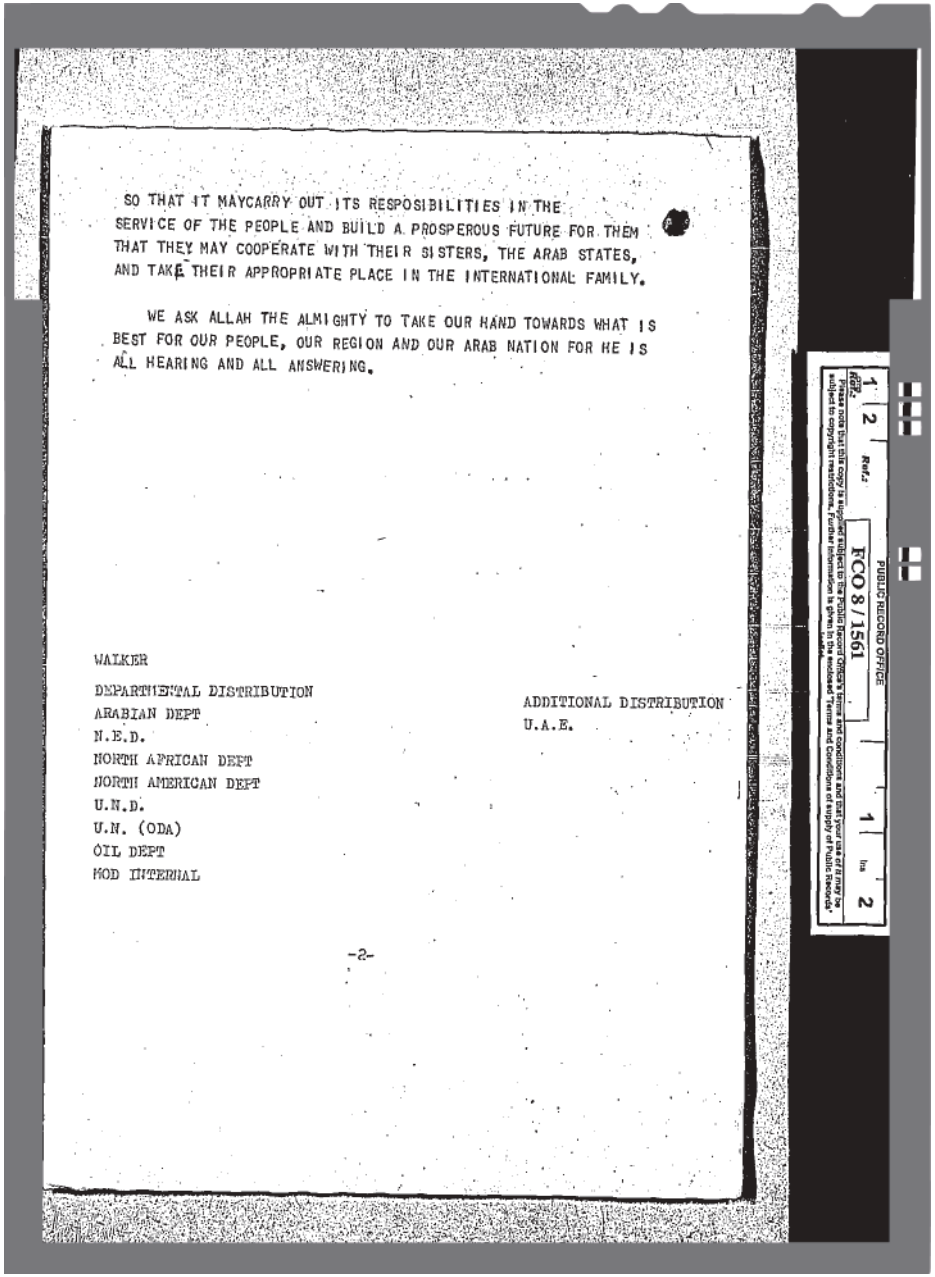

SO THAT IT MAYCARRY OUT ITS RESPOSIBILITIES IN THE SERVICE OF THE PEOPLE AND BUILD A PROSPEROUS FUTURE FOR THEM THAT THEY MAY COOPERATE WITH THEIR SISTERS, THE ARAB STATES, AND TAKE THEIR APPROPRIATE PLACE IN THE INTERNATIONAL FAMILY.

WE ASK ALLAH THE ALMIGHTY TO TAKE OUR HAND TOWARDS WHAT IS BEST FOR OUR PEOPLE, OUR REGION AND OUR ARAB NATION FOR HE IS ALL HEARING AND ALL ANSWERING.

WALKER

DEPARTMENTAL DISTRIBUTION
ARABIAN DEPT
N.E.D.
NORTH AFRICAN DEPT
NORTH AMERICAN DEPT
U.N.D.
U.N. (ODA)
OIL DEPT
MOD INTERNAL

ADDITIONAL DISTRIBUTION
U.A.E.

-2-

PUBLIC RECORD OFFICE
FCO 8/1561
Please note that this copy is supplied subject to the Public Record Office's Terms and Conditions and that your use of it may be subject to copyright restrictions. Further information is given in the enclosed "Terms and Conditions of supply of Public Records".

المعاهدات بين الحكومة البريطانية
وزعماء الساحل المتصالح

خاتمة الكتاب

في الختام يجدر بنا الإشارة إلى أن صدور هذا العمل يصادف الذكرى الـ44 لليوم الوطني احتفاء بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، ويبقى الفكر الاتحادي في الإمارات محفزاً لدراسات وأبحاث أخرى موسعة تتعمق أكثر في الخصوصيات التي أنتجت هذا الفكر الوطني الوحدوي الذي يميز الإمارات.

وما يمكن الخروج به من استنتاج عام هو أن البيئة الإماراتية ونخبتها السياسية أنتجت فكرها الاتحادي الذي يتلاءم مع خصوصياتها وطموحاتها في الوحدة السياسية، التي بدورها – أي الوحدة – كانت ولاتزال تمتلك عمقاً وشواهد تاريخية تدل عليها، وهذا ما سعينا لعرضه في هذا العمل، عبر تقديم عرض موجز ونماذج مكثفة لتلك الشواهد، وكيف التقطها مؤسس الاتحاد الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وجعلها قاعدة لانبعاث روح وطنية إماراتية تتغلغل في نفوس كافة أبناء شعب الإمارات.

ومن الحتمي والمؤكد أن بطل الفكر الاتحادي الذي قام بتفعيله وتحويله من هاجس في الوعي الجمعي إلى حقيقة تجسدت بإعلان قيام الدولة، هو مؤسس الإمارات الحديثة وقائد مسيرتها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيب الله ثراه).

لقد تحققت المعجزة على يد هذا القائد الحكيم والمحب لشعبه، فأصبحت وحدة الإمارات الطبيعية على المستوى التاريخي والثقافي والاجتماعي تمتلك كياناً اتحادياً ودولة عصية على التحديات وصانعة للتحولات التي ينعم بها الشعب الإماراتي اليوم، ويستشرف المستقبل من أرضية الثقة بأن الآتي سيكون أكثر ازدهاراً وإعجازاً وتحدياً على مختلف الأصعدة الاقتصادية والمعرفية والعلمية.

وسوف تبقى دولة الإمارات العربية المتحدة مثالاً للإعجاز، بالقياس إلى ما حققته خطوة الاتحاد من انتقالة جوهرية على صعيد الارتقاء بالبنية الاجتماعية لسكان الإمارات؛ من بنية تقليدية إلى بنية حديثة تتعاطى في كافة مساراتها مع البنيان المؤسسي الرشيد، والملبي لكل ما يجعل من الإمارات قادرة على مواجهة أي تحدٍ في المستقبل.

ومن المؤكد أن الاستقرار السياسي الذي تعيشه الإمارات، بالإضافة إلى مؤشرات التنمية الصاعدة في قطاعاتها

الاقتصادية المختلفة، من المحفزات التي تجعل من هذه التجربة الاتحادية الفريدة في المنطقة العربية لافتة لاهتمام الآخرين، وبخاصة بعد مضي أكثر من أربعة عقود على إعلان قيام الدولة، ودخول الإمارات بثقة واقتدار في طي العقد الخامس، بخطوات مقرونة بالكثير من الإنجازات والطموحات المستقبلية، التي تضمن لها الاستقرار الشامل والدائم لتحقق المزيد من النماء، وفتح آفاق لانهائية لطموحات جديدة، تضع بها الإمارات كيانها الناهض على الخريطة العالمية، وتحافظ على بقائها في صدارة الدول ذات القدرة التنافسية في ميادين ومجالات حيوية وباقتدار وتميز مشهود.

لقد تزامن إعداد هذا الإصدار والوطن الإماراتي يتهيأ للاحتفال بالذكرى الـ44 لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة رسمياً في الثاني من ديسمبر عام 1971م. تلك الخطوة الطبيعية والضرورية والذكية سياسياً واستراتيجياً، التي جاءت لتعمّد وحدة الأرض والإنسان في هذا الوطن الموحد تاريخياً وجغرافياً عبر الزمن.

وما يجب التأكيد عليه كمسألة بدهية، هو أننا كإماراتيين نعيش في وطن لم تكن وحدته وليدة الأمس، بل إن إعلان قيام الدولة الاتحادية رسمياً، إنما جاء ليعكس حقيقة تاريخية راسخة ومدعومة بشواهد عميقة وبإرادة شعبية خلاقة ومعبرة عن التلاحم الطبيعي بين أبناء الإمارات منذ القِدم.

ولقد كان لمنظومة الفكر الاتحادي الأثر الكبير في الوصول إلى خطوة قيام الاتحاد، تلك الخطوة التي عززتها ودفعت بها إلى التحقق والظهور إلى النور حكمة ومبادرة وتصميم قائد مسيرة الاتحاد ومؤسس نهضة الإمارات الحديثة، المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، ومعه إخوانه حكام الإمارات، الذين كان لهم شرف المشاركة الفاعلة التي أثمرت إعلان قيام دولة الإتحاد، مرتكزة على عزيمة وإصرار الأب القائد زايد، الذي بنى اتحاد الإمارات الحديثة على أسس ومداميك وحدتها التاريخية الأصيلة والمتجذرة، بفضل وفاء الإنسان على هذه الأرض لوطنه وتاريخه ومصيره المشترك.

إنه اتحاد يعبر عن تلاحم هذا الوطن وعراقته التي تتحدث عن نفسها في ملامح الإنسان الإماراتي وفي طبوغرافيا وتضاريس أرضه التي عاش عليها منذ آلاف السنين، حاملاً على أكتافه وفي ضميره هوية واحدة ظلت تتوارثها الأجيال، وتحكي عن أن هناك وطناً واحداً، تنسج الجغرافيا وعادات الأجداد ملامح وحدته وتلاحم أبنائه في كل المراحل التاريخية، عبر تشارك الآباء ومعايشتهم لكافة الظروف والآلام وكذلك الطموحات والآمال، وسعيهم الدؤوب لتجاوز كافة التحديات التي مرت بها هذه البقعة الطاهرة التي تشكل الإمارات.

إن وحدة الإمارات التي تمتلك كل هذا العمق التاريخي الذي تناولناه في هذا الإصدار، هي بلا شك وحدة متجذرة أرضاً وإنساناً، وهي الجسر الطبيعي والدائم الذي لا يتنازل عنه الإماراتيون، لأنه السبيل الذي فتح وسيظل يفتح للأجيال القادمة أفقاً للعبور إلى مستقبل متجدد لا تعيقه الصعاب مهما كانت، ولن يكف قادة الوطن الإماراتي وحُكّامه وأهله الأوفياء عن التحدي وصناعة المعجزات والمنجزات. والغاية الدائمة هي تحقيق سعادة واستقرار المواطن الإماراتي واحتفاظه بشموخه الأصيل واعتزازه بالإنتماء لهويته الوطنية.

إن وحدة الإمارات الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، هي المعطى الأساسي الذي يفسر لنا أسرار بروز التوجه الاتحادي في مراحل مختلفة من تاريخ هذا البلد الشامخ، حيث ظهرت تجليات ذلك التوجه في مبادرات وأشكال عملية عديدة منذ وقت مبكر. كما أن تجذر وحدة الإمارات وامتلاكها شواهد عميقة محفورة في ذاكرة المكان والزمان، تفسر لنا أيضاً أسرار تلاحم الشعب الإماراتي مع قيادته في كل خطواتها عبر مسيرة تاريخ الإتحاد، سواء قبل أوبعد قيام الدولة الاتحادية، وأثناء المقدمات التي أدت إلى تحقيق هذه الغاية النبيلة والطبيعية، المالكة لشروطها ومقوماتها الذاتية والموضوعية.

لقد ظل الإنسان في جغرافيا الإمارات معنياً على المستوى الاقتصادي والعملي بمواجهة أخطار مشتركة، ومعنياً بالتكاتف الاجتماعي، وتنويع المصادر الإقتصادية وسبل العيش، منذ ما قبل الإعلان الرسمي عن ولادة دولة الإمارات العربية المتحدة، التي نعيش في ظلها اليوم برؤوس مرفوعة اعتزازاً بالانتماء والولاء الوطني.

وترجمت خطوة الاتحاد حقيقة وواقع وحدة الإمارات على المستوى التاريخي، وما تمثله من ترابط سكاني ديمغرافي وجغرافي يشكل كينونة واحدة، بحيث لم يكن هناك أي مجال أمام هذا الكيان إلا أن يشكل وطناً واحداً، يعكس شخصيته وهويته الأصيلة. تلك الهوية التي ظلت عوامل الطبيعة والثقافة توحدها وتربط فيما بينها وتجعلها محتفظة بمعالمها. الأمر الذي كان يجعل من كل الطرق في الماضي والحاضر سالكة أمام أداء السياسة الداخلية، وأمام أدوار وعزيمة حكّام الإمارات، لتتماهى تلك الأدوار الحكيمة في منعطفات عديدة مع واقع الأرض الواحدة والتاريخ والوطن الواحد.

إن دولة الإمارات العربية المتحدة التي نعيش في ظلها اليوم، إنما تجسد بكيانها الناهض القوي ذلك التناغم الروحي والنفسي لمواطنيها مع وحدة أرضهم، ومع عاداتهم وجذورهم التي ظلت ولاتزال تتنفس تحت سماء واحدة. إنها سماء الإمارات التي تواصل نهضتها وشموخها تحت راية الإتحاد، وفي ظل القيادة الحكيمة الوفية لشعبها، وعلى رأس هذه

القيادة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله، وإلى جانبه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رعاه الله، وأصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى حكام الإمارات، وأنجال زايد الأوفياء الذين يسيرون على النهج الذي أرساه الأب المؤسس للإمارات الحديثة.

ولأن الوطن واحد والهوية واحدة، فقد عدنا في هذا الإصدار إلى الماضي قليلاً، لننقب عن الشواهد والدلائل التي تؤكد على عراقة وحدة الإمارات، باعتبار أنها ليست وليدة اللحظة المعاصرة. وكان هدفنا من وراء تناول العمق التاريخي لوحدة الإمارات أن تطلع الأجيال الجديدة على جذور وحدة وطنها، وأن تعتز بتاريخه وبكفاح قياداته من الرعيل الأول، الذين لم تكن وحدة الأرض الإماراتية تغيب عن جهودهم وعلاقاتهم وردود أفعالهم في ساعات الخطر.

انتهى -

1. فراوكه هيرد – باي، من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، مجموعة موتيفيت للنشر، دبي-لندن، الطبعة العربية 2007، مطبعة راشد، عجمان، ص 420.
2. محمد مرسي عبدالله، زايد ابن الصحراء صانع الحضارة، وزارة شؤون الرئاسة، الأرشيف الوطني، أبوظبي، الطبعة الأولى 2014، ص 34.
3. فالح حنظل، المفصّل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة 1624 – 1910، لجنة التراث والتاريخ، 1983، ص 722.
4. أنظر أوراق العمل المقدمة إلى المؤتمر كاملة في كتاب «مفاهيم جديدة في تدوين تاريخ الإمارات العربية المتحدة»، المركز الوطني للوثائق، 2009.
5. أنظر فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات، الجزء الأول، ص 48.
6. أنظر المرجع السابق، ص 71.
7. أنظر المرجع السابق، ص 81 – 83.
8. أنظر مقال سالم حميد، جريدة «الإمارات اليوم»، الأربعاء 4 فبراير 2009.
9. أنظر فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات، الجزء الأول، ص 125.
10. أنظر المرجع السابق، ص 126.
11. أنظر المرجع السابق، ص 127.
12. أنظر المرجع السابق، ص 158.
13. أنظر المرجع السابق، ص 164 – 165.

14. أنظر المرجع السابق، ص 173.

15. أنظر المرجع السابق، ص 173 – 174.

16. الشيخ صقر بن راشد بن مطر بن ارحمه بن كايد القاسمي، تولى حكم إمارة القواسم عام 1777 بعد ان تنازل والده عن السلطة بسبب كبر سنه. أنظر المرجع السابق، ص 232.

17. أنظر المرجع السابق، ص 232 – 233.

18. ميخين فيكتور ليونوفيتش، حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، ترجمه: سمير نجم الدين سطاس، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى 2009.

19. المرجع السابق، ص 11.

20. المرجع السابق، ص 18.

21. أنظر فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات، الجزء الأول، ص 274 – 275.

22. أنظر المرجع السابق، ص 276.

23. محمد مرسي عبدالله، زايد ابن الصحراء صانع الحضارة، مرجع سابق، ص 34.

24. أنظر فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات، الجزء الأول، ص 315 – 316.

25. سالم حميد، مقالة بعنوان «كي لا ننسى»، جريدة الإمارات اليوم، الخميس 3 نوفمبر 2011.

26. سالم حميد، مقالة بعنوان «كي لا ننسى 2»، جريدة الإمارات اليوم، الخميس 10 نوفمبر 2011.

27. المرجع السابق.

28. المرجع السابق.

29. سالم حميد، مقالة بعنوان «صفحة مطوية بالدماء»، جريدة الإمارات اليوم، الخميس 17 نوفمبر 2011.

30. المرجع السابق.

31. المرجع السابق.

32. المرجع السابق.

33. المرجع السابق.

34. سلطان بن محمد القاسمي، تحت راية الاحتلال، منشورات القاسمي، الشارقة، الطبعة الأولى 2014.

35. المرجع السابق، ص 8، 9.

36. أنظر فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات، الجزء الثاني، ص 721.

37. الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط آل نهيان.. حاكم أبوظبي الأسبق (1855- 1909)، المركز الثقافي الإعلامي لسمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، مايو 2009، ص 17.

38. أنظر، محمد حسن العيدروس، زايد أمير بني ياس وعلاقته بالقوى المجاورة، ذات السلاسل للطباعة والنشر ...، الكويت، الطبعة الأولى 1990.

39. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 48، 49.

40. المرجع السابق، ص 53، 54.

41. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، أبوظبي .. توحيد الإمارة وقيام الاتحاد، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، الطبعة الأولى 2004، ص 173.

42. المرجع السابق، ص141.

43. المرجع السابق، ص 174، 176.

44. المرجع سابق، ص 179.

45. المرجع سابق، ص 186، 191.

46. الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط آل نهيان، مرجع سابق، ص 18.

47. الشيخ زايد بن خليفة ...، المرجع السابق، ص 22.

48. الشيخ زايد بن خليفة ...، المرجع السابق، الصفحات 27، 30، 31، 32، 76، 77.

49. فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، مرجع سابق، ص 722.

50. الشيخ سعيد بن مكتوم .. رمز خالد من رموز الإمارات (1878-1953)، مؤسسة «وطني الإمارات» ومركز المزماة للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى 2013.

51. عبد العزيز المسلم، (الساحل): الاسم القديم لدولة الإمارت العربية المتحدة، ضمن كتاب (مفاهيم جديدة في تدوين تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة)، المركز الوطني للوثائق والبحوث، أبوظبي، 2009، ص 240.

52. ميخين فيكتور ليونوفيتش، مرجع سابق، ص 571.

53. ميخين فيكتور ليونوفيتش، مرجع سابق، ص 576.

54. فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، مرجع سابق، ص 699.

55. علي محمد راشد، الاتفاقيات السياسية والاقتصادية التي عقدت بين إمارات ساحل عمان وبريطانيا 1806 – 1971، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، الطبعة الثانية 2004، ص 186، 187.

56. حمد خليفة أبوشهاب، إطلالة على ماضي الإمارات، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث/أكاديمية الشعر، الطبعة الثانية 2011، للمزيد من التفاصيل أنظر من ص 40 إلى ص 60.

57. عبدالله علي الطابور، تطور المؤسسات الإعلامية في دولة الإمارات وأثرها في التنمية الثقافية، المجمع الثقافي، أبوظبي، طبعة 2000م، ص 35، 36.

58. المرجع السابق، للمزيد أنظر من ص 39 إلى ص 49.

59. نبوية حلمي أبوباشا، البيئة الاجتماعية والسياسية وأثرها في قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، الطبعة الأولى 2002، ص 130، 131.

60. أنظر كتاب: الشيخ سعيد بن مكتوم .. رمز خالد من رموز الإمارات، مرجع سابق ، ص 58، 59.

61. نبوية حلمي أبوباشا، البيئة الاجتماعية والسياسية وأثرها ...، مرجع سابق، ص 131.

62. محمد فارس الفارس، الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل (دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً) 1862-1965، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، الطبعة الأولى 2000.

63. محمد فارس الفارس، الأوضاع الاقتصادية ..، المرجع السابق، ص 203.

64. محمد فارس الفارس، الإوضاع الاقتصادية ...، المرجع السابق، بتصرف من الصفحات: 203، 269، 270، 271، 287، 288، 290، 291.

65. نبوية حلمي أبوباشا، البيئة الاجتماعية والسياسية وأثرها ...، مرجع سابق، ص 106.

66. فاطمة الصايغ، الاتجاهات الفكرية والسياسية في منطقة الإمارات في النصف الأول من القرن العشرين .. دور الاقتصاد في خلق مجتمع متغير، ضمن كتاب «مفاهيم جديدة في تدوين تاريخ الإمارات العربية المتحدة»، المركز الوطني للوثائق، 2009، ص 341.

67. فاطمة الصايغ، المرجع السابق، ص 342.

68. سالم حميد، ماذا تعرف عن دولة الإمارات العربية المتحدة، مركز المزماة للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى ديسمبر 2012، ص 12.

69. يوسف بن محمد الشريف و محمد بن سعيد بن غباش، كتاب الحوليات في تاريخ الإمارات، تحقيق فالح حنظل، بدون بيانات الناشر، 2012م.

70. المرجع السابق، ص 10.

71. سالم حميد، ماذا تعرف عن دولة الإمارات العربية المتحدة، المرجع السابق، ص 47.

72. حمد خليفة أبوشهاب، إطلالة على ماضي الإمارات، مرجع سابق ص 9، 10.

73. لتفاصيل وأمثلة وشواهد أكثر على علاقات القرابة والنسب بين الأسر الحاكمة في الإمارات، أنظر كتاب حمد خليفة أبوشهاب، إطلالة على ماضي الإمارات، المرجع السابق، الصفحات من 10 إلى 25.

74. فراوكه هيرد – باي، من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، مرجع سابق، ص 393.

75. نبوية حلمي أبوباشا، البيئة الاجتماعية والسياسية وأثرها في قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، مرجع سابق، ص 177.

76. نبوية حلمي أبوباشا، البيئة الاجتماعية والسياسية وأثرها ...، المرجع السابق، ص 134، 135.

77. نبوية حلمي أبوباشا، البيئة الاجتماعية والسياسية وأثرها ...، المرجع السابق، ص137.

78. بقوة الاتحاد.. صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.. القائد والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الخامسة 2013، ص12، 14.

79. بقوة الاتحاد ...، المرجع السابق، ص 25.

80. بقوة الاتحاد ...، المرجع السابق، ص 26.

81. بقوة الاتحاد ...، المرجع السابق، ص 27.

82. بقوة الاتحاد ...، المرجع السابق، ص 34.

83. جوينتي مايترا، زايد من التحدي إلى الاتحاد، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، الطبعة الأولى 2007، ص 413، 414.

84. جوينتي مايترا، المرجع السابق، ص 296.

85. كمال حمزة الحسن، زايد .. علامة على جبين التاريخ، طبعة خاصة، دبي، الطبعة الأولى 2006، ص 55، 59.

86. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، أبوظبي .. توحيد الإمارة وقيام الاتحاد، مرجع سابق، 249.

87. المرجع السابق، ص306.

88. بقوة الاتحاد ...، مرجع سابق، ص 51.

89. صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، محاضرة (روح الاتحاد) .. بمناسبة اليوم الوطني الأربعين لدولة الإمارات العربية المتحدة، المكتب الإعلامي، دون تاريخ، ص 24.

90. نبوية حلمي أبوباشا، البيئة الاجتماعية والسياسية وأثرها ...، مرجع سابق، ص 131.

91. صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، محاضرة (روح الاتحاد)، مرجع سابق، ص 26، 27.

92. المرجع السابق، ص 48.

93. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، أبوظبي .. توحيد الإمارة وقيام الاتحاد، مرجع سابق، ص 312.

94. أنظر المرجع السابق، ص 317، 319، 320.

95. كمال حمزة، راشد .. صورة عن قرب، طبعة خاصة، دبي، الطبعة الأولى 2007، ص 170.

96. بقوة الاتحاد ...، مرجع سابق، ص 185.

97. بقوة الاتحاد ...، المرجع السابق، ص 230.

98. جوينتي مايترا، زايد من التحدي إلى الاتحاد، مرجع سابق، ص 423.

99. سيد حامد حريز، زايد والتراث، الأرشيف الوطني، أبوظبي، الطبعة الثانية 2014م، ص 104.

100. المرجع السابق، ص 104.

101. أنظر في كتاب: بقوة الاتحاد ...، مرجع سابق، ص 284، 286، 287.

102. لتفاصيل أشمل حول هذه الجزئية أنظر في كتاب: محمد مرسي عبدالله، زايد ابن الصحراء صانع الحضارة، مرجع سابق، من ص 68 إلى ص 94.

103. تم الاستفادة في بعض مقاطع هذا المحور بتصرف من تقارير حديثة منشورة في الصحافة المحلية الإماراتية، وعلى وجه الخصوص بعض تقارير نشرة «أخبار الساعة»، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، المنشورة على الموقع الالكتروني لجريدة الاتحاد الإماراتية.

- أحمد عبدالله بن سعيد، السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة تجاه الوطن العربي، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2003.
- بقوة الاتحاد.. صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.. القائد والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الخامسة 2013.
- جوينتي مايترا، زايد من التحدي إلى الاتحاد، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، الطبعة الأولى 2007.
- حمد خليفة بوشهاب، إطلالة على ماضي الإمارات، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث/أكاديمية الشعر، الطبعة الثانية 2011.
- سالم حميد، الشيخ سعيد بن مكتوم .. رمز خالد من رموز الإمارات (1878-1953)، مؤسسة «وطني الإمارات» ومركز المزماة للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى 2013.
- سالم حميد، ماذا تعرف عن دولة الإمارات العربية المتحدة، مركز المزماة للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى ديسمبر 2012.
- سلطان بن محمد القاسمي، تحت راية الاحتلال، منشورات القاسمي، الشارقة، الطبعة الأولى 2014.
- سيد حامد حريز، زايد والتراث، الأرشيف الوطني، أبوظبي، الطبعة الثانية 2014.
- الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط آل نهيان ..حاكم أبوظبي السابق (1855- 1909)، المركز الثقافي الإعلامي لسمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، مايو 2009.
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، أبوظبي .. توحيد الإمارة وقيام الاتحاد، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، الطبعة الأولى، 2004.
- عبدالله علي الطابور، تطور المؤسسات الإعلامية في دولة الإمارات وأثرها في التنمية الثقافية، المجمع الثقافي، أبوظبي، طبعة 2000.
- علي محمد راشد، الاتفاقيات السياسية والاقتصادية التي عقدت بين إمارات ساحل عمان وبريطانيا 1806 – 1971، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، الطبعة الثانية 2004.
- غريم ويلسون، زايد .. رجل بنى أُمة، المركز الوطني للوثائق والبحوث، الطبعة الأولى 2013.

- فالح حنظل، المفصّل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة 1624 – 1910، لجنة التراث والتاريخ، أبوظبي، 1983.
- فراوكه هيرد – باي، من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، مجموعة موتيفيت للنشر، دبي-لندن، الطبعة العربية 2007.
- كمال حمزة، زايد .. علامة على جبين التاريخ، طبعة خاصة، دبي، الطبعة الأولى 2006.
- كمال حمزة، راشد .. صورة عن قرب، طبعة خاصة، دبي، الطبعة الأولى 2007.
- محمد بن راشد آل مكتوم، محاضرة (روح الاتحاد) .. بمناسبة اليوم الوطني الأربعين لدولة
- الإمارات العربية المتحدة، المكتب الإعلامي، دون تاريخ.
- محمد حسن العيدروس، زايد أمير بني ياس وعلاقته بالقوى المجاورة، ذات السلاسل للطباعة والنشر ...، الكويت، الطبعة الأولى 1990.
- محمد فارس الفارس، الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل (دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً) 1862-1965، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، الطبعة الأولى 2000.
- محمد مرسي عبدالله، زايد ابن الصحراء صانع الحضارة، وزارة شؤون الرئاسة، الأرشيف الوطني، أبوظبي، الطبعة الأولى 2014.
- ميخين فيكتور ليونوفيتش، حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، ترجمة: سمير نجم الدين سطاس، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى 2009.
- نبوية حلمي أبو باشا، البيئة الاجتماعية والسياسية وأثرها في قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، الطبعة الأولى 2002.
- ندوة، «مفاهيم جديدة في تدوين تاريخ الإمارات العربية المتحدة»، المركز الوطني للوثائق، 2009.
- يوسف بن محمد الشريف و محمد بن سعيد بن غباش، كتاب الحوليات في تاريخ الإمارات، تحقيق فالح حنظل، بدون بيانات الناشر، 2012م.

للتواصل مع مؤسسة وطني الإمارات:

صندوق البريد: 102515 ، دبي، الإمارات العربية المتحدة

+971 4 299 9222 / +971 4 292 0999

الرقم المجاني: 800 928264 / 800WATANI

+971 4 299 9299 @watani_ae

www.watani.ae watanialemart

@watani WataniAE